هشام كمال عبد الحميد

الهندسة الوراثية في القرآن

وأسرار الخلق والروح والبعث

29



الهندسة الوراثية فى القرآن
وأسرار الخلق والروح والبعث



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

◆

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية
٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات - القاهرة
ت : ٣٤٤٨٣٦٨ ، ف : ٣١٤٨٠٤٢

هشام كمال عبد الحميد

الهندسة الوراثية فى القرآن

وأسرار الخلق والروح والبعث



الكتاب : الهندسة الوراثية فى القرآن
وأسرار الخلق والروح والبعث

الكاتب : هشام كمال عبد الحميد

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى : القاهرة ٢٠٠٢

رقم الإيداع : ٢٩٩٨ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى: I.S.B.N.977-291-363-1

الغلاف :
تصميم وجرافيك : ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكترونى :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : سيد عبد الفتاح
تصحيح : زكريا منتصر
كمال عبد الرسول

إهداء

* *إلى زوجتي الحبيبة التي صبرت وتحملت كثيرًا معي وذللت لي الكثير من العقبات للتفرغ للكتابة والتأليف أهدي هذا الكتاب امتنانًا لها واعترافًا بالجميل .*

* *إلى نورهان وأحمد أبنائي أهدي هذا الكتاب لعله يكون نبراس هدى لهم ولأجيال المستقبل .*

هشام كمال عبد الحميد

المقدمة

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ليكون خليفته فى الأرض، لذا فضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وقد بدأ الخالق خلق الإنسان من «تراب + ماء» فلما تخمر هذا الطين وأصبح صلصال من حمأ مسنون «أى صلصالاً محتويًا على غازات وطاقة وأحماض أمينية ومواد عضوية أخرى وهى المكونات الأساسية لتكوين البروتينيات ومن ثم الخلايا والأنسجة التى تتشكل منها أجسام الكائنات الحية» سواه «شكله» على صورة آدم ثم نفخ فيه من روحه فدبت فيه الحياة فنهض آدم من رقدته إنساناً كاملاً ناضجاً عاقلاً مدركاً مميزاً مكلفاً.

وهنا أمر الخالق سبحانه وتعالى الملائكة والجن ممثلين فى إبليس بالسجود لآدم «أى أمرهم بالقيام بخدمته وبمساعدته فى أداء المهام التى خلق من أجلها». وقد لخص القرآن قصة خلق آدم فى قوله تعالى: ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾. «الحجر: ٢٨، ٢٩».

وقد اعتقد كثير من الناس أن الروح لاتوجد إلا فى الإنسان وأن سائر المخلوقات من حيوان ونبات وجماد بلاروح، وأن الروح هى سبب تفضيل الإنسان على سائر المخلوقات، وسنعلم من خلال فصول هذا الكتاب أن جميع المخلوقات بها روح وأن الروح هى التى تميز كل مخلوق عن الآخر وتحدد صفاته الجسدية والنفسية والعقلية، وبالتالى فإن سبب تميز الإنسان عن سائر المخلوقات لايرجع إلى الروح فى حد ذاتها ولكن يرجع إلى ما أودعه الخالق فى هذه الروح من صفات وراثية ومزايا وقدرات نفسية وعقلية.

والبحث فى مسألة نشأة الحياة والكون والإنسان ومسألة الروح وكنهها وموضعها فى الجسد يشغل الإنسان منذ آلاف السنين، فالعلماء فى الماضى والحاضر اهتموا بالبحث فى هذه المسائل فى محاولة منهم لكشف سر الحياة والمساعدة فى تقدم مجالات العلاج الطبى والمجالات العلمية الأخرى.

واهتم الفلاسفة بالبحث فى نفس المسألة لإعطاء تفسير فلسفى لنشأة الحياة ومعنى وكُنه الروح وموضعها من الجسد، أما رجال الدين فانحصر اهتمام معظمهم حول هذه المسائل فيما ورد فى الكتب السماوية عنها، وقليل منهم من حاول الربط بين الأبحاث العلمية والفلسفية الخاصة بهذه الأمور وبين ماورد عنها فى الكتب السماوية للخروج بنتائج تُظهر للناس أسرار الخالق فى خلقه، وتكشف إعجازه وقدراته فى الخلق.

وقد كشف الخالق فى قرآنه منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة عن كُنه ومعنى الروح فى قوله تعالى: ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ «الإسراء: ٨٥».

وقد فهم النبى ﷺ وكثير من الصحابة والتابعين معنى الروح من هذه الآية، لكن بعض التابعين والمفسرين من المسلمين فى العصور اللاحقة لعصر النبى ﷺ لم يفهموا ذلك من الآية، وذهبوا إلى أن الآية لاتشرح معنى الروح ولكنها تؤكد أن الروح مما اختص به الله نفسه ولايجوز البحث فيها، فأشاع هؤلاء التابعون فى نفوس المسلمين الرهبة والذعر من مجرد التفكير فى مسألة الروح أو نشأة الخلق، وذهب فريق منهم إلى تحريم البحث فى هذه المسائل وتكفير كل من يخوض فى هذه الأمور.

فتعالوا لنتعرف على آراء المؤيدين وآراء المعارضين لهذه المسألة، وعلى معنى الروح والنفس فى القرآن والأحاديث النبوية، وعلى العلاقة بينهما، والعلاقة بين الروح والماء العضوى الذى خلق الله منه كل شىء حى، والمحتوى على الأحماض الأمينية التى يتشكل منها حمض D.N.A المسجل عليه الأوامر الإلهية التى تحدد صفات كل كائن من الكائنات الحية، وذلك على ضوء ما ورد فى القرآن والأحاديث النبوية وماكشفه الخالق لنا من بعض أسرار الروح من خلال أبحاث الهندسة الوراثية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾ «فصلت:٥٣»، لنصل فى النهاية إلى الفهم الصحيح لحقيقة الروح والنفس.

والحقائق التى سنكشفها من خلال فصول هذا الكتاب عن الروح ستساعدنا فى فهم الكثير مما ورد فى القرآن من آيات عن خلق آدم وحواء وعيسى وسائر البشر والمخلوقات الأخرى، وستساعدنا أيضاً فى تخيل الطريقة التى خلق بها الله آدم وحواء وعيسى عليهم السلام. .إلخ. ومافى ذلك من قدرة وإعجاز إلهى، هذا بالإضافة إلى فهم الكيفية التى سيبعث الله بها الإنسان يوم القيامة.

وأخيراً أحب أن أنوه إلى أن ما يحتويه هذا الكتاب هو محاولة واجتهاد منى فى مسألة الروح والخلق والموت والبعث، للربط بين العلم والآيات القرآنية المحتوية على إشارات علمية، وذلك إظهاراً لما فى القرآن من إعجاز علمى.

وقد أكون مخطئاً أو مصيباً فى كل أو بعض هذه الاجتهادات، فإن أصبت فبفضل من الله وإن أخطأت فأسأل الله المغفرة، وما أريد تأكيده أن مثل هذه الاجتهادات يجب ألا تتوقف لأنها إن أخطأت فى أمر فستصيب فى آخر، وحتماً ستصل بنا إن عاجلاً أو آجلاً إلى الحقيقة، والاجتهاد والربط بين العلم والدين من الأمور التى حث عليها القرآن، وأسأل الله التوفيق والسداد.

تحريراً فى ١٢/٤/١٩٩٩

هشام كمال عبد الحميد
٨ ش صفوت - العمرانية الشرقية
أول الهرم - نصر الدين
ت : ٥٦٩٢٣٧٩

تنويه إلى السادة القراء

السادة قراءنا الأعزاء.. هذا التنويه لا علاقة له بموضوع كتابنا هذا، ولكنه يخص كتابى «اقترب خروج المسيح الدجال» الذى ادعى محمد عيسى داود صاحب كتاب «احذروا المسيح الدجال يغزو العالم من مثلث برمودا» إننى سرقت أفكاره ونتائج أبحاثه وأوردتها فى كتابى السابق ذكره.

مما دعانى إلى رفع عدة قضايا ضده وضد الجرائد التى نشر بها هذه الأباطيل والأوهام والاتهامات الزور. وقد حكم فى إحدى هذه القضايا لصالحى بتغريمه ٢٥٠٠ جنيهًا وإلزامه متضامنًا مع جريدة الشعب بدفع مبلغ ٥٠١ جنيهًا لصالحى على سبيل التعويض المؤقت تمهيداً لرفع قضايا التعويضات المناسبة عليه ولم يحكم بعد فى القضايا الأخرى وسيكون الحكم فيها مماثلاً إن شاء الله لهذا الحكم. وقد استأنف هو هذ الحكم فتأيد الحكم فى الاستئناف لصالحى أيضًا فى القضية رقم ٨٨٧١ لسنة ٢٠٠٠ جنح مستأنف مصر القديمة بجلسة ٤ / ١٢ / ٢٠٠٠.

وقد قام هو على إثر ذلك بالتقدم ببلاغ للنيابة العامة ومباحث المصنفات يدعى فيه أننى سرقت أفكاره ونتائج أبحثه فقيد البلاغ بالقضية رقم ١٣٧١٢ لسنة ٢٠٠٠ جنح العمرانية وصدر من محكمة أول درجة حكم يقضى بتغريمى ١٠٠ جنيه لقيامى بنشر كتاب لمحمد عيسى داود دون إذن كتابى منه وقمت باستئناف هذا الحكم فقيد بالقضية رقم ٩٦١٢ لسنة ٢٠٠١ جنح مستأنف العمرانية وقدمت مذكرة للقاضى نوضح فيها خطأ هذا الحكم ومخالفته للقانون لأننى لم أنشر كتابًا لعيسى داود لأننى لست ناشراً ولأن أى فقرة نقلتها فى كتابى نوهت إليها بالهامش عملاً بأحكام قانون حماية حق المؤلف ولأن عيسى داود ليس أول من اكتشف تحركات المسيح الدجال أو شعاره الموجود على الدولار الأمريكى وخطة النورانيين الصهاينة للتمهيد لحكم المسيح الدجال والعلاقة بينه وبين الأطباق الطائرة ومثلث برمودا كما يدعى فهناك كُتَّاب كثيرون أجانب وعرب تناولوا هذا الموضوع قبله ونقل عنهم دون التنويه لذلك أو منوهًا دون إيضاح لذلك، فكيف يدعى أنه أول من تناول هذه الموضوعات وكيف ينتحل لنفسه كذبًا أنه صاحب السبق فى الكشف عن هذه الأمور.

وبعد أن قرأ القاضى الكتابين وعمل المضهاة اللازمة بينهما وقرأ دفاعنا ودفاعه واتضحت

له الأمور جلية واطلع على صور الكتب التى قدمناها له والتى تثبت أن عيسى داود ليس أول من تناول هذه الموضوعات التى تعد موضوعات عامة سياسية ودينية وعلمية لا يجوز لأحد أن يدعى ملكيتها حكم القاضى بالآتى:

إلغاء الحكم السابق القاضى بتغريمى ١٠٠ جنيه لأن هذا الحكم صدر من محكمة أول درجة بالمخالفة لأحكام القانون، كما قضى الحكم ببراءتى من التهم التى نسبها إلىَّ محمد عيسى داود بخصوص سرقة أفكاره ونتائج أحكامه وأخيراً قضى الحكم بإحالة الدعوى المدنية المقامة منى ضد عيسى داود بالتعويض عما أصابنى من أضرار مادية وأدبية نتيجة ادعاءاته الباطلة هذه إلى المحكمة المدنية للفصل فى قيمة التعويض المناسب وذلك بجلسة ٢٤/٩/٢٠٠١.

وقبل صدور هذا الحكم بعدة أيام وأثناء نظر القضية فوجئت بعيسى داود ينشر هذا الحكم الأول الذى تم استئنافه وإلغاؤه بمجموعة من الجرائد وبكتاب صدر له مؤخراً بعنوان «المفاجأة» لذا سنتخذ ضده وضد ناشره مكتبة مدبولى الصغير وضد الجرائد التى نشر بها هذا الحكم الجزئى الذى تم إلغاؤه الإجراءات القانونية اللازمة وقضايا التعويض اللازمة. كما تقدمت بعد هذه الأحكام التى صدرت ضده والحكم القاضى ببراءتى من الاتهامات الكاذبة التى يدعيها بشكوتين للمجلس الأعلى ونقابة الصحفيين لإحالته لمجلس تأديبى واتخاذ ما يلزم من عقوبات نحو الأحكام الصادرة ضده ونحو ما ارتكبه فى حقى ونحو تصرفاته التى تسىء لمهنة الصحافة وكل الصحفيين خاصة عبارات السب والقذف التى صدرت منه لى أو لكُتَّاب آخرين على صفحات الجرائد أو صفحات كتبه.

لذا وجب تنويه القراء حتى يعلم الجميع الحقيقة، وختاماً أتقدم بالشكر للأستاذ/ ثروت الحسينى المحامى على ما بذله من مجهودات رائعة فى هذه القضايا.

هشام كمال عبد الحميد

الفصل الأول

هل يجوز البحث فى أسرار الروح والخلق

الروح والنفس من أعقد الأمور التي حيرت الفلاسفة والعلماء ورجال الدين في الماضى والحاضر. وقد اختلف العلماء فى تعريف الروح والنفس، وفى تحديد كنههما وماهيتهما، كما اختلفوا فى تحديد موضعهما فى الجسد، وكيفية دخولهما فيه، وخروجهما منه عند الموت وأثناء النوم، كما اختلفوا فى قدمهما أو حداثتهما وفى مستقرهما قبل اتصالهما بالجسد وأثناء حياة البرزخ بعد الموت، ولم يختلف العلماء كثيراً فى النفس، وأهم خلافاتهم فى شأنها انصب على ما إذا كانت هى الروح أم شيئاً مغايراً لها.

وكان الكلام فى الروح وماهيتها وأسرارها مباحاً عند الفلاسفة والعلماء القدماء، وكذلك المسلمين الأوائل من الصحابة وبعض التابعين، وبدأ الخلاف فى مسألة الروح ومدى جواز الكلام فيها من التابعين ومفسرى القرآن الكريم عند تفسيرهم لمعنى قوله تعالى: ﴿ **ويسألونك عن الروح. قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ «الإسراء، ٨٥».

فقد روى عن الصحابة فى شأن نزول هذه الآية روايات كثيرة منها الصحيح ومنها الضعيف والموضوع، وكذلك روى عن النبى ﷺ وعن صحابته روايات كثيرة فى مسألة الروح والنفس وكُنهها، وفى موضعهما من الجسد، ومستقرهما قبل دخولهما فيه وبعد الممات.. إلخ. وكانت هذه الروايات المتضاربة هى السبب فى حدوث الخلاف فى مسألة الروح والنفس ومدى جواز البحث فيهما، فتعالوا لنتعرف على بعض ماقيل حول هذه المسألة، ثم ندلى برأينا فيها بعد ذلك.

أولاً: حجج المعارضين للبحث فى مسألة الروح:

ذهب فريق من علماء السلف والمعاصرين إلى أن الروح شيء استأثر الله بعلمه وأخفاه عن البشر وبالتالى لايجوز الكلام فيها، وكانت حجتهم فى ذلك تفسيرهم للفظ «أمر» فى قوله تعالى: ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ على أنه يعنى «من شأن ربى» أى أن المعنى: قل الروح من شأن ربى واختصاصه ولايجوز لأحد أن يسأل عنها، وأكدوا ذلك بما جاء فى آخر الآية من قوله تعالى: ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾، أى أن علم البشر ضئيل قليل لايرقى إلى فهم كُنه الروح وحقيقتها وأحوالها.. إلخ. وهذا أمر لانختلف معهم فيه، فعلم البشر مهما تقدم هو فى علم الله كقطرة فى محيط، وما كشفه الله لنا من بعض أسرار الروح حتى الآن من خلال علم الهندسة الوراثية «والتى تعتبر المسئولة عن الخلق والحياة فى كل الكائنات الحية» يؤكد

فعلاً أن الروح أمر عظيم وشيء معقد ومتشابك يحتاج حتى تنكشف كل أسراره وخفاياه إلى علوم ومعارف وأبحاث فوق قدرة البشر، كما سنوضح في حينه.

أما ما نختلف معهم فيه فهو تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ **من أمر ربى** ﴾ بمعنى من شأنه واختصاصه ولايجوز البحث فيها، لأن الآية لها معنى آخر أكثر صواباً على ما سنوضح في حينه وهو قريب من نفس المعنى الذى فسرها به بعض المفسرين الذين أجازوا البحث في مسألة الروح، وقبل أن أبدأ في سرد آراء بعض القائلين بحرمة البحث والكلام في مسألة الروح أحب أن أنوه إلى أن هؤلاء العلماء كانوا يجتهدون والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، وكلهم من العلماء الأجلاء الذين كان لهم اجتهادات صائبة في الكثير من الأمور الأخرى والذين أثروا المكتبة الإسلامية بعدد كبير من الكتب القيمة، وليس كل ما قالوه في مسألة الروح خطأ، فقد كان لهم آراء صائبة في المسألة أيضاً وسنعرضها في حينها. وأنا أيضاً أجتهد، وبالتالى فليس كل ما سأقوله في هذا الكتاب صوابًا ولا كله خطأ، والهدف الأول والأخير لى هو لفت الأنظار إلى ما كشفه الله لنا من بعض أسرار الروح من خلال الهندسة الوراثية ليرينا آياته وعجائبه في خلقه، بالإضافة إلى مساعدة المسلمين على فهم المعنى الحقيقى للروح والنفس ودورهما في تخليق وحياة الكائن الحى، ليتمكنوا من الحكم بدقة وموضوعية على ما ستخرجه لنا الهندسة الوراثية مستقبلاً من كائنات مستنسخة أو مهجنة، فيدلوا بالرأى الصحيح فيما إذا كانت هذه الأعمال تعد خلقًا أم تعديلاً وتركيبًا لصفات المخلوق وفق النواميس الكونية التى سنها الخالق لعملية الخلق... إلخ.

قال «القرطبى» في تفسيره عند شرحه لقوله تعالى: ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾، بعد أن ذكر ما قيل من روايات رواها البخارى ومسلم والترمذى في سبب نزول هذه الآية، وما قيل في الروح المسئول عنه في الآية إذا كان هو الملك الروح أم جبريل أم القرآن أم الروح الإنسانية التى تكون بها حياة الجسد، ورجح القول القائل بأن الروح المسئول عنه في الآية هى الروح الإنسانية، ورجح أيضاً قول القائلين بأن الآية أبهمت أمر الروح فلم تبين حقيقتها لأنها مما استأثر الله بعلمه قال: ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ أى هو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى، مبهماً له وتاركاً تفصيله، ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها. وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا كان بعجزه عن إدراك حقيقة الحق أولى. وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له، «دلالة على أنه عن إدراك خالقه أعجز» (١).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبى - تفسير الإسراء، الآية: ٨٥.

واستشهد القرطبي في هذا الشأن بما ذكره المهدوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس من أن السائلين عن الروح هم قريش، قالت لهم اليهود: سلوا محمداً عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أخبركم عن اثنين وأمسك عن واحدة فهو نبي، فأخبرهم خبر أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين، وأبهم أمر الروح بقوله ﴿**قل الروح من أمر ربي**﴾ أي من الأمر الذي لايعلمه إلا الله.

وهنا أحب أن أنوه إلى أن الكثير من العلماء طعنوا في صحة هذه الرواية المروية عن ابن عباس وغيره، والقائلة بأن النبي ﷺ أبهم أمر الروح، خاصة أن الرواية التي رواها البخاري ومسلم والترمذي عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾ ليس فيها ما يفيد أن النبي ﷺ قد أبهم أمر الروح، وسوف نوضح هذا الأمر بالتفصيل في حينه.

وقال «ابن كثير» في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾، بعد ذكره لما قيل من روايات في سبب نزول هذه الآية، وما قيل في الروح المسئول عنه في هذه الآية ﴿**قل الروح من أمر ربي**﴾ أي من شأنه وما استأثر بعلمه دونكم ولهذا قال: ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾ أي وما أطلعكم من علمه إلا على القليل فإنه لايحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء الله تبارك وتعالى [1].

وذكر «السيوطي» ما قاله الجنيد والقشيري وابن بطال وابن بريدة وابن عباس فقال [2]:
وقال الجنيد: «الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنه.

وقال ابن بطال: إن الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه، والحكمة في ذلك تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لايدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبدالله بن بريدة أنه قال: لقد قبض النبي ﷺ وما يعلم الروح.

ثم قال السيوطي تعقيباً على ذلك: وردت عليه طائفة من العلماء بأن النبي ﷺ علمها وأطلعه الله عليها ولكنه لم يأمره أن يطلع عليها أمته، وهو نظير الخلاف في علم الساعة.

وعن عكرمة قال سُئل ابن عباس عن الروح فقال: «الروح من أمر ربي» لا تنالوا هذه المسألة ولا تزيدوا عليها، قولوا كما قال تعالى وعلم نبيه: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» أخرجه ابن أبي حاتم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور - السيوطي - باب خاتمة في فوائد تتعلق بالروح.

ونقل السيوطى ما قاله أبو القاسم القشيرى السعدى فى «الإيضاح» بعدم جواز الكلام عن الروح بقوله «إن الكلام عن الروح لايجوز وإن أماثل الفلاسفة أيضاً توقفوا عن الكلام فيها، وقالوا إنها أمر غير محسوس لنا ولاسبيل للعقول إليه، ووقوف علمنا عن إدراك حقيقة الروح كوقوفه عن إدراك سر القدر».

ونقل السيوطى ما قاله القرطبى فى المسألة أيضاً ثم عرض آراء بعض القائلين بجواز الكلام فى الروح والنفس وتعريفهم لها، وسنعرض ما قاله عند الحديث عن حجج المجيزين للكلام فى الروح.

وتعقيباً على ماقاله «القشيرى» من أن أماثل الفلاسفة لم يتكلموا فى الروح، فهو كلام غير صحيح، لأن أماثل الفلاسفة الذين يقصدهم قد تكلموا فيها، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، سقراط، وأرسطوا، وهيروفليس، وأفلاطون، وجالينوس، هذا بالإضافة إلى فلاسفة المسلمين الذين تكلموا فيها.

أما ما أخرجه ابن أبى حاتم عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال فى الروح: لا تنالوا هذه المسألة ولا تزيدوا عليها، قولوا كما قال الله تعالى وعلم نبيه: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً». وهو كلام يفيد أن ابن عباس امتنع عن الكلام فى الروح ولم يجز تعريفها أو البحث فى حقيقتها، وهذا الكلام يرده روايات أخرى مروية عن ابن عباس عرّف فيها الروح والنفس والعلاقة بينهما، وروايات أخرى عن أحوالهما ومستقرهما أثناء الحياة وبعد الممات. .إلخ.

وهى روايات تؤكد أنه لم يمتنع عن الكلام فى الروح والنفس. وسنعرض بعض هذه الروايات كلا فى حينه. ولعله كان لايجيز الكلام فى كُنه الروح ولكنه كان يحاول وضع تعريف لها وإيضاح بعض الغموض المثار حولها تقريباً للأذهان.

وقال «النسفى» فى تفسيره للآية ٨٥ من سورة الإسراء ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ أى من أمر يعلمه ربى، والجمهور على أنها الروح التى فى الحيوان. سألوه عن حقيقتها فأخبر أنها من أمر الله، أى مما استأثر بعلمه. وعن أبى هريرة أنه قال: «لقد مضى النبى ﷺ وما يعلم أمر الروح» وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيتها بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيها. والحكمة فى ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على أنه عن إدراك خالقه أعجز. ولذا رد ما قيل فى حده إنه جسم دقيق هوائى فى كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وقيل.... ثم قال النسفى :

وروى أن اليهود بعثت قريشًا أن يسألوه ﷺ عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فإن أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبى، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى، فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح، وهو مبهم فى التوراة، فندموا على

سؤالهم، وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعنى أهى مخلوق أم لا؟ وقوله: ﴿ **من أمر ربى** ﴾ دليل خلق الروح فكان هذا جواباً. [(١)].

وقال الشيخ عبد الحميد كشك فى تفسيره «فى رحاب التفسير»: ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ أى من شأنه ومما استأثر بعلمه دونكم، ولهذا قال: ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ أى وما أطلعكم من علمه إلا على القليل، فإنه لايحيط أحد بشىء من علمه، إلا بما شاء تبارك وتعالى [(٢)].

وقال «سيد قطب» فى تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **ويسألونك عن الروح.....** ﴾، وراح بعضهم يسأل الرسول ﷺ عن الروح ماهى؟ والمنهج الذى سار عليه القرآن أن يجيب الناس عما هم فى حاجة إليه، وما يستطيع إدراكهم البشرى بلوغه ومعرفته، فلا يبدد الطاقة العقلية.. فلما سألوه عن الروح أمره الله أن يجيبهم بأن الروح من أمر الله، اختص بعلمه دون سواه.

وليس فى هذا حجر على العقل البشرى أن يعمل، ولكن فيه توجيهاً لهذا العقل أن يعمل فى حدوده وفى مجاله الذى يدركه، فلا جدوى من الخبط فى التيه.. والروح غيب من غيب الله لايدركه سواه، وسر من أسراره القدسية أودعه هذا المخلوق البشرى وبعض الخلائق التى لانعلم حقيقتها.....» [(٣)].

ويتضح من كلام «سيد قطب» أنه لم يحجر على العقل البشرى أن يعمل، وبالتالى فهو لم يمنع من الكلام كلية فى الروح، ولكن فضل ترك البحث فى هذه المسألة لأن الروح سر من أسرار الله القدسية وغيب لاتدركه عقول البشر.

وقال «الشعراوى» رحمه الله فى الجزء الثامن من كتاب «معجزة القرآن»: «حينما سُئل رسول الله ﷺ عن الروح، كان السائلون يريدون أن يعرفوا ماهى الروح، ومم تتكون، وكيف تهب الحياة للجسد، ثم تذهب عنه، وهنا رد الله سبحانه وتعالى: ﴿ **قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ أى أن الروح سر من أسرار الله سيظل غيباً عنا إلى يوم القيامة. الله سبحانه وتعالى يقول إن علمكم الأرضى الذى تظنون أنه كثير، وهو فى الحقيقة أقل القليل، علمكم هذا لن يصل بكم إلى سر الروح. أنتم تسألون ما هى الروح، وأنا أقول لكم أن علم البشرية كلها لن يصل إليها، بل لن يصل إلى أسرارها، وأقول هذا يقيناً.

وهذا تحدٍ من إعجاز القرآن الكريم، فما زالت البشرية بكل علمها وعلمائها عاجزة عن أن تقترب من الروح أو تكشف سراً واحداً من أسرارها» [(٤)].

---

(١) تفسير القرآن الجليل - النسفى - ج٢ تفسير سورة الإسراء الآية: ٨٥.

(٢) فى رحاب التفسير- عبدالحميد كشك - تفسير سورة الإسراء، الآية: ٨٥، المجلد الثالث.

(٣) فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج٤، تفسير سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٤) معجزة القرآن، الشيخ محمد متولى الشعراوى - الجزء الثامن - كتاب اليوم ص ٤٣-٤٤.

وتساءل الشعراوى بعد ذلك بالآتى: ولكن لماذا أخفى الله سبحانه وتعالى علم الروح عن البشرية ؟ وأجاب بالآتى:

لأنه أولاً: دليل قدرة، وثانياً: دليل الوجود بلا رؤية، وثالثاً: لأن حقيقة الروح سواء علمت بها أو لم تعلم لن تفيدك شيئاً فى حياتك الدنيا فالانتفاع بالروح لايقضى ولايقتضى العلم بها.

إذن أنت تنتفع بالروح التى تعطيك الحياة والحركة وإن كنت تجهل ماهى، ولايعنى حجب الله حقيقتها عنك أنك لاتستطيع أن تنتفع بها، إنها فى داخلك فى كل خلية من جسدك تهبك الحياة والحركة.

وعند شرحه لمعنى أمر الله فى قوله تعالى: ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾، قال: وماذا تعنى كلمة أمر الله؟ القرآن الكريم بيّن لنا ذلك، فالله يقول: ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾« يس:٨٢». إذن أمر الله بالنسبة لنا هو إرادة الله سبحانه وتعالى لهذا الجسد بكلمة «كن» فأمر الله سبحانه وتعالى يكون إيذاناً بأن يباشر الشىء مهمته فى الكون بكلمة «كن».

وفى موضع آخر قال: وإذا أردنا أن نفهم كلمة الروح فإنها ذلك السر الإلهى الذى يهب الحياة للمادة، أو الذى تحيا به المادة، أو بشكل آخر هو إرادة الله لها أن تحيا، فإذا سلب الله هذه الإرادة ذهبت الحياة.

وقال أيضاً: وهناك الروح وهناك النفس، فالنفس هى التقاء الروح بالمادة أو امتزاج الروح بالمادة، هذه هى النفس، ولذلك فإن التكليف من الله يكون للنفس البشرية، أو لفترة الحياة التى تلتقى فيها الروح والجسد.

ويتضح من أقوال الشعراوى أنه حاول أن يعرف الروح والنفس تقريباً للأذهان، وأنه لم يقل صراحة بتحريم أو عدم جواز الكلام فى الروح، وإنما أكد فقط أنها سر من أسرار الله الذى سيظل غيباً عنا إلى يوم القيامة، وأن علم البشرية لن يصل إلى كشف أى سر من أسرارها مهما بلغ من تقدم، ونحن لانختلف معه فى أن الروح سر من أسرار الله وأن علم البشرية محدود، ولكن نختلف معه فى أن أسرارالروح ستظل غيباً عنا إلى يوم القيامة، لأن الله أكد فى قرآنه أنه سيرينا آياته فى الآفاق «السماوات» وفى أنفسنا حتى يتبين لنا أنه الحق، وقد كشف الله لنا من خلال الأقمار الصناعية وسفن الفضاء التى مكننا من صنعها الكثير من أسرار السماوات، ولكى يكشف الله لنا عن آياته فى أنفسنا (أى فى خلقنا) فلابد أن يكشف لنا بعضاً من أسرارالروح وليس شرطاً أن يكشف لنا كل أسرارها، وذلك لأن الروح هى أهم شىء فى خلق الإنسان وسائر الكائنات الحية، وبالتالى فكشف الإعجاز فى خلقنا يقتضى كشف الله لنا عن بعض أسرار الروح التى حجب أسرارها عمن سبقنا من أهل الأرض،

وسوف نعود لشرح هذه النقطة بالتفصيل فى حينه.

ويمكن أن نستخلص مما قاله الشعراوى عن الروح النتائج الآتية لأنها أمور فى منتهى الأهمية وآراء صائبة منه وسوف نحتاج إليها بعد ذلك:

١ - الروح موجودة فى كل خلية حية داخل الجسد كما قال الشعراوى، وهى التى تهب هذه الخلايا وبالتالى الإنسان الحياة والحركة.

٢ - الروح هى الأمر الإلهى للجسد بأن يحيا بكلمة «كن» وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾.

٣ - النفس هى التقاء الروح بالمادة وعليها يقع التكليف.

ومما سبق نجد أن الذين حرموا الكلام فى الروح سواء من علماء السلف أو المعاصرين كانت أقوى حجة لهم فى هذه المسألة تفسير الأمر فى قوله تعالى ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ بمعنى شأن ربى، وبالقطع ليس معنى الأمر فى اللغة «الشأن» فقط فالأمر له معانى أخرى لو أخذنا بها فسيتغير تفسير الآية تغيراً كلياً، وبالتالى لن يصبح الكلام فى الروح ومحاولة التعرف على كنهها وماهيتها أمراً محرماً، ثم النقطة الثانية ماذا سيكون الحال لو كان للآية معنى آخر يؤكد أن الآية تحتوى على إجابة لتساؤل السائلين تشرح معنى الروح وتبين حقيقتها، ولا تحمل رفضًا للتساؤل أو إبهامًا لأمر الروح كما فهم البعض؟.

بالقطع الأمور كلها ستتغير بناء على ذلك، ولكى نشرع فى إيضاح هذه الأمور بما يزيل الالتباس والفهم الخاطئ لما ورد بالآية، تعالوا أولاً لنتعرف على وجهة نظر الفريق الآخر الذى أجاز الكلام فى الروح والذى رأى فى معنى الآية مفهومًا آخر مخالفًا تماماً لما رآه الفريق الأول الذى حرم الكلام فى الروح.

ثانياً: حجج المؤيدين للبحث فى مسألة الروح:

قال «الرازى» فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **ويسألونك عن الروح. قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ ما ملخصه:

«... وجب البحث ها هنا عن ماهية الروح وحقيقته، فلذلك سألوا عن الروح وفى الآية مسائل:

● المسألة الأولى: للمفسرين فى الروح المذكورة فى هذه الآية أقوال أظهرها أن المراد منه الروح التى هى سبب الحياة. فقد روى أن اليهود قالوا لقريش: اسألوا محمداً عن ثلاث، فإن أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبى: اسألوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح. فسألوا رسول الله ﷺ عن هذه الثلاث، فقال: غداً أخبركم ولم يقل إن شاء

الله، فانقطع عنه الوحى أربعين يوماً ثم نزل الوحى بعده ﴿ **ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غداً . إلا أن يشاء الله** ﴾ «الكهف : ٢٣-٢٤» ثم فسر لهم قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين وأبهم قصة الروح . . . » .

ثم عقّب الرازى على ذلك فقال : «ومن الناس من طعن فى هذه الرواية من وجوه» :

١ - أن الروح ليس أعظم شأناً ولا أعلى مكاناً من الله تعالى ، فإذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فأى مانع من معرفة الروح ؟ .

٢ - أن اليهود قالوا : إن أجاب محمد عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ولم يجب عن الروح فهو نبى ، وهذا كلام بعيد عن العقل ، لأن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين ليست إلا حكاية من الحكايات وذكر الحكاية يمتنع أن يكون دليلاً عن النبوة . . وأما عدم الجواب عن حقيقة الروح فلا يمكن جعله دليلاً على صحة النبوة .

٣ - أن مسألة الروح كان يعرفها أصاغر الفلاسفة وأراذل المتكلمين فلو قال رسول الله ﷺ : إنى لا أعرفها ، لأورث ذلك ما يوجب التحقير والتنفير ، فإن الجهل بمثل هذه المسألة يفيد تحقير أى إنسان كان ، فكيف بالرسول الذى هو أعلم العلماء وأفضل الفضلاء .

٤ - أنه تعالى قال فى حق النبى ﷺ ﴿ **الرحمن . علم القرآن** ﴾ «الرحمن : ١ ٢» وقال : ﴿ **وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ «النساء : ١١٣» وقال : ﴿ **وقل رب زدنى علماً** ﴾ «طه : ١١٤» .

وقال تعالى فى صفة القرآن ﴿ **ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين** ﴾ «الأنعام : ٥٩» . وكان ﷺ يقول : «أرنا الأشياء كما هى» فمن كان هذا حاله وصفته كيف يليق به أن يقول : أنا لا أعرف مسألة الروح ، مع أنها من المسائل المشهورة المذكورة بين جمهور الخلق» .

بعد ذلك قال الرازى :

« . . . . لذا فالمختار عندنا أنهم سألوه عن الروح وأنه ﷺ أجاب عنه على أحسن الوجوه . . فهم سألوه ماحقيقة الروح وماهيتها ؟ . . فأجاب الله عنه بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأعراض وذلك لأن الأجسام شيء تحدث من امتزاج الأخلاط والعناصر . وأما الروح فإنها ليست كذلك بل هى جوهر بسيط مجرد يحدث بقوله تعالى : ﴿ **كن فيكون** ﴾ . . فهو موجود يحدث بأمر الله وتكوينه وتأثيره فى إفادة الحياة لهذا الجسد . . وأما المراد من قوله تعالى : ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ فهو أن لفظ الأمر قد جاء بمعنى الفعل ، قال تعالى : ﴿ **وما أمر فرعون برشيد** ﴾ «هود : ٩٧» وقال تعالى : ﴿ **فلما جاء أمرنا** ﴾ «هود : ٨٢» وهذا الجواب يدل على أنهم سألوه عن الروح : هل هى حادثة ، فأجاب بأنها حادثة واقعة بتخليق الله وتكوينه وهو

المراد من قوله تعالى: ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ [1].

ونستنتج مما قاله الرازى الآتى:

١ - الرواية القائلة بأن اليهود قالوا لقريش سلوا محمداً عن ثلاث، فإن أجاب عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين وأبهم أمر الروح فهو نبى لأن الروح مبهم أمرها فى التوراة، فأجاب ﷺ عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين وأبهم أمر الروح فى الآية، فاعتبروا إبهامه لأمر الروح وإجابته عن السؤالين الآخرين دليلاً على نبوته رواية باطلة للأسباب التى ذكرها الرازى.

٢ - الآية تحمل إجابة من أحسن الوجوه عن حقيقة الروح وماهيتها فأكدت «حسب رأى الرازى» أن الروح جوهر بسيط مجرد يحدث بقوله «كن فيكون» وقد رفض كثير من العلماء الرأى القائل بأن الروح جوهر بسيط مجرد، وكذلك الرأى القائل بأنها عرض من الأعراض، وأكدوا بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة النبوية أن الروح جسم من الأجسام ومخلوق من مخلوقات الله».

٣ - معنى ﴿ **من أمر ربى** ﴾ فى الآية «حسب رأى الرازى» من فعل ربى.

وقال «النيسابورى» فى تفسيره «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» فى تفسير الآية كلامًا قريبًا جداً مما قاله الرازى والسابق عرضه، بل يمكن أن نقول إنه لا يختلف عما قاله الرازى فى شيء لذا سنكتفى بما قاله الرازى، حتى لانكرر نفس الكلام مرة أخرى، وبهذا سنعتبر أن رأى الرازى والنيسابورى واحد فى المسألة.

وقال «الخفاجى» إن بيان كُنه الروح ممكن بخلاف كُنه الذات الأقدس[2].

وقال «إسماعيل حقى» فى تفسيره «روح البيان» بعد أن أورد ماقيل فى شأن الروح ممن سبقوه من العلماء ما مختصره: ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ هو لتعريف الروح، ومعناه أنه من عالم الأمر والبقاء لا من عالم الخلق والفناء، وأنه ليس للاستبهام كما ظن جماعة أن الله تعالى أبهم علم الروح على الخلق واستأثر لنفسه حتى قالوا أن النبى ﷺ لم يكن عالماً بها، جل منصب رسول الله ﷺ عن أن يكون جاهلاً بالروح مع أنه عالم بالله، وقد من الله عليه بقوله ﴿ **وعلمك ما لم تكن تعلم. وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ أحسبوا أن علم الروح مما لم يكن يعلمه، ألم يخبر أن الله علمه مالم يكن يعلم.. وأما قوله تعالى: ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ فراجع إلى اليهود الذين سألوا النبى ﷺ عن الروح، يعنى أنكم سألتمونى وقد أجبتكم: أنه من أمر ربى، ولكنكم ماتفقهون كلامى لأنى أخبركم عن عالم

---

(١) مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير - الفخر الرازى - تفسير سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) تفسير روح المعانى - الألوسى - سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

الآخرة وعن الغيب وأنتم أهل الدنيا والحس وعلمها قليل بالنسبة إلى الآخرة وعلمها، فإنكم عن علمها غافلون [1].

وقال «الطباطبائى» فى تفسيره: «الميزان فى تفسير القرآن» عند تفسير هذه الآية بعد أن أورد ماقيل فى المراد بالروح المسئول عنه، ما ملخصه:

«.... قوله تعالى: ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ يدل على أن السؤال إنما هو عن حقيقة الروح الوارد فى كلامه سبحانه وتعالى، وأن الجواب مشتمل على بيان حقيقة الروح فهى من سنخ «أصل» الأمر.

وأوضح الطباطبائى المقصود بسنخ الأمر فقال: «لقد زاد الله سبحانه وتعالى فى إيضاح حقيقة الروح حيث قال: ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾، وظاهر أن «من» تبين الجنس كما فى نظائرها من الآيات.. أى أن الروح من سنخ الأمر «أى من أصل الأمر».

وقد عرف الله أمره فى قوله تعالى: ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ «يس:٨٤» فبين أولاً أن أمره هو قوله للشيء «كن» فيكون، وهو كلمة الإيجاد التى هى الإيجاد، والإيجاد هو وجود الشيء لكن ليس من كل جهة، بل من جهة استناده إليه تعالى وقيامه به فقوله فعله.. فالأمر هو كلمة الإيجاد السماوية، وفعله المختص به الذى لا تتوسط فيه الأسباب الكونية بتأثيراتها التدريجية، وهو الوجود الأرفع من نشأة المادة وظرف الزمان، وأن الروح بحسب وجوده من سنخ الأمر والروح ليست فى الإنسان فقط، بل هى فى الحيوان والنبات لأن فيهم حياة والحياة وتفرعة على الروح ظاهراً.

وأما قوله تعالى: ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ أى ما عندكم من العلم بالروح الذى آتاكم الله ذلك قليل من كثير، فإن له موقعاً من الوجود وخواص وآثاراً فى الكون عجيبة بديعة أنتم عنها فى حجاب.

ومما قاله «الطباطبائى» و«إسماعيل حقى»نستنتج الآتى:

١ - أن قوله تعالى: ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ جواب مشتمل على بيان حقيقة الروح، إذ يوضح أنها من أمر الله، أى من أوامره التى تعنى الإيجاد للخلق منه مباشرة بكلمة «كن» وبدون توسط الأسباب الكونية، وبدون المرور بمراحل تدريجية.

٢ - الروح ليست فى الإنسان فقط، بل هى فى الحيوان والنبات أيضاً، لأن فيهم حياة والحياة لا تنشأ إلا بالروح.

٣ - أن المقصود بقوله تعالى: ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ يعنى أن للروح موقعاً من الوجود وخواص وآثاراً فى الكون عجيبة بديعة وهذه الأشياء محجوبة عنا «ولايمنع

---

(١) تفسير «روح البيان» - إسماعيل حقى - تفسير سورة الإسراء، الآية ٨٥.

هذا أن يكشفها الله لنا فى زمن ما». أو أن المقصود من الآية كما قال «إسماعيل حقى» هو توجيه الكلام لليهود بأنهم سألوا عن الروح وقد أجابهم بأنها من أمر الله، ولكنهم لايفقهون كلامه لأنه يكلمهم عن عالم الآخرة والغيب الذى لايعلمون عنه شيئاً.

٤ - الروايات القائلة بأن النبى ﷺ كان جاهلاً بالروح ولم يعلم عنها شيئاً، روايات باطلة ينفيها ماورد بالقرآن الكريم من أن الله علّم النبى ﷺ ما لم يكن يعلم.

وكان «ابن قيم الجوزية» والحافظ ابن منده» و«الحافظ «أبو محمد بن حزم» ممن يجيزون الكلام فى الروح، فقد صنفوا كتباً فيها، تكلموا فيها عن حقيقة الروح وكنهها وأحوالها وقدمها أو حدوثها ومصيرها أثناء حياة البرزخ وفى الآخرة..إلخ، مستندين فى ذلك على الكثير من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية وآراء من سبقهم من المفسرين وعلماء السلف الذين تكلموا فى الروح والنفس، وسوف نعرض بعضاً مما قالوه فى هذا الشأن كلاً فى حينه، وهناك علماء كثيرون غيرهم تكلموا فى الروح والنفس وكلامهم هذا يعتبر إجازة منهم للكلام فى الروح، وسنعرض آراءهم هذه عند الكلام على ما قاله علماء السلف والمعاصرين فى النفس والروح.

وأختم كلامى فى هذه الفقرة بما قاله الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق فى كتابه «الفتاوى» عن الروح حيث قال: «الروح هى القوة التى تحدث الحياة فى الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان، وقد غلبت على مابه حياه الحس والحركة والعقل والتفكير وأضيفت إلى الحيوان والإنسان.

ولم يرد فى الدين نص صريح واضح يشرح حقيقتها ويحدد وجودها، وكانت فى نص الدين كغيرها من سائر الحقائق الكونية، تركت للبحث البشرى يبحث عنها، ويصيب أو يخطئ على حد سواء».

بعد ذلك ذكر الشيخ محمود شلتوت ما قاله الألوسى فى ماهية الروح وعقّب على قوله بأنه لم يشرح حقيقة الروح وإنما ذكر خواص ولوازم أكثرها سلبى لايفيد الحقيقة، ولايدل على الكُنه ثم قال: «وكما اختلف العلماء فى حقيقتها هكذا اختلفوا فى قدمها وحدوثها.. وليس فى النصوص أكثر من أن نفخها فى الجسم يكون بعد تسويته، والمفهوم من نفخها تحصيل آثارها فى الجسم.

وتحت عنوان «لا مانع من البحث عن حقيقتها» قال الشيخ محمود شلتوت: «وعلى رغم ل هذا فلا تزال حقيقتها من الغيب الذى لم يكشفه الله للإنسان،وهى فى ذلك ككثير مما فع الإنسان بآثاره دون أن يعرف كُنهه. وباب البحث عن حقيقتها مفتوح لم يمنع منه نص

دينى. ولا حجة للقائلين بحرمة البحث عنها فى قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى﴾، فقد رجح بعض العلماء أن المراد من الروح فى الآية القرآن نفسه، وقد سماه الله روحاً فى قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾، وسابق الآية ولاحقها يرشد إلى صحة هذا الرأى.

إذن فلا يتعين أن يكون المسئول عنه هو روح الحياة، على أنه لو كان هو روح الحياة فليس فى الآية أكثر من أنها من أمر الله، وهو لايمنع البحث عن حقيقتها [1].

ورأى الشيخ محمود شلتوت رحمه الله يُعد من أفضل ماقيل فى مسألة جواز البحث فى الروح من عدمه فقد قرر الآتى:

١ - الروح هى القوة التى تحدث الحياة فى الكائنات الحية، وهى موجودة فى الإنسان والحيوان والنبات، ويقصد بنفخها فى الجسم: تحصيل آثارها فيه.

٢ - لا يوجد فى الدين نص واضح صريح يحدد الروح ويشرح حقيقتها ومكان وجودها داخل الجسد، وترك الدين مسألة البحث فيها «مثل غيرها من المسائل والحقائق الكونية» للإنسان ليجتهد فيها فيصيب أو يخطئ.

٣ - لا تزال حقيقة الروح «حتى الوقت الذى كان يتكلم الشيخ شلتوت فيه» من الغيب الذى لم يكشفه الله للإنسان.

٤ - باب البحث عن حقيقة الروح مفتوح، فلا يوجد نص دينى يحرم البحث فيها، وقوله تعالى: ﴿**قل الروح من أمر ربى**﴾ يعنى أن الروح من أمر الله وليس فيه مايحرم أو يمنع البحث عن حقيقتها.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ إجابة توضح المقصود بالروح وليست نهياً عن الكلام فيها:

مما سبق يتضح لنا أن المقصود من قوله تعالى: ﴿**قل الروح من أمر ربى**﴾ أن الروح هى الأمر الإلهى وهى قوله تعالى للشيء كُن فيكون، فهى أمر من الأوامر الإلهية، ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿**من أمر ربى**﴾ لأن أوامر الخالق سبحانه وتعالى كثيرة، فمنها أوامره الخاصة بإهلاك أمة وإفنائها فهذا أمر من الأوامر الإلهية، وهو أمر بالموت لهؤلاء القوم وإزهاق أرواحهم وليس أمرًا بإحيائهم، وهذا هو الفرق بين الأمر الخاص بالروح والأمر الخاص بالإفناء والإماتة، فأمر الإفناء والإماتة وإن كان أحد أوامر الله إلا أنه لايعد روح، أما الروح فهى الأمر الإلهى الذى ينشأ به المخلوق من العدم أو من طين مثلاً، فيأمر الله هذا الطين بعد أن يصوره فى صورة المخلوق المراد خلقه بأن يتحول إلى هذا المخلوق بلحمه ودمه وأعضائه وصفاته التى

(١) الفتاوى - الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، ص ١٨-٢٠.

يقدرها الله له، فيتحول الطين بناء على هذا الأمر إلى هذا المخلوق، وسوف نعود لشرح هذه النقطة بالتفصيل فى حينها.

وهناك أوامر يصدرها الله سبحانه وتعالى إلى مخلوقاته بعد خلقهم ويحدد لهم من خلالها وظائفهم والأعمال المطلوبة منهم، وهي أوامر التكليف والعبادة، وهذه ليست روحًا لأنها لاتؤثر على حياة المخلوق فلا تضيف له شيئًا آخر يتعلق بتكوينه الجسدى أو النفسى.

وهناك أوامر يصدرها الخالق سبحانه وتعالى لمخلوقاته المختلفة فى سائر الكون «كالملائكة والجبال والنجوم والكواكب..إلخ» وهذه الأوامر ليست روحًا أيضاً.

والأمثلة لأوامر الله كثيرة ومتعددة ويصعب حصرها، والروح أحد هذه الأوامر، وهى الأوامر الخاصة بإنشاء خلق ما من العدم أو من مادة ما كخلق إنسان أو حيوان أو نبات من طين أو شيء آخر من الجمادات، وكخلق الملائكة من النور أو الجن من النار، وكخلق النجوم والكواكب من التراب أو الماء أو أى شيء آخر.

فأى أمر يصدر من الله سبحانه وتعالى إلى شيء ليتحول إلى شيء آخر هو روح للمخلوق الجديد ولابد أن نقر بأن الإنسان والحيوان والنبات وكذلك الجمادات فيها روح، لأن جميع المخلوقات خلقت بأمر من الله صدر لشيء ما ليتحول إلى هذا المخلوق المكون من المخلوقات الأولية التى خلقها الله من العدم وخلق منها سائر الخلق.

وبناء على ذلك فالآية كانت تشرح معنى الروح وتبين حقيقتها، وكانت تحمل إجابة على تساؤل السائلين وليست رفضاً للإجابة، وليس فيها أيضاً نهى عن الكلام فى الروح كما فهم البعض، وقد أوضح الخالق سبحانه وتعالى فى قرآنه معنى الأمر الإلهى فى قوله تعالى: ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾، «يس: ٨٤» إذن الآية توضح أن الأمر الإلهى الذى هو الروح أيضًا هو قوله للشيء كن فيكون، ولكن هذا القول لايتم بطريقة عشوائية كما يظن البعض، فهو أمر عبارة عن كتاب مسجل عليه الطريقة التى سيتحول بها هذا الشيء «الطين مثلاً» إلى المخلوق المراد خلقه وبصفاته التى يريد الله أن يخلقه بها «كآدم مثلاً، عليه السلام» وسوف نشرح هذه النقطة بالتفصيل فى الفصل الثانى والثالث من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وقد فهم اليهود عندما جاء رد النبى ﷺ على سؤالهم عن الروح [أو سؤال كفار قريش عن الروح بناء على إيعاز وتحريض من اليهود] بقوله ﴿**قل الروح من أمر ربى**﴾ نفس ماقلناه هنا وعلموا أن هذه إجابة وأنها تشرح معنى الروح بالأمر الإلهى للشيء بكن فيكون، وأن هذه الإجابة تتفق مع نفس معنى الروح. «أو بمعنى أدق كيفية خلق الله للمخلوقات فى التوراة» لأن توراتهم كانت تؤكد أن الله خلق جميع المخلوقات ودب فيها الحياة «الروح» بكلمة وهى أمره للشيء أن يكون فيكون كما أراد، وعلى ذلك فأمر الروح لم يكن مبهماً

عندهم كما قيل فى بعض الروايات، والتى رفضها ونقضها من أجازوا الكلام فى الروح، وهذا يؤكد صحة ما قالوه فى هذه النقطة.

وفيما يلى نص ماقيل بسفر التكوين بالتوراة عن خلق الله للسماوات والأرض وجميع المخلوقات بما فيها الإنسان فى ستة أيام، بكلمة كان يصدرها سبحانه وتعالى لشىء ما فيخلق منه خلق آخر فيكون كما أراد الله.

وسأذكر نص الترجمة السبعينية للكتاب المقدس وليس الترجمة البروتستانتية المتداولة، لأنه أسهل وأيسر فى الفهم، ولايوجد خلاف يذكر بينهما فى هذا النص:

«فى البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خاوية خالية وعلى وجه الغمر ظلام، وروح الله يرف على وجه المياه.

وقال الله: ليكن نور، فكان نور.. وفصل الله بين النور والظلام، وسمى الله النور نهاراً والظلام ليلاً، وكان مساء وكان صباح يوم أول.

وقال الله: ليكن فى وسط المياه جلد يفصل بين مياه ومياه، فكان كذلك.. وسمى الله الجلد سماء. وكان مساء وكان صباح يوم ثان.

وقال الله: لتجتمع المياه التى تحت السماء إلى مكان واحد وليظهر اليبس فكان كذلك وسمى الله اليبس أرضاً..

وقال الله: لتنبت الأرض نباتا.. فكان كذلك. فأخرجت الأرض نباتاً عشباً يبذر بذراً من صنفه وشجراً يحمل ثمراً..

وقال الله: ليكن فى جلد السماء نيران «نجوم» تفصل بين النهار والليل وتشير إلى الأعياد والأيام والسنين.. وتضىء على الأرض. فكان كذلك..

وقال الله: لتفض المياه خلائق حية ولتطر طيور فوق الأرض على وجه السماء، فخلق الله الحيتان الضخمة وكل مادب من أصناف الخلائق الحية التى فاضت بها المياه.

وقال الله: لتخرج الأرض خلائق حية من كل صنف: بهائم ودواب ووحوش.. فكان ذلك.

وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا.. فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلق البشر، ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم الله.. وقال الله: ها أنا أعطيتكم كل عشب يبذر بذراً على وجه الأرض كلها، وكل شجر.. فكان كذلك.. (سفر التكوين الإصحاح الأول: نص الترجمة السبعينية)

ومن هذه النصوص يتضح أن الله خلق السماوات والأرض والإنسان وكل المخلوقات الحية «بما فيها الجمادات» بكلمة هى أمره للشىء بأن يكون على صورة وصفة المخلوق المراد خلقه فيكون كذلك، وهذه الكلمة هى بالقطع الروح التى تبعث الحياة لهذا المخلوق وتخرجه إلى

عالم المخلوقات فى هذا الكون، وواضح أن العملية لم تكن عشوائية، فهى لم تكن مجرد كلمة، بل كانت كلمة مكونة من مجموعة من الأوامر التى تشرح للشيء المراد الخلق منه «المياه أو الأرض» شكل وهيئة وصفة ووظيفة المخلوق المراد خلقه.

هذا هو مافى التوراة والتى أصاب بعض نصوصها بعض التحريفات والتراجم الخاطئة فرغم مافيها من تحريف إلا أن التحريف لم يصب كل النصوص، والنصوص السابقة رغم مافيها من أشياء لايمكن قبولها كالقول بأن الله خلق البشر على صورته، إلا أن النصوص تؤكد جميعها بأن الله دب الروح فى كل مخلوق بأمر إلهى أو كلمة تصدر منه توضح صفة وهيئة ووظيفة هذا المخلوق.

وهذا ما فهمه اليهود من معنى الروح فى قوله تعالى: ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ وهذا هو مافهمه النبى ﷺ أيضاً أو صحابته فى الغالب، فكيف تصور البعض بأن النبى ﷺ مات ولم يعلم أمر الروح تعالى شأن رسول الله عن ذلك علواً كبيراً، لأن مثل هذا القول فيه غض من شأنه وعلمه، ثم كيف يقولون بعد ذلك بأن أمر الروح كان مبهماً فى التوراة ومبهماً على اليهود (والأمر فيها واضح وجلى) مستندين فى ذلك على روايات غير صحيحة وواهية، ومتونها فيها الكثير من الغرابة والإنكار كما قال الكثير من العلماء.

والأدهى والأمر من ذلك هو محاولة البعض ممن لم يجيزوا الكلام فى الروح الإيحاء للناس بأن من يتكلم فى الروح كافر، لأنه يتكلم فى شيء استأثر الله بعلمه ونهى عن الكلام فيه، فهى من الغيبيات التى لايجوز لأحد أن يفكر فيها أو يتساءل عن أى شيء فى شأنها، فمن أين أتوا بهذا الكلام؟ وهل فى الآية مايشير إلى أن الكلام فى الروح كفر؟.

رابعاً: آيات قرآنية وأحاديث نبوية تحث على البحث فى أسرار الخلق والروح:

لم تكن حجج المؤيدين للبحث فى مسألة الروح وما قدمناه من أدلة تثبت أن قوله تعالى: ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ إجابة تشرح وتوضح حقيقة الروح ومعناها هى كل الأدلة على جواز البحث فى مسألة الروح، فهناك الكثير من الأدلة الأخرى فى القرآن والأحاديث النبوية التى تؤيد جواز البحث فى مسألة الروح.

فقد ورد بالقرآن الكريم الكثير من الآيات التى تحث الإنسان على النظر فى آيات الخالق فى السماوات والأرض، والنظر فى الكيفية التى ابتدأ الله بها فى خلق كل المخلوقات بما فيها الإنسان الأول «آدم عليه السلام» وطالما أن الله قد أباح لنا التفكير فى كيفية خلقه لآدم وسائر المخلوقات الأخرى، فقد أباح بهذا ضمنيًا التفكير فى الروح، لأن الروح هى سر الحياة وسر الخلق وسر الوجود فى كل الكائنات وسر خلق آدم.

فمن المستحيل أن نتفكر في خلق آدم وخلق سائر نسله، وكذلك خلق الكائنات الحية الأخرى، أو حتى الجمادات، دون التفكير في الروح وأسرارها وكُنهها وحقيقتها ووظيفتها داخل الجسد وعلاقتها بخلق المخلوق الأول لهذا النوع «آدم في الإنسان مثلاً»، فبدون معرفة هذه الأشياء لن نتمكن من معرفة الكيفية التي خلق الله بها سائر المخلوقات.

فالروح هي التي تجعل الإنسان إنساناً بصفاته وهيئته التي هو عليها، وهي التي تحدد وظيفته في هذا الكون، والروح هي التي تجعل الحيوان حيواناً والجماد جماداً بهيئته وصفته ووظيفته التي هو عليها الآن، وبالتالي لايمكن كما قلنا أن نتفكر في خلق هذه المخلوقات وكيفية بدء الله لخلقها دون البحث في أهم جزئية في خلقها ألا وهي الروح التي وهبتها الحياة وحددت وظيفتها وخرجت بها إلى هذا الوجود، كل هذا للتعرف على آيات وعجائب وأسرار الخالق في خلقه كما أمرنا بذلك في قرآنه الكريم.

وفيما يلي أمثلة على سبيل المثال وليس الحصر لبعض الآيات التي حث الله فيها الإنسان على التفكير في خلق السماوات والأرض والإنسان والبحث في الكيفية التي بدأ بها خلقه لكل مخلوق والتي يفهم منها ضمناً جواز البحث في الروح لأنها سر عملية الخلق :

١ - قال تعالى: ﴿ **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق** ﴾ «العنكبوت: ٢٠». فهذا أمر إلهي لايختص فقط بالبحث في خلق الكائنات بالحالة التي هي عليها الآن ولكن يأمر أيضاً بالبحث في الكيفية «فانظروا كيف» التي بدأ بها خلق السماوات والأرض والإنسان وكل المخلوقات الأخرى.

٢ - قال تعالى: ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق** ﴾ «الطارق: ٥» وهذا أمر إلهي آخر للإنسان بالنظر في الأشياء التي خلقه الله منها، وكيفية خلقه منها وهذه الأشياء كما أخبرنا بها الخالق سبحانه وتعالى هي: الطين «التراب + الماء»، والروح، وهذه هي الأشياء التي خلق الله منها آدم، أما سائر نسل آدم فخلقوا كما أخبرنا سبحانه وتعالى وكما نشاهد في الواقع من نطفة الأمشاج، وهي الخلية الجنينية الأولى التي تتكون في الرحم من اتحاد ماء الرجل وماء المرأة «الحيوان المنوي والبويضة».

وكما هو واضح فالنظر في الأشياء التي خلق الله منها آدم يقتضي التفكير في الروح لأنه خُلق من طين «طين من حمأ مسنون مصلصل كالفخار» + روح.

٣ - قال تعالى: ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت** ﴾ «الغاشية، ١٧-٢٠».

وهذه آيات تحمل لوماً وتوبيخاً من الله لمن يرى آياته ومعجزاته في خلق الإبل والسماء والجبال والأرض ولايؤمن، لأن لفظ «أفلا» يفيد أن هذه الآيات قد نظر فيها

هؤلاء الكافرون وعلموها، ثم علموا منها أن خالقها لابد أن يكون إلهًا واحداً حكيمًا مقتدراً عليمًا قديراً ورغم ذلك لايعترفون بهذا، وتحمل الآية أيضاً حثًا للإنسان على النظر فى كيفية خلق الله للإبل ورفعه للسماء.. الخ. وكل هذه الأشياء خلقت فى البداية من شيء ما وروح والنظر فى خلقها يقتضى النظر فى المادة التى خلقت منها وفى الروح الخاصة بها.

٤ - قال تعالى: ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى. إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ «الزمر، ٤٢».

وهذه الآية تتحدث عن توفى الله للأنفس «وهى جزء من الروح كما سنوضح فى حينه» أثناء النوم وعند الموت، وهو موضوع متعلق بالروح وأحوالها وبعض صفاتها، وختم الله الآية بقوله: ﴿ **إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ أى أن من يتفكر فى أحوال وأسرار هذه النفس «التى هى جزء من الروح» عند خروجها من الجسد أثناء النوم وعند الموت، سيتعرف على الكثير من الآيات «الأسرار والعجائب والمعجزات» الخاصة بهذه النفس «الروح» وكُنهها وأحوالها. .إلخ. لأنه إن لم يتفكر فى كُنهها فلن يصل إلى كيفية خروجها من الجسد أثناء النوم وعند الممات. وبالتالى ففى الآية إباحة وحث من الله على التفكير فى أحوال وكُنه وصفة الروح والنفس التى هى جزء منها.

٥ - قال تعالى: ﴿ **إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض. ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ «آل عمران: ١٩٠ ١٩١».

وهذه آيات أخرى تحث على التفكير فى خلق السماوات والأرض «بداية خلقهما بالطبع، بالإضافة إلى النظر فى الحالة التى هى موجودة بها فى الكون الآن». والنظر فى بداية خلقهما وحالتهما الحالية تقتضى النظر فى المادة التى خلقتا منها والنظر فى الروح التى أحالتهما إلى الحالة التى هما عليها الآن.

هذا بالإضافة إلى الأحاديث النبوية التى أفاض النبى ﷺ فيها فى الكلام على الروح وأحوالها وصفاتها وكيفية خروجها من الجسد عند النوم والممات، ومستقرها وأحوالها بعد الموت فى حياة البرزخ، وسوف نتعرض لهذه الآيات بالشرح والتحليل من خلال فصول هذا الكتاب وهى أحاديث تدل على أن النبى ﷺ كان يعلم جيداً معنى قوله تعالى: ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ وبالتالى لم يكن أمر الروح مبهماً عليه، أو أن الله لم يطلعه على أسرارها.

خامساً: ما قاله علماء السلف والمعاصرين فى تعريف الروح والنفس:

نقل السيوطى بعض ما قاله العلماء فى النفس والروح فى كتابه «شرح الصدور» ونذكر مما نقله الآتى:

«.... وفرقة تكلمت فى الروح وبحثت عن حقيقتها، وقال النووى: وأصح ما قيل فى ذلك قول إمام الحرمين إنها جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر» وأكثر المسلمين على أن الروح جسم وهو الذى دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة لوصفها فى الآيات والأحاديث بالتوفى والقبض والإمساك والإرسال والتناول والإخراج والخروج والتنعيم والتعذيب والرجوع والدخول والرضا والانتقال والتردد فى البرزخ، وأنها تأكل وتشرب وتسرح وتأوى وتعلق وتنطق وتعرف وتنكر.. إلى غير ذلك مما هو من صفات الأجسام والعرض لايتصف بهذه الصفات أيضاً فلا شك أنها تعرف نفسها وخالقها وتدرك المعقولات وهذه علوم، والعلوم أعراض فلو كانت الروح عرضاً والعلم قائم به لزم قيام العرض بالعرض وهذا قول فاسد.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيرى: وكون الروح من الأجسام اللطيفة فى الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة والصحيح أن الروح والنفس شيء واحد..

وقال بعض أهل السنة إن الروح التى تقبض غير النفس، ويؤيد ذلك ما أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ قال: فى جوف الإنسان نفس وروح، بينهما مثل شعاع الشمس فيتوفى الله النفس فى منامه ويدع الروح فى جوفه، وقال مقاتل: للإنسان حياة وروح ونفس فإذا نام خرجت نفسه التى يعقل بها الأشياء، ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التى خرجت منه، وتبقى الحياة والروح فى الجسد فيهما يتقلب ويتنفس فإذا تحرك رجعت إليه أسرع من طرفة عين فإذا أراد الله أن يميته فى المنام أمسك تلك النفس التى خرجت.

وقال ابن عبدالبر فى التمهيد: إن عبدالرحمن بن القاسم بن خالد صاحب مالك قال: النفس جسد مجسد كخلق الإنسان، والروح كالماء الجارى.. فالنفس غير الروح والروح كالماء الجارى فى الجنان، فإذا أراد الله إفساد ذلك البستان منع عنه الماء الجارى فيه فماتت جناته فكذلك الإنسان.

وقال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام: فى كل جسد روحان إحداهما روح اليقظة التى أجرى الله العادة أنها إذا كانت فى الجسد كان الإنسان مستيقظاً، فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان ورأت تلك الروح المنامات، والأخرى روح الحياة التى أجرى الله العادة أنها إذا كانت فى الجسد كان حياً فإذا فارقت الجسد مات، فإذا رجعت إليه حى، وهاتان الروحان فى باطن

الإنسان لايعرف مقرهما إلا من أطلعه الله على ذلك، مثلهما كجنينين فى بطن امرأة واحدة.

ويدل على وجود روحى الحياة واليقظة قوله تعالى: ﴿**الله يتوفى الأنفس**﴾ الآية. تقديره يتوفى الأنفس التى لم تمت أجسادها فى نومها فيمسك الأنفس التى قضى عليها الموت عنده ولايرسلها إلى أجسادها ويرسل الأنفس الأخرى وهى أنفس اليقظة إلى أجسادها إلى انقضاء أجل الموت فحينئذ تقبض أرواح الحياة وأرواح اليقظة جميعاً من الأجساد ولاتموت أرواح الحياة بل ترفع إلى السماء حية».. ثم قال السيوطى: «وما ذكر من أن الروح فى القلب قد جزم به الغزالى فى كتابه «الانتصار» وقد ظفرت له بحديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخه عن الزهرى أن خذيمة بن حكيم السلمى ثم النميرى قدم على النبى ﷺ يوم فتح مكة فقال: يا رسول الله أخبرنى عن ظلمة الليل و.... وعن موضع النفس من الجسد.. فقال رسول الله ﷺ:.... وأما موضع النفس ففى القلب والقلب معلق بالنياط والنياط معلق بالعروق فإذا هلك القلب انقطع العرق.. وهذا مرسل وله طرق أخرى مرسلة وموصولة وقال ابن حجر فى الإصابة: والحديث فيه غريب كثير وإسناده ضعيف جداً.

وأجمع أهل السنة على أن الروح محدثة مخلوقة ولم يخالف فى ذلك إلا الزنادقة وممن نقل الإجماع على حدوثها: محمد بن نصر المروزى وابن قتيبة.... واختلف فى تقديم خلق الأرواح على الأجساد وتأخيرها عنها على قولين مشهورين. وبالأول قال الإمام محمد بن نصر المروزى وابن حزم وادعى فيه الإجماع واستدل له بحديث عمرو بن عنبسة الذى أخرجه ابن منده مرفوعاً «إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفى عام، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف». والحديث سنده ضعيف جداً، وبأحاديث إخراج ذرية آدم من ظهره.. واستدل للثانى بقوله تعالى: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً**﴾ وروى أنه «أى آدم» مكث أربعين سنة قبل أن ينفخ فيه الروح وبحديث عبدالله بن مسعود: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح».

وأجيب «الكلام هنا للسيوطى» بالفرق بين نفخ الروح وخلقه فالروح مخلوقة من زمن طويل وأرسلت بعد تصوير البدن مع الملك لإدخالها فى البدن، وذهب أهل الملة من المسلمين وغيرهم إلى أن الروح تبقى بعد موت البدن.. وفى كتاب «الروح» لابن القيم اختلف فى أن الروح تموت مع البدن أم الموت للبدن وحده على قولين، والصواب أنه إن أريد بذوقها الموت مفارقتها للجسد فنعم هى ذائقة الموت بهذا المعنى، وإن أريد أنها تعدم فلا بل هى باقية بعد خلقها بالإجماع فى نعيم أو عذاب..». انتهى ما نقلناه عن السيوطى[1].

(١) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور - السيوطى - باب فوائد تتعلق بالروح.

وروى عن ابن عباس أن فى ابن آدم نفساً وروحاً بينهما تعلق مثل شعاع الشمس، فالنفس هى التى بها العقل والتمييز، والروح هى التى بها النفس والحياة، فإذا نام الإنسان قبض الله نفسه ولم يقبض روحه، وإذا مات قبض الله نفسه وروحه معاً» [1].

ونقل «الألوسى» فى تفسيره، ما قاله العلماء فى النفس والروح أيضاً ونذكر مما قاله بخلاف ما ذكره السيوطى الآتى:

« .... وقيل إن الإنسان هو الروح الذى فى القلب، وقيل إنه جزء لايتجزأ فى الدماغ، وقيل: إنه أجزاء نارية مختلطة بالأرواح القلبية والدماغية وهى المسماة بالحرارة الغريزية، وقيل: هو الدم الجارى فى البدن، وقيل وقيل إلى نحو ألف قول، والمعول عليه عند المحققين قولان، الأول: أن الإنسان عبارة عن جسم نورانى علوى حى متحرك مخالف بالماهية لهذا الجسد المحسوس، سارٍ فيه سريان الماء فى الورد، والدهن فى الزيتون، والنار فى الفحم، لايقبل التحليل والتبدل والتفرق والتمزق مفيد للجسم المحسوس بالحياة وتوابعها مادام صالحاً لقبول الفيض لعدم حدوث ما يمنع من السريان كالأخلاط الغليظة ومتى حدث ذلك حصل الموت لانقطاع السريان. والروح عبارة عن ذلك الجسم.

وقال ابن القيم فى كتابه «الروح» أنه الصواب ولا يصح غيره وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة وذكر له مائة دليل وخمسة أدلة فليراجع.

الثانى: أن الروح ليست بجسم ولا جسمانى، وليست بداخل العالم ولا خارجه، ولا متصلة به ولا منفصلة عنه ولكنها متعلقة بالبدن تعلق التدبير والتصرف، وهذا قول أكثر الإلهيين من الفلاسفة، وذهب إليه جماعة عظيمة من المسلمين منهم الشيخ أبو القاسم الراغب الأصفهانى. وحجة الإسلام أبو حامد الغزالى ،ومن المعتزلة معمر ابن عباد السلمى، ومن الشيعة الشيخ المفيد، ومن الكرامية جماعة.. وللشيخ الرئيس ابن سينا رسالة مفردة فى ذلك سماها «الحجج الغر» أحكمها وأتقنها ما يبتنى على تعقل النفس لذاتها. وقد زيف ابن القيم حججه فى كتابه «الروح» وهو كتاب مفيد جداً يهب للروح روحاً ويورث للصدرشرحاً.

واختلف الناس فى حدوث الروح وقدمها، وقد أجمع المسلمون على أنها حادثة حدوثاً زمنياً كسائر أجزاء العالم، إلا أنهم اختلفوا فى أنه: هل هى حادثة قبل البدن أم بعده.

واختلف الناس فى الروح والنفس: هل هما شىء واحد أم شيئان، فحكى ابن زيد عن أكثر العلماء أنهما شىء واحد فقد صح فى الأخبار إطلاق كل منهما على الآخر.

وقال ابن حبيب: هما شيئان، فالروح هى النفس المتردد فى الإنسان، والنفس أمر غير ذلك، لها يدان ورجلان ورأس وعينان، وهى التى تلتذ وتتألم وتفرح وتحزن، وإنها هى التى

---

(١) نقلاً عن: أسرار الموت والحياة د. السيد سلامة السقا، ص ٩٤.

تتوفى في المنام وتخرج وتسرح وترى الرؤيا ويبقى الجسد دونها بالروح فقط لايلتذ ولا يفرح حتى تعود.

وحكى ابن منده عن بعضهم أن النفس طينية نارية والروح نورية روحانية.. وذكر أهل الأثر: أن قوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة، والبلاء معجون فيها ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه لأنها لاتريد إلا الدنيا ولاتحب إلا إياها، والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها.

وفي «منتهى المدارك» للمحقق الفرغاني: أن النفس المضافة إلى الإنسان عبارة عن بخار ضبابي منبعث من باطن القلب الصنوبري، حامل لقوة الحياة متجنس بأثر الروح الروحانية المرادة بقوله تعالى: ﴿ **ونفخت فيه من روحي** ﴾ الثابت تعينها في عالم الأرواح، وأثرها واصل إلى هذا البخار الحامل للحياة، فالنفس إذن أمر مجتمع من البخار ووصف الحياة وأثر الروح الروحانية، وهذه النفس بحكم تجنسها بأثر الروح الروحانية متعينة لتدبير البدن الإنساني قابلة لمعالي الأمور وسفاسفها كما قال تعالى: ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ والروح الروحانية أمر لا يكتنه، والحق أنهما قد يتحدان إطلاقاً وقد يتغايران.

واختلف الناس في الروح هل تموت أم لا؟ فذهبت طائفة إلى أنها تموت لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت. وقد دل الكتاب على أنه لايبقى إلا الله تعالى وحده وهو يستدعي هلاك الأرواح كغيرها من المخلوقات، وإذا كانت الملائكة يموتون فالأرواح البشرية أولى.

وقالت طائفة: إنها لا تموت للأحاديث الدالة على نعيمها وعذابها بعد مفارقتها للأجساد إلى أن يرجعها الله تعالى إلى الجسد.. والصواب أن يقال: موت الروح هو مفارقتها الجسد، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل فهي لاتموت بل تبقى مفارقة ما شاء الله ثم تعود إلى الجسد.. وهي مستثناة ممن يصعق عند النفخ في الصور، على أن الصعق لايلزم منه الموت، والهلاك ليس مختصاً بالعدم بل يتحقق بخروج الشيء عن حد الانتفاع به ونحو ذلك..إلخ. انتهى ما نقلناه عن الألوسي[1].

وقال ابن تيمية: إن الروح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، والدلائل على ذلك منها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **الله خالق كل شيء** ﴾ «الزمر:٦٢» وهو لفظ عام لاتخصيص فيه بوجه ما، ومعلوم قطعاً أن الروح ليست هي الله ولا صفة من صفاته، وإنما هي مصنوع من مصنوعاته، فوقوع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة والجن والإنس[2].

وقال أبو بكر بن الباقلاني ومن اتبعه من الأشعرية: النفس هي النسيم الداخل والخارج

---

(١) تفسير روح المعاني – الألوسي – سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) أسرار الحياة والموت – مصدر سابق، ص ٩٠.

بالتنفس، والروح عرض وهو الحياة فقط وهو غير النفس.

وذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس أو غيرها وقرر أن الروح هي أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن، فهي من وجه لا من كل وجه، وقال إن الروح ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر، وأكد أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم فهي إما نفس مطمئنة أولوامة أو أمارة بالسوء. (١).

ورأى أبو محمد بن حزم أن النفس والروح شيء واحد، فقال: «النفس والروح اسمان مترادفان لمعنى واحد، ومعناهما واحد، وذهب سائر أهل الإسلام والملل المقرة بالمعاد إلى أن «النفس جسم طويل عريض عميق، ذات مكان ومتحيزة، وهي المصرفة للبدن» (٢).

وكان الجبائي يذهب إلى أن الروح جسم وأنها غير الحياة، والحياة عرض ويؤكد أن الروح لاتجوز عليها الأعراض (٣).

وحكى أبو الحسن الأشعري في مقالاته عن جعفر بن حرب أن النفس عرض من الأعراض يوجد في هذا الجسم، وهو أحد الآلات التي يستعين بها الإنسان على الفعل، كالصحة والسلامة، وأنها غير موصوفة بشيء من صفات الجواهر والأجسام (٤).

وقال النظام: الروح جسم وهي النفس، وأكد أن الروح حي بنفسه وأنكر أن تكون الحياة والقوة معنى غير الحي القوى (٥).

وأكد «ابن قيم الجوزية» رأى من قالوا أن الروح والنفس شيء واحد وأنها جسم، وأقرهم أيضاً على أنها جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وأنها جسم نوراني علوى خفيف متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسرى فيها سريان الماء في الشجر وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، وأن الإنسان يظل حياً طالما بقيت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من الروح: كالحس والحركة والإرادية.

فإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها ولم تعد صالحة لقبول تلك الآثار، فارقت الروح البدن وانفصلت عنه إلى عالم الأرواح ثم قال: وهذا القول هو الصواب والذى لايصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة (٦). وساق أكثر من مائة دليل تؤكد أن الروح جسم وليست

---

(١) نقلاً عن: تفسير القرآن العظيم ابن كثير تفسير سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) نقلاً عن: الروح ابن قيم الجوزية المسألة التاسعة عشر: ما هي حقيقة النفس.

(٣، ٤، ٥) نفس المصدر السابق.

(٦) الروح ابن قيم الجوزية فصل: القول الصواب في حقيقة الروح.

عرض من أعراض الجسد أو جوهر مجرد ليس بجسم.

وفيما يلي ملخص موجز جداً لبعض حججه:

١ - الآية ٤٢ من سورة الزمر التي أخبرت بتوفي النفس وإمساكها وإرسالها مما يدل على أنها جسم.

٢ - الآيتان ٩٣، ٩٤ من سورة الأنعام اللتان أشارتا إلى بسط الملائكة أيديهم عند الوفاة لتناولها.

٣ - وصفها في الآيات والأحاديث بالخروج من الجسد والدخول فيه، ووقوع العذاب عليها ومجيئها إلى ربها وصعودها إلى السماء ونزولها إلى الأرض. .إلخ. فكل هذه الأشياء لاتطلق إلا على الأجسام وليس على الأعراض أو الجواهر[١].

٤ - قوله ﷺ: «إن الروح إذا قبضت تبعها البصر» وهذا يدل أن البصر يراها عند الموت وهي خارجة من الجسد، مما يدل على أنها جسم.

٥ - خروجها من جسد المؤمن كما ذكر بالأحاديث النبوية: تسيل كما يسيل الماء من السقاء، مما يدل على أنها جسم يخرج من الجسد يسيل.

٦ - أنها تأكل من ثمار الجنة وتشرب من أنهارها أثناء حياة البرزخ إذا كانت مؤمنة، أو تعذب في النار إذا كانت كافرة. والأكل والشرب والنعيم والعذاب لايحدث إلا للأجسام وليس الأعراض أو الجواهر.

٧ - فتح أبواب السماء لها أو غلقها في وجهها، وهذا لايتم إلا إذا كانت جسماً.

٨ - تكفين الملائكة لها عند الموت وانبعاث رائحة طيبة أو خبيثة منها.

٩ - رؤية النبي ﷺ لأرواح الأنبياء والمعذبين أو المنعمين في حياة البرزخ ليلة الإسراء والمعراج، يدل على أن النبي شاهد أرواح هؤلاء متحيزة بمكان معين.

وقال «ابن القيم» في سبب تسمية الروح: بالروح والنفس مايلي:

«أن الروح سميت روحاً، لأن بها حياة البدن، وكذلك سميت الريح لما يحصل بها من الحياة، وسميت نفساً، إما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها، وإما من تنفس الشيء إذا خرج، وأن العبد كلما نام خرجت منه، فإذا استيقظ رجعت إليه، فإذا مات خرجت خروجاً كلياً، فإذا دفن عادت إليه، فإذا سئل خرجت، فإذا بعث رجعت إليه، فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات، وإنما سمي الدم نفساً لأن خروجه الذي يكون معه الموت يلازم خروج النفس، وإن الحياة لا تتم إلا بالنفس».

---

(١) الجوهر: الشيء بنفسه، العرض: الشيء القائم بغيره.

وفي موضع آخر قال «ابن القيم» : وأطلقت النفس فى القرآن على الذات بجملتها وعلى الروح وحدها. وساق الآيات الدالة على ذلك.

ثم قال : ولا تطلق الروح على البدن لا بانفراده ولا مع النفس، وأطلقت الروح أيضاً على القرآن وعلى الوحى وعلى القوة والثبات وعلى جبريل وعلى الروح الذى سأل عنه اليهود فأجيبوا بأنها من أمر الله ورجح القول القائل بأنه الملك الروح. وكذلك أطلق الروح على المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وعلى الفرج والرحمة والسعادة والمغفرة وساق الآيات الدالة على كل ذلك.

ثم قال : أما أرواح بنى آدم فلم تقع تسميتها فى القرآن إلا بالنفس، وأما فى السنة فجاءت بلفظ النفس والروح.

ورأى الدكتور محمد سلام مدكور أن فى الإنسان روحين، روحًا إنسانية وروحًا حيوانية وعرفهما بقوله : «أما الروح الحيوانية فيكون بها الحس والحركة وهذا هو القدر المشترك بين الإنسان وبين الحيوان، وهو معنى ينفصل عن الإنسان بموته كما تنفصل روح الحيوان عنه بالموت، والظاهر أن محله الدم، فإنه هو الذى يتحرك به كل من الإنسان والحيوان.

أما الروح الإنسانية فهى التى يتميز بها الإنسان عن غيره والتى يطلق عليها تارة اسم العقل، وتارة النفس الناطقة، وتارة يعبر عنه باسم الإنسان والناس مضطربون فى فهم هذه الروح أهى مادة أم معنى.....» [1].

هذه هى أهم الآراء التى قيلت فى تعريف حقيقة الروح والنفس وكُنهها وكل من تحدث من العلماء فيها، يعتبر كلامه عليها إجازة غير صريحة منه للكلام فى الروح والنفس، وكل هذه الآراء استنتجها أصحابها مما قيل عن الروح والنفس فى القرآن والأحاديث النبوية وأقوال الفلاسفة القدماء، وكل منهم كان له حجته من الكتاب والسنة فى التدليل على ماوصل إليه بشأنهما.

والسؤال الآن : هل من الممكن أن نقول أن هناك رأيًا من هذه الآراء هو الرأى الصواب أو الأرجح؟ أم أن الرأى الصائب قول آخر يجمع كل هذه الآراء أويوفق بينها؟ أم هو رأى آخر مختلف تماماً عن كل هذه الآراء ويردها جميعاً؟.

وبالقطع القول بأن الرأى الصواب رأى مختلف عن كل هذه الآراء ويردها جميعاً، قول بعيد تماماً عن الصحة والمعقول، لذا فالرأى الصواب هو رأى لايختلف كثيراً عن الآراء السابقة، وقد يجمع ويؤلف بينها جميعاً.

---

(١) الجنين وأحكامه فى الفقه الإسلامى د. محمد سلام مدكور، ص ٩١ ٩٢، ط١.

ولكى نصل إلى الرأى الصواب فى هذه المسألة، تعالوا أولاً لنتعرف على ماقيل عن الروح والنفس فى القرآن والأحاديث النبوية، ثم نربط بين ما ورد فى القرآن وبين أحدث الاكتشافات فى علم الهندسة الوراثية والتى كانت تركز أبحاثها على نواة الخلية الحية، حيث ثبت أن سر الحياة «الروح» يكمن فى هذه النواة.

الفصل الثانى

أسرار الخلق والروح والنفس
فى القرآن والأحاديث النبوية

أولاً: الأشياء التي وصفها الله بالروح في القرآن:

لم تكن الروح الإنسانية هي الشيء الوحيد الذي أعطاه الخالق سبحانه وتعالى صفة الروح في القرآن الكريم، فقد وصف أكثر من شيء بنفس هذه الصفة:

- فوصف سبحانه وتعالى القرآن بالروح في قوله تعالى: ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا** ﴾ «الشورى:٥٢».

- ووصف الله الوحي الذي يوحيه إلى رسله وأنبياءه روحاً في قوله تعالى: ﴿ **يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق** ﴾ «غافر:١٥»، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** ﴾ «النحل، ٢».

- ووصف الله جبريل عليه السلام بالروح الأمين والروح القدس في قوله تعالى: ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ «الشعراء، ١٩٣-١٩٤»، وقوله ﴿ **قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا** ﴾ «النحل، ١٠٢».

- وأطلق وصف الروح على ملك يسمي بالملك الروح كما قال المفسرون وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون** ﴾ «النبأ، ٣٨» وقوله تعالى: ﴿ **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر** ﴾، «القدر،٤».

- ووصف الملك الذي أتى لمريم ليخلق منها عيسي بأمر الله بأنه روح مرسل من الله وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فأرسلنا لها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً** ﴾، «مريم، ١٧».

- ووصف الله عيسى بأنه روح منه كما قال بعض المفسرين وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾ «النساء، ١٧١».

- وسميت بالروح النفخة التي كان ينفخها عيسى في الطير الذي يشكله من الطين فتحوله هذه النفخة إلى طير بإذن الله. وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله** ﴾، «آل عمران،٤٩».

- وسميت روحًا أيضاً النفخة التي نفخها الله سبحانه وتعالى في الصلصال المشكل على صورة آدم فحولته إلى آدم الإنسان. وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وإذا قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمإٍ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾،

حجر: ٢٨-٢٩» وكذلك قوله تعالى: ﴿ **إذا قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾ «ص، ٧١-٧٢».

- ووصف الله الفرج الذى يمنحه لعباده بعد الشدة والضيق والحزن روحاً، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من رَوْحِ الله إلا القوم الكافرون** ﴾ «يوسف، ٨٧» فروح الله فى هذه الآية هو فرج الله الذى يأتى بعد الضيق والشدة كما ذهب إلى ذلك معظم المفسرين.

- وأطلق على الحياة والنعيم الذى ينتعم فيه المؤمنين فى الآخرة لفظ روح أيضاً وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **فأما إن كان من المقربين. فَرَوْحٌ وريحان وجنة نعيم** ﴾ «الواقعة، ٨٨-٨٩».

- وأطلق على القوة الإيمانية والتأييد الذى يؤيد الله به عباده المؤمنين فيثبت به قلوبهم على الإيمان والحق لفظ الروح أيضاً، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾ «المجادلة، ٢٢».

- وأطلقت الروح على الأمر الإلهى الذى يخلق به الله أى شىء يريده وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ «الإسراء، ٨٥».

ثانياً: سر إطلاق لفظ الروح على: النفخة الواهبة للحياة - القرآن - الوحى - جبريل - الرحمة والفرج - التثبيت على الإيمان - الملك المرسل لمريم - الحياة الآخرة:

من الآيات التى عرضناها فى الفقرة السابقة نجد أن الروح أطلقت على أكثر من شىء فى القرآن، وهذه الأشياء هى: النفخة التى ينفخها الله فى الطين فتحوله إلى الكائن الحى المشكل فى صورته هذا الطين - القرآن - الوحى - جبريل - عيسى - الفرج - التثبيت على الإيمان - الملك الذى أرسل لمريم ليهب لها عيسى بأمر الله - الحياة الآخرة.

والروح كما عرفها الله بصفة عامة هى الأمر الإلهى على النحو السابق شرحه والسؤال الآن ما هو سر إطلاق وصف الروح على هذه الأشياء؟ وماهى العلاقة بينها وبين الأمر الإلهى؟

١- القرآن روح لأنه كتاب الأوامر الإلهية التى تهدى البشر وتصلح حياتهم ونفوسهم:

أطلق الله وصف الروح على القرآن فى قوله تعالى: ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا** ﴾، «الشورى: ٥٢».

وقد ذهب معظم المفسرين إلى أن الروح المذكور فى هذه الآية هو القرآن، وسياق الآية يؤكد هذا القول. وكما نعلم فالقرآن هو كلام الله أو بمعنى أدق أوامره لأن كل كلام الله

أوامر. والقرآن أوامر الله التى تهدى البشر إلى الطريق المستقيم والهداية والنور وتوضح لهم القواعد والنظم والشرائع التى تنظم العلاقات فيما بينهم وتعطى لكل ذى حق حقه وتنفعهم فى معايشهم وحياتهم الدنيا ومنها آيات تفيدهم صحياً ومعنوياً وترتقى بنفوسهم، وتبين لهم الثواب أو العقاب الذى سيلقوه فى الدار الآخرة نتيجة لأعمالهم من خير أو شر فتطمئن وتهدأ بذلك نفوس المؤمنين. وبصفة عامة يمكننا أن نقول إن القرآن الكريم هو أوامر الله التى تصلح للبشر حياتهم الدنيا ونفوسهم وأرواحهم، ولهذا سماه الله روحاً، ومن هذا نستنتج أن الروح تطلق على كل أمر إلهى يتسبب فى إيجاد الحياة «خلق كائن» من شىء جامد «طين من صلصال من حمإٍ مسنون كما فى حالة آدم مثلاً» وكذلك تطلق على كل أمر إلهى يصدر بعد ذلك لهذا المخلوق الذى أصبح كائنًا حيًا ويكون فى هذا الأمر إصلاح روحه أو نفسه وتنظيم حياته أو شفائه من مرض عضوى أو نفسى، لأن الشفاء من مرض عضوى يعد إحياء وبعث روح جديدة فى جزء معين من الجسد أصابه التلف أو الموت مثلاً، والشفاء من أمراض النفس كالحقد والغيرة والحسد والشر.. إلخ - يعد إحياء لهذه النفوس أيضاً وقد أكد الله سبحانه وتعالى أن القرآن الكريم فيه هدى وشفاء للمؤمنين فى قوله تعالى: ﴿ **ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء** ﴾، «فصلت، ٤٤». وقوله تعالى ﴿ **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** ﴾، «يونس، ٥٧». والموعظة والشفاء اللتان أتيا من الله موجودتان بالقرآن، فهو كتاب يحمل الأوامر الإلهية الخاصة بالهداية والشفاء لما فى الصدور.

٢- الوحى روح لأنه كلام أو أوامر الله المرسلة إلى أنبياءه لهداية البشر:

الوحى فى اللغة الإلهام أو الحديث مع شخص بكلام يخفى على غيره، وأوحى الله إليه أى أرسل إليه، ويطلق الوحى بصفة عامة على مايرسله الله إلى أنبيائه من أوامر ليبلغوها إلى البشر.

وبصفة عامة فالوحى كلام أو أمر إلهى منزل للبشر وينطبق عليه ماينطبق على القرآن، لأن القرآن ماهو إلا وحى أيضاً، ولهذا أطلق على الوحى روح، كما أطلق على القرآن الكريم روح.

٣- جبريل روح لأنه حامل الوحى «الأوامر الإلهية»:

أما جبريل فقد أطلق عليه الروح القدس والروح الأمين لأنه كان يحمل الوحى أو الأوامر الإلهية «ومنها القرآن» والتى فيها كما قلنا إصلاح لحياة البشر ونفوسهم وشفاء لما فى صدورهم وبشارات وإنذارات.. إلخ.

ومن هذا نستنتج أن حامل الأمر الإلهى أيضاً يطلق عليه روح، أى أن الروح تطلق على

الأمر الإلهى نفسه وعلى الشيء «الملك أو أى شيء آخر» الحامل لهذا الأمر لتبليغه أو تنفيذه من قبل شخص أو شيء أخر «كسيدنا محمد ﷺ والبشر عامة».

والسؤال الآن: إذا كان جبريل وهو حامل للأمر الإلهى قد أطلق عليه روح فلماذا لم يطلق على سيدنا محمد ﷺ روح أيضاً طالما أنه حمل أيضاً هذا الأمر لإبلاغه للبشر فكان هنا مجرد واسطة أيضاً بين الله والبشر، والإجابة ببساطة أن سيدنا محمد ﷺ تلقى الأمر من جبريل وليس من الله مباشرة أما جبريل فتلقاه من الله مباشرة. وكل متلقٍ للأمر الإلهى بصفة مباشرة منه هو الذى يسمى روحاً.

ومن هذا نستخلص أن الروح تطلق على متلقى أو حامل الأمر الإلهى من الله مباشرة وأرجو أن تضعوا هذه الاستنتاجات فى الحسبان جيداً لأننا سنحتاج إليها عند البحث عن الروح أو الشيء الحامل للروح داخل جسد الإنسان وسائر الكائنات الحية.

٤- الملك المرسل لمريم روح لأنه حامل الأمر الإلهى بخلق عيسى داخل رحمها:

الآية السابق ذكرها والتى أطلق الله فيها اسم الروح على الملك الذى أرسله لمريم لخلق عيسى فى رحمها، يتضح منها أن حامل الأمر الإلهى «الملك» الخاص بالخلق يطلق عليه روح أيضاً. وقد قيل فى بعض الروايات أن هذا الملك هو جبريل وفى روايات أخرى قيل أنه كان ملك آخر.

وذهب بعض المفسرين إلى أن الله أطلق على عيسى أيضاً لفظ «روح» وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾، «النساء، ١٧١» ولكنى أرى أن لفظ «وروح منه» ليس عائداً على عيسى وإنما يقصد منه الملك الذى أرسل إليها «أى أن عيسى خُلق بكلمة وملك وروح قام بتنفيذها» وعموماً فليس هناك مانع من اعتبار لفظ «وروح منه» فى الآية عائداً على عيسى. وفى هذه الحالة سنقول إن عيسى أطلق عليه روح من الله لأنه خُلق بكلمة منه حملها الملك وخلق منها عيسى بأمر الله داخل رحم مريم.

لكن لو سلمنا بذلك فلابد أن نطلق على آدم أيضاً روحاً لأنه خُلق بكلمة «أمر إلهى مباشر». والقرآن لم يطلق عليه هذه الصفة وبالتالى فإنى أرى أن الأقرب للصواب القول بأن «روح منه» عائدة على الملك الذى سبق وأن أطلق الله عليه لفظ الروح، لأنه كان يحمل الأمر الإلهى الخاص بخلق عيسى «الروح التى سيخلق عيسى منها».

٥- الرحمة والفرج من الله روح لأنهما أمر إلهى يفرح ويصلح النفوس:

أطلق القرآن لفظ روح على الرحمة والفرج كما سبق وأن ذكرنا الآية الدالة على ذلك، لأن الفرج والرحمة يفرحان النفوس ويصلحانها فى أغلب الأحيان وطالما ترتب عليهما تغيير حالة النفس «وهى جزء من الروح» فقد تم إطلاق صفة الروح عليهما.

ومن هذا نستنتج أن الروح تطلق أيضاً على الأمر الإلهى الذى يؤدى إلى تغيير حالة الأرواح أو النفوس إلى الأفضل، ونفس الوضع ينطبق على التثبيت على الإيمان.

٦- الفوز بنعيم الحياة الآخرة روح لأنه أمر إلهى يفرح نفوس المؤمنين بخلودهم فى الجنة:

فوز المؤمنين برحمة الله فى الآخرة وأمره لهم بدخول الجنة والتنعم فى نعيمها إلى الأبد وصف بالروح فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ﴾، «الواقعة ٨٨-٨٩» لأنه أمر إلهى سيسعد ويفرح ويطمئن نفوس هؤلاء المؤمنين بخلودهم فى هذا النعيم إلى ما لانهاية، فهو مثل الفرج والرحمة ولكن هذا فرج أبدى ورحمة أبدية ونعيم أبدى.

٧ - النفخة الواهبة للحياة فى المخلوق روح لأنها أمر إلهى خاص بخلق المخلوق بصفته وهيئته:

أما النفخة التى نفخها الله فى الطين فخلق منها آدم والنفخة التى كان ينفخها عيسى فى الطين المشكل بصورة الطير فيخلق منها طيراً بأمر الله فقد وصفت بالروح فى القرآن الكريم لأنها الأمر الإلهى الذى كان يهب لهذا الطين الحياة الخاصة بالمخلوق المراد خلقه، وهى التى كانت تحيل هذا الطين من حالته الطينية إلى المخلوق المشكل هذا الطين فى صورته.

ونفس الوضع ينطبق على كل المخلوقات بما فيها الجمادات، فالجمادات كما قال معظم العلماء فيها روح أيضاً. فقد أكد ابن القيم ذلك وكثير من المفسرين القدماء وعلماء الطبيعة والأحياء المعاصرون لأن الجمادات فيها حياة وحركة ونشاط. وبالتالى ففيها روح «حياة من نوع ما».

ومن هذا نستنتج أن روح الخلق أو الروح الموجودة فى أى كائن حى أو جماد هى الأمر الإلهى الذى يحيل شيئًا جامداً مثلاً إلى شىء حى كما فى حالة تحويل الطين إلى آدم والطير الذى يخلقه عيسى بأمر الله.

أو هى الأمر الذى يحيل شيئًا جامداً ذا صفات معينة إلى شىء جامد آخر ذى صفات مختلفة.

ومما سبق يمكن أن نجمل صفات الأشياء الموصوفة بالروح فى القرآن فى الآتى:

١- الأوامر الإلهية التى تصلح النفوس أو تشفيها أو تهدى البشر أو تفرح وتسعد نفوسهم وتغير أحوالها إلى الأفضل «مثل القرآن والوحى والرحمة والفرج».

٢- الأوامر الإلهية الخاصة بالخلق والتى هى عبارة عن نفخة «كلام أو أوامر» صادرة من الله إلى شىء جامد ليتحول إلى مخلوق حى بصفات معينة أو إلى شىء جامد ليتحول إلى شىء جامد آخر له صفات مختلفة أو إلى نار ونور ليتحولا إلى جن وملائكة رحمة أو.. إلخ.

٣- حاملى الأوامر الإلهية الخاصة بالخلق أو إصلاح نفوس المخلوقات وأرواحها والمتلقين لهذا الأمر بصفة مباشرة من الله دون وساطة «مثل جبريل والملك المرسل لمريم».

ثالثاً: الروح فى الكائن الحى أمر إلهى يحدد صفات المخلوق ويخلق خلاياه المكونة لجسده:

لكى نصل إلى معرفة حقيقة الروح، لابد أن نراجع ما قيل عنها فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لنتعرف على وظائفها وأعمالها داخل الجسد وحال الجسد قبل دخولها فيه وبعد خروجها منه.

١- الروح أحالت صلصال آدم إلى جسد ذى لحم ودم وأعضاء وخلايا:

فى البداية يجب أن نتعرف على آثار الروح فى الإنسان. وهذا يستلزم أولاً التعرف على التغيرات التى حدثت فى جسد آدم عقب دخول هذه الروح فيه.

قال تعالى: ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾، «ص، ٧١-٧٢».

وقال تعالى: ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمإٍ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾، «الحجر: ٢٨-٢٩».

وقال تعالى: ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ «آل عمران، ٥٩».

وقال تعالى: ﴿ **الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون** ﴾، «السجدة، الآية: ٧-٩».

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون، والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾، «الحجر: ٢٥-٢٦».

﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين** ﴾، «سورة المؤمنون: ١٢».

﴿ **هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة** ﴾، «غافر: ٦٧».

﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار** ﴾، «الرحمن: ١٤».

﴿ **فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب** ﴾، «الصافات: ١١».

هذه بعض الآيات المتعلقة بخلق الإنسان فى مراحله الأولى أو بمعنى أدق المتعلقة بخلق آدم. وهذه الآيات توضح الطريقة التى خلق الله بها آدم ومراحل خلقه، ويمكن أن نوجز هذه المراحل فى الآتى:

تراب ـ طين «تراب + ماء» ـ صلصال من حمإ مسنون ـ صلصال كالفخار ـ تسوية ونفخ الروح فى الصلصال.

ومعنى الصلصال: الطين اليابس الذى يصلصل عند نقره، المتخذ من الطين الرطب الآسن من حمإ مسنون: أى من طين أسود متغير.

أما الأحاديث النبوية فقد ورد فيها الكثير من التفاصيل عن كيفية خلق الله لآدم. وهذه الأحاديث منها الصحيح والضعيف والموضوع.

عن هوذة عن عوف عن قسامة بن زهير سمعت الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك». «أخرجه أحمد ٤ / ٤٠٠، ٤٠٦ - أبو داود ٤ / ٢٢٢ والترمذى ٥ / ٢٠٤ وقال: حديث حسن صحيح- وابن حبان فى صحيحه ٨ / ٢٠ الإحسان - والحاكم فى مستدركه ٢ / ٢٦١ وصححه وأقره الذهبى».

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لما نُفخ فى آدم فبلغ الروح رأسه عطس فقال: الحمد لله رب العالمين. فقال له الله تبارك وتعالى: يرحمك الله». «أخرجه ابن حبان فى صحيحه ص ٥٠٨، موارد حديث ٢٠٨١».

عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يدعه، فجعل إبليس يطيف به «ينظر إليه» فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك». «أخرجه أحمد ٣/ ١٥٢، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٥٤، ومسلم ٤ / ٢٠١٦».

قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عقبة بن مكرم. حدثنا عمرو بن محمد بن إسماعيل بن رافع عن المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من تراب ثم جعله طيناً، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار كان إبليس يمر به فيقول: لقد خُلقت لأمر عظيم. ثم نفخ الله فيه من روحه فكان أول ماجرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعطس فلقاه الله رحمة ربه...». «أخرجه أبو يعلى فى مسنده ١١ / ٤٥٣، والترمذى ٥ / ٤٥٣، وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه - والحاكم ٤ / ٢٦٣ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبى ـ وقال الهيثمى فى المجمع ٨ / ١٩٧ فيه إسماعيل بن رافع قال البخارى: ثقة مقارب الحديث وضعفه الجمهور وبقية رجاله رجال الصحيح - وقال ابن معين: إسماعيل ليس بشىء ـ وأخرجه النسائى فى «اليوم والليلة» ص ٢٣٧».

وقال «ابن قيم الجوزية» فى كتابه «الروح» فصل «الدليل على أن خلق الأرواح متأخر عن

خلق أبدانها ما مختصره:

«إن الله سبحانه أرسل جبريل فقبض قبضة من الأرض ثم خمرها حتى صارت طيناً، ثم صوره ثم نفخ فيه من الروح بعد أن صوره، فلما دخلت الروح فيه صار لحماً ودماً حياً ناطقا».

واستدل «ابن قيم الجوزية» على ذلك بما ذكره ابن عباس وابن مسعود وآخرين من أصحاب النبى ﷺ من أن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض والمخلوقات الأخرى وأراد خلق الإنسان بعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض: «إنى أعوذ بالله منك أن تقبض منى فرجع ولم يأخذ، وقال: رب إنها عاذت بك فأعذتها، فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها، فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد..» فصعد به فبل التراب حتى عاد طيناً لازباً «واللازب هو الذى يلزق بعضه ببعض».. فخلقه الله بيده لئلاً يتكبر إبليس عنه لخلقه بشراً فكان جسداً من طين أربعين سنة.. فكان يمر به «أى إبليس» فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول: «من صلصال كالفخار» ويقول: لأمر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره، وقال للملائكة: «لاترهبوا من هذا فإن ربكم صمد، وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكنه». فلما بلغ الحين الذى يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح فدخل فى رأسه عطس.. فلما دخلت الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخلت الروح فى جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة..».

وذكر ابن كثير فى «البداية والنهاية» هذه القصة أيضاً، وقال: ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث، وإن كان كثير منه متلقى من الإسرائيليات ثم قال ابن قيم الجوزية «وقال ابن إسحاق: فيقال والله أعلم: خلق الله آدم ثم وضعه ينظر إليه أربعين عاماً قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالاً كالفخار، ولم تمسسه نار، فيقال والله أعلم: لما انتهى الروح إلى رأسه عطس وقال الحمد لله: وذكر الحديث».

وقال القرطبى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون** ﴾، «الحجر:٢٦».

«طين صلال ومصلال: أى يصوت إذا نقرته كما يصوت الحديد، فكان أولاً تراباً.. ثم بل فصار طيناً ثم ترك حتى أنتن فصار حماً مسنوناً: أى متغيراً ثم يبس فصار صلصالاً على قول الجمهور».

ومن الآيات والأحاديث والروايات السابقة نستنتج الآتى:

١- الروح نفخت فى آدم وهو فى مرحلة الصلصال وعلى بعض الروايات كان صلصالاً أجوف من الداخل ومشكلاً بصورة آدم وهيئته.

٢- طبقاً لما أكده القرآن وجميع الأحاديث المختلفة لم يكن فى آدم خلايا أو أعضاء لحمية أو دم قبل دخول الروح فيه، والروح كما قال ابن قيم الجوزية وعلى ما يستنتج من الآيات والأحاديث هى التى قامت بتحويل هذا الصلصال إلى لحم ودم وأعضاء «وكل هذه الأشياء عبارة عن خلايا حية» وهى التى أعطت آدم القدرة على الحركة والإرادة والنظر.. إلخ. أى هى التى أعطته كل مظاهر الحياة والإنسانية بدليل عطسه ونظره لثمار الجنة واشتهائه للطعام وقيامه من رقدته فكل هذه حركات وإرادة.

٣- الروح أيضاً على مايفهم من سياق الآيات والأحاديث هى التى منحت آدم القدرة العقلية الإنسانية فقبل أن تدخل فيه هذه الروح «التى هى كلمة أو أمر إلهى للطين المصلصل بأن يتحول إلى آدم بلحمه ودمه وجسده وصفاته» لم يكن شيئاً يذكر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً** ﴾، «الإنسان: ١». و﴿ **أوَ لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً** ﴾ ولاشك أن هاتين الآيتين تنطبقان على آدم قبل خلقه من التراب أو الطين فهو قبل خلقه منهما لم يكن شيئاً مذكوراً.

فالروح هى التى أحالت الصلصال إلى لحم ودم وأعضاء وخلايا ومنحته الحياة بكل مظاهرها ومنحت هذا الصلصال المشكل فى صورة آدم النفس الإنسانية والعقل والإرادة وكل الصفات الأخرى المتعلقة بالإنسان والتى تميزه عن غيره من المخلوقات.

أى باختصار يمكن القول بأن الروح أمر إلهى دخل إلى الصلصال ليشكله بصفات المخلوق المراد خلقه منه «بصفاته الجسدية والعقلية والنفسية».

٢- الطين تحول إلى طير ذى لحم ودم بنفخة روح من عيسى:

قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ **أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله** ﴾ «آل عمران: ٤٩».

قال القرطبى فى تفسير هذه الآية «.... ويقال: إن سؤالهم كان له على وجه التعنت فقالوا: اخلق لنا خفاشاً واجعل فيه روحاً إن كنت صادقاً فى مقالتك، فأخذ طيناً وجعل منه خفاشاً ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض، وكان تسوية الطين والنفخ من عيسى والخلق من الله، كما أن النفخ من جبريل والخلق من الله».

«وقيل: لم يخلق غير الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً ليكون أبلغ فى القدرة، لأن لها ثدياً وأسناناً وأذناً، وهى تحيض وتطهر وتلد».

وقال ابن كثير فى تفسير نفس الآية: «كان يفعل بصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه

فيطير عياناً بإذن الله عز وجل الذى جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله».

ويفهم من الآية أن عيسى كان يشكل من الطين صورة للطير المراد خلقه: خفاش،حمامة، صقر..الخ. ثم ينفخ فيه «يعطيه أمراً وكلمة» فيحول الطين إلى هذا الطير بلحمه ودمه وأعضائه وخلاياه وصفاته العقلية والنفسية..إلخ بإذن الله. أى يقول للطين المشكل بهذا الطير كن بأمر الله خفاشًا تحمل صفات الخفاش الذى خلقه الله من قبل فيأمر الله هذا الطين أن يطيع عيسى وينفذ أمره فيتحول بناء على ذلك إلى هذا الخفاش أو أى طائر آخر، فيكون من نفسه خلايا وأعضاء ولحم ودم هذا الطير ويكتسب نفس صفاته (أى يحول طبيعته الطينية إلى طبيعة أخرى هى صفات هذا الطير).

وبالتأكيد طين الأرض كله يعلم التركيب الجسدى والنفسى لكل المخلوقات الموجودة على الأرض التى خلقها الله منه، وعند موتها تموت وتتحلل إلى هذا التراب وتختلط بالأرض مرة أخرى، فالأرض شاهدة على خلق كل المخلوقات التى خلقها الله منها، وعلى ما يتضح من رواية ابن عباس السابق ذكرها فقد استعاذت الأرض بالله من أن يأخذ جبريل منها شيئاً لخلق آدم. وإذا صحت هذه الرواية فلابد أنها كانت تفعل ذلك عند خلق كل مخلوق سيعيش على سطحها وأعتقد أن الأصح أنها كانت تطيع أمر ربها ولا تعترض على أخذ شىء من ترابها لخلق مخلوق منها. لكن الذى يمكن أن نؤكده أنها شهدت عملية خلق كل المخلوقات الموجودة الآن على سطحها وتشهد موتهم وتحللهم إلى تراب مرة أخرى. والأرض مخلوق من مخلوقات الله ولها عقل لأن الله عرض عليها الأمانة هى والسماوات فرفضاها، وطالما أنها شهدت وتشهد كل يوم عملية خلق وموت وتحلل أجساد هذه المخلوقات فهى تعلم التركيب الجسدى والعقلى والنفسى لكل منها، وعيسى عندما أخذ ترابًا منها وخلطه بالماء ليصبح طيناً وصوره بصورة طير معين من الطيور التى سبق أن خلقها الله كانت الأرض تعلم كل شىء عن هذا المخلوق وبالتالى سيصبح من السهل عليها التحول إليه لأن هذه العملية أسهل من تحولها إلى هذا المخلوق عند بداية خلقه لأنها لاتعلم شيئاً عن تركيبه الجسدى والعقلى والنفسى، ففى هذه الحالة يكون أمر الله لها متضمناً شرحاً وتفصيلاً كاملاً عن صفات هذا المخلوق وتركيبه من الناحية الجسدية والعقلية والنفسية. وهذا هو الفرق بين أمر الله للطين المصلصل بصورة آدم، وأمر عيسى للطين المصور بصورة الطير. فأمر الله يكون متضمناً لشرح كامل للتركيب الجسدى والعقلى والنفسى للمخلوق المراد خلقه لأن الطين لايعلم عن هذا المخلوق شيئاً. أما أمر عيسى «الروح التى ينفخها فى الطير» فلن يكون أكثر من قوله للطين كن هذا الطير بإذن الله، فيكون هذا الطير لأن الطين فى هذه الحالة يعلم كل شىء من قبل عن هذا الطير لأن الله سبق وأن خلق هذا الطير منه.

وما نريد التركيز عليه هنا هو أن الروح «أو الأمر الذى كان يصدره عيسى بإذن الله للطين المصور لصورة الطير» هى التى أحالت الطين إلى لحم ودم وأعضاء وخلايا الطير الذى صنعه عيسى عليه السلام».

٣ - الروح التى نفخها الله فى مريم خُلق منها عيسى بلحمه ودمه:

قال تعالى: ﴿ **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾، «النساء:١٧١».

ويتضح من الآية السابقة أن عيسى عليه السلام خلق من روح «أمر إلهى» حمله ملك على ما يتضح من آيات أخرى سبق ذكرها ونفخ هذه الروح فى رحم مريم فقامت هذه الروح بتخليق عيسى بلحمه ودمه وجسده «كل خلاياه».

ومن هذا نستنتج أن الروح هى المسئولة عن عملية الخلق داخل الرحم وعملية تكوين اللحم والدم والأعضاء «الخلايا بصفة عامة» بإذن الله.

الخلاصة :

الروح أمر إلهى يهب الحياة للمخلوق ويصدر هذا الأمر عند خلق أول مخلوق من جنس معين «آدم مثلاً بالنسبة للإنسان» لطين مشكل فى صورة هذا المخلوق «أو أى جماد آخر» فيحيل هذا الأمر الطين «أو الجماد» إلى الخلايا التى تكون لحمه ودمه وأعضاءه وتحدد صفاته المميزة له عن باقى المخلوقات «الصفات الجسدية والنفسية والعقلية» وهذه الروح هى المسئولة أيضاً عن تخليق خلايا وأعضاء وجسد المخلوق داخل رحم أمه.

والروح فى الجمادات هى المسئولة عن تكوين الذرات وجسد الجماد «مادته» وهى التى تحدد صفاته وخواصه ونوعه وتخرجه إلى عالم الوجود والحياة.

رابعاً: النفس فى القرآن والعلاقة بينها وبين الروح :

ذهب بعض المفسرين إلى أن النفس والروح شىء واحد، وذهب آخرون إلى أن النفس شىء مختلف عن الروح وهى أثر من آثارها وبالتالى فالروح هى الأساس والنفس جزء منها، وذهب فريق ثالث إلى أن النفس هى الأساس والروح جزء منها.

وقد ورد فى القرآن الكريم الكثير من الآيات عن النفس بلغ عددها بما فيها المكرر أكثر من ثلاثمائة آية، أما الروح فلم تذكر إلا فى أربع وعشرين آية منها حوالى خمس آيات مكررة وقد تعرضنا لشرح الأشياء التى أطلق عليها الروح فى القرآن.

وبالنسبة للروح الإنسانية «أرواح بنى آدم» فلم تقع تسميتها فى القرآن الكريم باسم

الروح أبداً، كما قال ابن قيم الجوزية وإنما سميت بالنفس أما فى الأحاديث النبوية فقد سميت فى بعضها بالروح وفى البعض الآخر بالنفس وهذه الأحاديث منها ماهو صحيح ومنها الضعيف أيضاً.

ولكى نزيد الأمر إيضاحاً نقول إن الروح الخاصة بالإنسان لم تطلق فى القرآن سوى على النفخة «الأمر الإلهى» التى نفخها الله فى الصلصال المشكل فى صورة آدم والتى حولته إلى آدم الإنسان بلحمه ودمه وعظامه وهيئته وصفاته النفسية والعقلية. .إلخ. ومن آدم خلق الله حواء.

وهذه الروح التى منحته الحياة وأخرجته إلى الوجود هو وزوجه وسائر نسله لم يقع تسميتها فى القرآن، بعد ذلك سواء فى آدم أو سائر نسله، إلا باسم النفس. وكأن الروح خاصة بالأمر الإلهى الصادر للجماد «الصلصال» ليتحول إلى مخلوق ما وأثر هذه الروح بعد ذلك فى المخلوق يسمى نفساً.

والنفس فى القرآن أطلقت على أشياء عديدة لو راجعناها سنتمكن إلى حد ما من فهم معنى النفس وتحديد العلاقة بينها وبين الروح فتعالوا لنراجع الآيات الخاصة بالنفس فى القرآن.

١ - القرآن يطلق لفظ النفس على الذات الإلهية والذات الإنسانية:

أطلق القرآن الكريم لفظ النفس على الذات الإلهية فى عدة آيات نذكر منها قوله تعالى:

١ - ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾، «آل عمران: ٢٨».

٢- ﴿ **فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة** ﴾، «الأنعام: ٥٤».

٣- ﴿ **تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك** ﴾، «المائدة: ١١٦».

وأطلقت النفس على الذات الإنسانية «أى الإنسان كاملاً بلحمه ودمه وروحه. .إلخ» فى آيات كثيرة جداً نذكر منها قوله تعالى:

١ - ﴿ **فإذا دخلتم بيوتا. فسلموا على أنفسكم** ﴾، «النور: ٦١».

٢- ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن** ﴾، «المائدة: ٣٢».

٣- ﴿ **وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله** ﴾، «التوبة: ٤١».

٤- ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾، «البقرة: ٢٢٨».

٥- ﴿ **ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم** ﴾، «الكهف: ٥١».

٦- ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم** ﴾، «البقرة: ٨٤».

٧- ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم** ﴾، «البقرة: ٤٤».

٨- ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾، «آل عمران:٦١».

٩- ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾، «النور:٦».

١٠- ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى﴾، «الكهف:٢٨».

١١- ﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه. ومن ضل فإنما يضل عليها﴾، «الإسراء:١٥».

١٢- ﴿يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها﴾، «النحل:١١١».

١٣- ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾، «البقرة:١٥٥».

١٤- ﴿وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى﴾، «يوسف:٥٤».

١٥- ﴿قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله﴾، «يونس:٤٩».

١٦- ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم﴾، «البقرة:٩».

١٧- ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾، «الأنعام:١٥١».

٢- إطلاق القرآن لفظ النفس على ذات آدم:

١- قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾، «النساء:١».

فالنفس المذكورة هنا والتى خلقنا الله منها وخلق منها زوجها «حواء» وبث منهما سائر البشر هى آدم، ومن هذا يتضح أن ذات آدم «آدم بلحمه ودمه وروحه أى جسده كاملاً» تم تسميتها فى القرآن باسم النفس.

٢- ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾، «الزمر:٦».

فالنفس الواحدة المذكورة فى هذه الآية أيضاً هى آدم «ذات آدم» عليه السلام.

٣ - إطلاق النفس على الجنس الإنسانى:

١- قال تعالى: ﴿سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون﴾، «يس:٣٦».

وأنفسهم فى هذه الآية بمعنى جنسهم أو نوعهم، وكأن المعنى أن الله خلق الأزواج الموجودة على الأرض أو فى الكون بصفة عامة من الآتى:

أ - مما تنبت الأرض: وينطبق هذا على عالم النبات.

ب - من أنفسهم: وينطبق هذا على عالم الحيوان والإنسان.

ج - مما لايعلمون: وينطبق هذا على المخلوقات الأخرى الموجودة فى السماوات والأرض والتى لم يحدثنا الله عن طريقة خلقها ولم نرها ولانعلم عنها شيئاً.

٢- ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾، «الروم: ٢١».

وأنفسكم هنا بمعنى جنسكم أو نوعكم والخطاب هنا للجنس البشرى وبالتحديد للرجال منهم، فالمعنى أنه سبحانه يخبرنا بخلق أزواج لنا من نفس جنسنا البشرى لنسكن إليهم بعد أن جعل بيننا وبينهم مودة ورحمة فهو سبحانه وتعالى لم يجعل أزواجنا من جنس آخر كالجن أو الملائكة أو..إلخ». ولكنه جعلهم من نفس جنسنا الإنسانى ونفس الوضع لسائر المخلوقات المكونة من زوجين والله أعلم.

٣- ﴿ **فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** ﴾، «الشورى: ١١». وأنفسكم هنا أيضاً بمعنى جنسكم.

وقد ذهب ابن كثير فى تفسيره «تفسير القرآن العظيم» إلى نفس ما أكدناه ففسر معنى قوله تعالى «من أنفسكم» فى الآيات السابق ذكرها بالآتى: ﴿ **جعل لكم من أنفسكم أزواجاً** ﴾ **أى من جنسكم وشكلكم منة عليكم وتفضلا جعل من جنسكم ذكراً وأنثى**».

وذهب كثير من المفسرين إلى نفس التفسير أيضاً.

٤- ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾، «يونس: ٢٣».

والمخاطبين فى هذه الآية كانوا العرب وليس هناك مايمنع من القول بأن المخاطبين أهل الأرض كلهم. فلو أخذنا بأنهم العرب فقط فسيكون معنى «أنفسكم» هنا منكم أنتم أيها العرب أى من قبيلتكم، وإذا أخذنا المعنى بأن المخاطبين أهل الأرض فسيكون معنى «أنفسكم» جنسكم أو نوعكم، أى منكم أيها البشر وليس ملكاً أو أى جنس آخر.

٤- إطلاق لفظ النفس على الشىء الذى يفارق الجسد عند النوم والممات:

١- قال تعالى: ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾، «الزمر: ٤٢».

٢- ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق..** ﴾، «الأنعام: ٩٣»

٣- ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً** ﴾، «آل عمران: ١٤٥».

٤ - ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية** ﴾ ، «الفجر : ٢٧-٢٨» .

٥ - ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون** ﴾ ، «العنكبوت :٥٧» .

ومن الآيات السابقة نجد أن القرآن أطلق على الشيء الذى يفارق الجسد أثناء النوم وأثناء الموت لفظ النفس ، وقد وقع فى بعض الأحاديث تسمية هذا الشيء باسم الروح .

والسؤال الآن هل تفارق الروح الجسد أثناء النوم ؟

والإجابة بالقطع لا . . لأن الروح كاملة لو فارقت الجسد لمات الجسد ، والصحيح أن نقول أن الذى يفارق الجسد أثناء النوم النفس التى هى جزء من الروح ، أو أثر من آثارها فى الجسد . وهذا الجزء هو المختص بالأفعال والسلوك من خير وشر وهى صاحبة الشهوة والهوى وهى المختصة بالإحساس والشعور ، فقد عرّف الله النفس فى آيات أخرى كما سنعرف بعد قليل بأنها هى المسئولة عن هذه الأشياء .

وهذا ما ذهب إليه كثير من المفسرين عندما قالوا إن فى الإنسان روحين وقال بعضهم : بل فيه روح ونفس وأن الروح أثناء النوم تبقى فى الجسد وأن مايفارقه هو النفس ويظل بينهما ارتباط مثل مابين الشمس وشعاعها من رباط .

والصحيح أن الإنسان فيه روح واحدة لأن الله لم يقل أنه نفخ فى ادم روحين أو نفخ فيه روحًا ونفسًا ، وأن النفس جزء من الروح أو بمعنى أدق أثر من آثارها فى الجسد ، وهى التى تفارق الجسد أثناء النوم .

ولانستطيع أن نقول كما قال بعض المفسرين بأن النفس هى الأساس لأن خلق الإنسان بدأ بالروح التى نفخها الله فى الصلصال ولم يبدأ بالنفس ، فالنفس ظهرت بعد ذلك لذا فهى أثر من آثار الروح فى الجسد .

كما أن الروح هى التى تكون جسد الإنسان بلحمه ودمه وعظامه وعقله ونفسه . .إلخ . والنفس ليس لها علاقة إلا بأعمال الإنسان وسلوكه .

أما عند الموت فإن النفس تقبض ويقف عن العمل أيضاً الجزء الآخر من الروح والمسئول عن حياة الجسد أو بمعنى أدق بقاؤه حيّاً يتنفس وسوف نشرح هذا الأمر بالتفصيل فى موضع آخر من هذا الكتاب .

٥ - الخير والشر من النفس وهى المكلفة والعاقلة والمحاسبة :

فى الكثير من آيات القرآن الكريم أكد الله سبحانه وتعالى أن النفس هى الأمارة بالسوء هى صاحبة الهوى وهى التى تدفع الإنسان لأفعال الخير أو الشر فهى المسئولة عن السلوك عليها يقع الثواب والعقاب بعد أن ألهمها الله فجورها وتقواها «أى زودها بأداة التمييز بين

الخير والشر وفطرها على الفطرة فى البداية والطفل جنين فى بطن أمه» ورأى كثير من المفسرين أن النفس هى العقل والإرادة أيضاً، ولكن لم يرد فى القرآن الكريم أى نص يشير إلى أن النفس هى العقل والإرادة وما حمل المفسرين على ذلك هو كون النفس هى المحاسبة والمكلفة وهى الأمارة بالسوء أو المطمئنة أو اللوامة . .إلخ . لذا ليس هناك ما يمنع أن نقول أن العقل والإرادة أداتان من أدوات النفس أو أنهما مستقلان عن بعضهما وأيهما تغلب على الأخرى برز عملها وتسيد على الجسد كله . فإن تسيد العقل اتسمت تصرفات الإنسان بالخير وإن تسيدت النفس بشهواتها اتسمت تصرفات الإنسان بالشر والهوى.

وفيما يلى بعض الآيات الواردة فى النفس والتى تفيد أن النفس هى المسئولة عن الأعمال من خير أو شر وهى المحاسبة فى الآخرة وهى المكلفة فى الدنيا . .إلخ.

١ - ﴿ **ونفسٍ وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** ﴾ ، «الشمس:٧-١٠».

٢ - ﴿ **وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ ، «النساء:٧٩».

٣ - ﴿ **وما أبرئُ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى** ﴾ ، «يوسف:٥٣».

٤ - ﴿ **ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾ ، «القيامة:٢».

٥ - ﴿ لايكلف الله نفساً إلا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ ، «البقرة:٢٨٦».

٦ - ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ ، «الحشر:٩».

٧ - ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس** ﴾ ، «النجم:٢٣».

٨ - ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى** ﴾ ، «النازعات:٤٠-٤١».

٩ - ﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره** ﴾ ، «القيامة: ١٤-١٥».

١٠ - ﴿ **وكذلك سولت لى نفسى** ﴾ ، «طه:٩٦».

١١ - ﴿ **من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها** ﴾ ، «فصلت:٤٦».

١٢ - ﴿ **ليجزى كل نفس ما كسبت** ﴾ ، «إبراهيم:٥١».

١٣ - ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً** ﴾ ، «آل عمران:٣٠».

١٤ - ﴿ **ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون** ﴾ ، «آل عمران:٢٥».

١٥ - ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ ، «المدثر ، ٣٨».

١٦ - ﴿ **ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون** ﴾ ، «الزمر:٧٠».

٦- إطلاق لفظ النفس على نطفة الأمشاج «الخلية الجنينية الأولى»

قال تعالى: ﴿ **وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع** ﴾، «الأنعام:٩٨».

وهذه الآية غير آيتى سورة النساء والزمر المذكور بها «نفس واحدة» والتى قلنا أنها آدم وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن النفس الواحدة فى هذه الآية هى آدم، ولكنى أرى أن النفس الواحدة المذكورة فى هذه الآية هى نطفة الأمشاج، التى تتكون من تلقيح الحيوان المنوى للبويضة داخل رحم الأم، وهى الخلية الجنينية الأولى التى تنقسم إلى ملايين الخلايا التى يتشكل منها بعد ذلك أعضاء الجنين وجسده كاملاً بعد استقرارها فى الرحم. فالمستقر هنا هو الرحم، ودليل ذلك وصف الله للرحم بالمستقر وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين** ﴾، «المرسلات:٢١». وقوله تعالى: ﴿ **ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى** ﴾، «الحج:٥». وقوله: ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين** ﴾، «المؤمنون:١٢-١٣».

وذهب سيد قطب إلى أن النفس الواحدة هى الخلية الملقحة «نطفة الأمشاج» فإقرار الجنين فى الرحم ووصف الرحم بأنه قرار مكين يعنى أنه مستقر ومستودع للنطفة الأولى «نطفة الأمشاج» وهذا يؤكد أن النفس الواحدة التى تستقر فى مستقر ومستودع هو الرحم ماهى إلا نطفة الأمشاج التى تستقر فى الرحم أو القرار المكين، وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن المستقر والمستودع المذكورين فى هذه الآية هما الرحم والصلب.

* **الخلاصة:**

أطلقت النفس فى القرآن على الأشياء الآتية:

١- الذات الإلهية.

٢- الذات الإنسانية.

٣- ذات آدم عليه السلام.

٤- الجنين عند بداية خلقه «الخلية الجنينية الأولى المسماة فى القرآن بنطفة الأمشاج».

٥- الجزء المسئول عن العقل والإرادة والشهوة والسلوك والشعور الذى يفارق الجسد أثناء النوم وعند الممات.

الفصل الثالث

هل كشف الخالق لنا بعض أسرار الروح بالهندسة الوراثية

قال تعالى: ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾، «فصلت، ٥٣».
وقال تعالى: ﴿ **وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها** ﴾، «النمل، ٩٣».

نزلت هاتان الآيتان منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة فى عصر متسم بالجاهلية وعلماء ذلك العصر من المتخصصين فى علوم الفلك والطب والكيمياء والأحياء.. إلخ، لايعلمون إلا القليل من أسرار السماوات والأرض والكائنات الحية، وقد أكد الله سبحانه وتعالى فى هاتين الآيتين لأهل ذلك العصر أنه سيكشف لأهل الأرض آياته «أسراره وعجائبه» فى خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم، وبالقطع سيتضمن كشف أسرار السماوات والأرض معرفة أسرار خلق النجوم والكواكب والمجرات ومعرفة المواد المكونة لهم، وكشف أسرار الفضاء والأشعة الكونية وخواص المواد والذرات والألكترونيات والكهرباء.. إلخ. كما سيتضمن الكشف عن أسرار خلق الإنسان أن يمكننا الله من معرفة التشريح الجسدى للإنسان ومعرفة وظائف الأعضاء وتركيب الخلايا ونواتها والتفاعلات الكيميائية التى تحدث بداخلها ومعرفة أسرار النفس. إلخ. ونفس الوضع بالنسبة لسائر الكائنات الحية الأخرى.

ومنذ عصر نزول القرآن وحتى نهاية القرن التاسع عشر والخالق يكشف للعلماء فى كل عصر سراً من أسراره فى خلقه من خلال الأبحاث والتجارب التى يقوم بها العلماء فى مجالات الفلك والكيمياء والطب والفيزياء وعلم الأحياء والجيولوجيا.. إلخ.

وفى القرن العشرين حدث تقدم لا نظير له فى المجالات العلمية المختلفة، فمكن الخالق سبحانه وتعالى بذلك البشر من معرفة الكثير عن آياته فى خلق السماوات والأرض وسائر الكائنات، وسيستمر هذا التقدم إلى يوم القيامة أو إلى ما قبله بزمن قليل ليكشف الخالق معظم أسراره فى خلق السماوات والأرض والكائنات المختلفة حتى يتأكد جميع البشر أن خالق هذه المخلوقات إله واحد قادر، خلق كل شىء بحكمة وتقدير وإتقان ولم يخلق شيئاً عبثاً فيقيم بذلك حجته على بنى البشر.

والسؤال الآن: هل ماسيكشفه الخالق لنا من أسرار خلق الكائنات ومنها الإنسان سيتضمن كشف بعض أسرار الروح، أم أن الروح ستظل غيباً عنا إلى يوم القيامة؟

وبالقطع الإجابة أن الخالق لابد سيكشف لنا بعض أسرار الروح أو بمعنى أدق بعض آثار الروح فى مختلف الكائنات ومنها الإنسان، لأن الروح كما سبق وأن شرحنا أهم شىء فى عملية خلق أى كائن، فتكوين الجسد فى الإنسان مثلاً وكذلك لحمه ودمه وعظامه وخلاياه وعقله ونفسه.. إلخ، يتم عن طريق الروح، وكشف أسرار الخالق فى خلق هذه الأشياء

سيمثل كشفًا لبعض أسرار الروح لأن هذه الأشياء ما هى إلا أثر من آثار الروح فى الإنسان. ونفس الوضع ينطبق على سائر الكائنات.

وقد كشف الخالق لنا من خلال علم البيولوچيا والهندسة الوراثية التى تعد أحد فروعه الكثير من أسرار الروح فى الجسد. فتعالوا لنتعرف على بعض هذه الأسرار أو بمعنى أدق نتعرف على بعض ما كشفه الخالق لنا من آثار الأمر الإلهى فى سائر الكائنات الحية من خلال نتائج الأبحاث والتجارب التى توصل إليها علماء البيولوچيا والوراثة.

أولاً: سر الحياة يكمن داخل نواة الخلية الحية:

يبحث الإنسان منذ آلاف السنين فى موضوع نشأة الحياة على الأرض فى محاولة منه لكشف سر الحياة فى الكائنات الحية.

وقد اتفق علماء الأحياء «البيولوچيا» المتخصصون فى دراسة مكونات أجسام الكائنات الحية منذ قرون عديدة على تقسيم الجسم إلى أعضاء: كالكبد والقلب والأمعاء والذراعين.. إلخ فى الإنسان مثلاً.

وبعد دراستهم المتعمقة لهذه الأعضاء ومعرفة الكثير عن تركيبها اتفقوا على تقسيم العضو الواحد إلى عدة أنسجة: كالعظام والغضاريف والجلد واللحم والدم والشحم.. إلخ، واختصروا فى النهاية هذه الأنسجة إلى أربعة أنسجة رئيسية.

وكانت دراساتهم لمكونات أجسام الكائنات الحية تعتمد بصفة أساسية على مايشاهدونه بالعين المجردة وحاسة اللمس والتشريح لبعض الأعضاء إلى أن اكتشف المجهر فى القرن السابع عشر فاستخدمه العلماء فى دراسة أنسجة الأعضاء فى الكائنات المختلفة «إنسان، حيوان، نبات» فلاحظوا أن جميع الكائنات الحية تتكون أجسامها من وحدات متناهية فى الصغر ومتشابهة إلى حد كبير فأطلقوا عليها اسم «الخلايا» وخرجوا بنتيجة مفادها أن أجسام جميع الكائنات الحية ماهى إلا عبارة عن مجموعة كبيرة جداً من الخلايا التى يصل عددها إلى البلايين [(١)]، فمثلاً يتركب جسم الإنسان من حوالى ٣٠ تريليون خلية بشرية [(٢)] تتشكل منها جميع أنسجة جسمه والتى تشكل بدورها أعضاءه المختلفة ونفس الوضع بالنسبة للحيوان والنبات فأجسامهما تتكون أيضاً من خلايا تشكل فى مجموعها الأنسجة وبالتالى الأعضاء المختلفة.

وباختصار يمكن القول بأن الوحدة الأساسية المكونة لأجسام الكائنات الحية من إنسان

---

(١) خلق الإنسان.. د. عبد الفتاح محمد طيرة، جـ١، ص ٢١٩ - ٢٢٠ بتصرف.

(٢) الاستنساخ بين العلم والدين، د. عبد الهادى مصباح، ص ٢٣ نشر مكتبة «الأسرة».

وحيوان ونبات هى الخلية الحية.

ومع تقدم وسائل البحث العلمى اكتشف العلماء أن كل خلية فى أى كائن حى تتكون من كتلة هلامية شفافة يحدها من الخارج غشاء، وفى وسط الخلية يوجد جسيم كثيف صغير أطلقوا عليه اسم «النواة».

وفى عام ١٨٣٨م اشترك عالم النبات «شيلدن» وعالم الحيوان «شفان» فى وضع أسس النظرية الخلوية. ومهد إعلان هذه النظرية لنشوء علوم جديدة هى: علم الخلايا - علم الأنسجة وزراعة الأعضاء - علم الكيمياء النسيجية - علم الهندسة الوراثية - علم البيولوچيا الجزيئية.. إلخ.

وفى عام ١٨٤٦م أطلق «هوجوفون موهل» على المادة التى تتكون منها أجسام الخلايا الحية اسم «البروتوبلازم» واعتقد العلماء فى البداية أن سر الحياة يكمن فى البرتوبلازما، وأن البروتوبلازما لها خاصية ما تمكنها من النمو والتكاثر وبالتالى فالخلايا الجديدة تنشأ من انقسام أو تكاثر البروتوبلازما.

لكن هذا الاعتقاد تلاشى سريعاً بعد أن تبين للعلماء أن الخلية التى تفقد نواتها سرعان ما تموت. لذا رأى العلماء أن سر الحياة والخلق يكمن فى شىء ما بداخل نواة الخلية الحية.

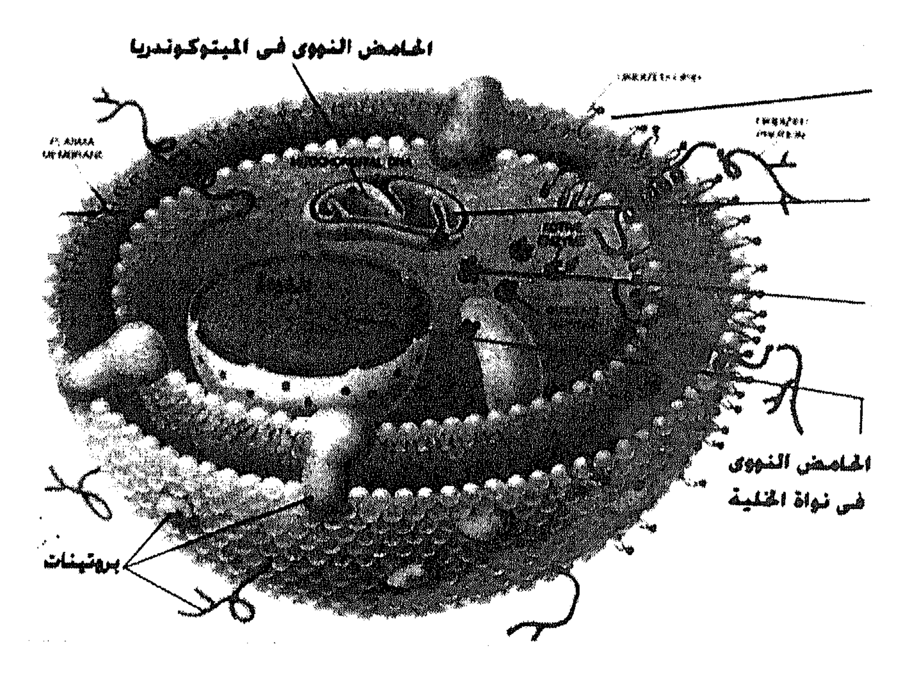
ركز العلماء بعد ذلك أبحاثهم على نواة الخلية الحية فلاحظوا وجود تراكيب بداخلها تشبه الخطوط أطلقوا عليها اسم «الكروموسومات» وفى عام ١٨٩٢م أعلن الفسيولوچى الشهير «أوجست فايسمان» أن الكروموسومات هى حاملة الصفات الوراثية [١]، وذلك من خلال أبحاثه التى قام بها باستخدام الميكروسكوب على الخلية الأولى أثناء انقسامها والناتجة من اندماج الحيوان المنوى والبويضة، ونشر نتيجة أبحاثه هذه فى كتابه «البلازما الجرثومية»[٢].

واستطاع العلماء من خلال دراستهم للخلية معرفة التركيب الداخلى لها وتحديد مكوناتها ولاحظوا أن معظم الخلايا سواء فى الإنسان أو الحيوان أو النبات تتشابه إلى حد كبير فى تركيبها، ويمكن أن نلخص تركيب الخلايا الحيوانية والإنسانية على وجه الخصوص فى الآتى:

---

(١) الشفرة الوراثية للإنسان - دانييل كيفلسى وليروى هود - ترجمة د.أحمد مستجير، ص ٥٦ - كتاب عالم المعرفة العدد ٢١٧.

(٢) المصدر السابق ص ٥٦.



شكل يوضح تركيب الخلية من الداخل

١- تتكون الخلية من نواة محاطة بمادة بروتينية هلامية تسمى السيتوبلازم وهى مادة هلامية ليست صلبة أو سائلة وتنتشر فيها أجسام متعددة الأشكال ومتباينة الأحجام والوظائف مثل: الريبوسومات والميتوكوندريا والليزوسيمات والشبكة الإندوبلازمية.

٢- يحد الخلية من الخارج جدار أو غشاء يسمى جدار الخلية، ويتركب من جزيئات بروتينية ودهنية وكربوهيدراتية متماسكة مع بعضها البعض ويقوم هذا الجدار بحفظ مادة الخلية المحيطة بها من كل جانب «السيتوبلازم» كما يعد جهاز أمان حيث يمنع دخول أى شىء أو خروج أى شىء إلا بحساب حسب احتياجات الخلية واحتياجات الجسم وفق مايصل إليه من أوامر سواء من داخل الخلية أو «من نواتها» أو من خارجها. وبه منافذ مختلفة منها ماهو مخصص لنفاذ المواد السكرية ومنها الخاص بنفاذ البروتينات أو الأملاح.. إلخ. ويتصرف هذا الجدار وكأن له عقلاً وكأنه يفكر ويدبر وذلك كله وفق البرمجة العجيبة التى برمجه الخالق سبحانه وتعالى عليها.

٣- داخل المادة الهلامية للخلية «جسم الخلية» توجد أجسام صغيرة مبعثرة فى أماكن متفرقة تسمى الليزوسيمات، وتقوم بهضم المواد التى تدخل الخلية بما فيها المواد الضارة أو السامة.

٤- بين غشاء الخلية ونواتها توجد شبكة إندوبلازمية تقوم بإنتاج الدهون والبروتينات التى

تقوم الخلية باستهلاك كمية منها وتصدير الباقي إلى خارجها ليستهلكه الجسم «الخلايا الأخرى».

٥- يوجد داخل جسم الخلية حبيبات خيطية مبعثرة تسمى الميتوكوندريا وتعمل كمحطات أو مولدات للطاقة تمد الخلية بالطاقة اللازمة لها وتصدر الباقي.

٦- يوجد داخل الخلية حبيبات أخرى تسمى الريبوسومات وهى وحدات تجميع وتصنيع البروتينات وتكون معلقة على الشبكة الإندوبلازمية، وهى لاتعمل إلا حسب ما يأتى إليها من أوامر صادرة من النواة «المركز الرئيسى للعمليات أو القيادة المركزية للخلية»، وتأتى هذه الأوامر محمولة مع رسول خاص يحمل شفرة خاصة يفهمها الريبوسوم وهى عبارة عن أمر بتصنيع نوع معين من البروتين، وهذا الرسول عبارة عن جزىء من حمض نووى يسمى الحمض النووى الرسول (m - R.N.A)، وكل ثلاثة جزيئات متتابعة تعنى أمراً بإضافة حمض أمينى معين خاص بجزىء البروتين المراد تصنيعه، والأحماض الأمينية هى اللبنات الأساسية المكونة لجزىء البروتين، ويقوم الريبوسوم بتجميع تلك الأحماض الأمينية الموجودة فى سيتوبلازم الخلية وتوصيل بعضها ببعض فى سلسلة ذات ترتيب خاص يتحدد حسب الشفرة الموجودة على جزىء الحمض النووى الرسول، وذلك حتى يتم تجميع بضع مئات من تلك الأحماض الأمينية ليتم عمل جزئ البروتين المطلوب تصنيعه، وليتم بعد ذلك تصديره خارج الخلية أو استهلاكه بداخلها، وذلك وفق برنامج مبرمج داخل الخلية فى منتهى الدقة والروعة فسبحان الخلاق العظيم الذى خلق كل شىء باتقان وتقدير.

٧- يوجد فى منتصف الخلية النواة، وتعتبر النواة غرفة عمليات الخلية ومركزها الحيوى أو مركز قيادتها وبدونها لاتستمر حياة الخلية إلا فترة محدودة ولا تتكاثر، وبداخل النواة يوجد كتل كبيرة تسمى النويات ويصل عددها فى بعض الخلايا إلى أربعة نويات وفى البعض الآخر يتراوح العدد من ١ - ٣ نويات، وتقوم هذه النويات بتركيب البروتينات، وتنتشر داخل النواة مجموعة من الأحماض النووية أهمها الحمض النووى العملاق (D.N.A) أو «د. ن. أ» وهو أساس حياة الخلية والمحرك لكل ما بها من عمليات حيوية وإنتاجية وتناسلية، ويتشكل هذا الحمض داخل النواة على شكل أجسام تسمى الكروموسومات أو الصبغيات، وتحمل هذه الكروموسومات الصفات الوراثية أو بمعنى أدق الصفات العامة والخاصة التى يتوارثها نسل النوع جيلاً بعد جيلاً، سواء فى الإنسان أو الحيوان، أو النبات، ويمكن اعتبار هذه الكروموسومات بمثابة برنامج تخليق ذاتى أودعه الخالق سبحانه وتعالى بداخل النواة وسجل عليه كل الأوامر الخاصة بخلق الكائن والتى هى عبارة عن مجموعة من الصفات التى تميزه جسدياً ونفسياً عن غيره من المخلوقات فكل قطعة فى جسد الإنسان وكل صفة يتمتع بها تخلقها أو تحددها هذه الكروموسومات.



صورة مكبرة لشكل الكروموسومات

واتضح للعلماء أن عدد الكروموسومات داخل النواة يختلف من كائن لآخر فمثلاً تحتوى نواة كل خلية حية من خلايا جسد الإنسان على ٤٦ كروموسوم «أى أن الحمض النووى D.N.A مقسم إلى ٤٦ جزء»، بينما تحتوى نواة كل خلية من خلايا أجسام الماشية على ٦٠ كروموسوماً، والكلاب والدجاج تحتوى نواة خلاياهما على ٧٨ كروموسوماً، وسمك الشيوط النهرى تحمل نواة خلاياه ١٠٠ كروموسوم [١].

وتبين للعلماء أن الخلايا الجنسية «الحيوان المنوى والبويضة» تحتوى نواة كل خلية منهما على نصف عدد الكروموسومات الموجودة فى الخلايا الجسدية ففى الإنسان مثلاً يحتوى الحيوان المنوى على ٢٣ كروموسوماً والبويضة على ٢٣ كروموسوماً، فإذا لقح الحيوان المنوى البويضة واتحد بها اندمجت نواتهما وكونا نواة واحدة هى الخلية الجنينية الأولى «نطفة الأمشاج».

واتضح بالدراسة من خلال المجاهر الألكترونية أن نطفة الأمشاج فى الخلية الجسدية الأولى للجنين «للإنسان بصفة عامة» تحتوى على ٤٦ كروموسوماً هى مجموع الكروموسومات

---

(١) الاستنساخ، د. محمد صادق صبور، ص ٣٨.

الموجودة بالحيوان المنوى والبويضة «٢٣+٢٣» وأن هذه الكروموسومات تحمل الصفات الوراثية للأبوين مثل لون الشعر ولون البشرة والعينين وشكل الأنف والأذنين والطول والذكاء والغرائز والاستعدادات المختلفة والسلوك الفطرى الغريزى بالإضافة إلى الصفات الجسدية الخاصة بشكل أعضاء الجسم كالذراعين مثلاً والقلب والأمعاء وشكل الوجه والقدمين . .إلخ ، وكذلك درجة مقاومة الجسم للأمراض ، أى باختصار تحمل الكروموسومات كل الصفات الخلقية للكائن من جسدية ونفسية وعقلية ، وكل ذلك وفق كتاب مبرمج يحتوى على كل هذه الصفات والمنقولة من الأبوين والمسجلة على الكروموسومات .

وهذه الصفات أو الأوامر المسجلة على كل كروموسوم تختلف من كائن لآخر فالصفات الخاصة بشكل الوجه «الأوامر الخاصة بخلق الوجه وتحديد ملامحه» فى الإنسان غير الأوامر التى يحملها الكروموسوم المقابل فى الكلب أو الأسد أو الفأر . .إلخ . وكذلك الحال بالنسبة للقلب والكبد والأرجل والذراعين ، وسائر أعضاء الجسد .

وتنقسم هذه الخلية الجنينية الأولى إلى خليتين ثم أربعة ، والأربعة إلى ثمانية . . وهكذا . إلى أن يصل عدد الخلايا إلى الملايين داخل الرحم ، وعند مرحلة معينة تبدأ هذه الخلايا فى التخصص ، فتتخصص مجموعة منها فى تكوين الكبد ، وأخرى فى تكوين القلب ، وثالثة فى تكوين الأمعاء ، وهكذا .

ثم تتخصص أيضاً الخلايا المسئولة عن تكوين العين مثلاً فى أداء وظائف معينة داخل العين من خلال البروتينات والإنزيمات التى تنتجها ، فتتخصص مجموعة منها فى تكوين القزحية والقيام بوظائفها البصرية وتتخصص مجموعة أخرى فى تكوين القرنية وثالثة فى الحدقة وهكذا ، ونفس الوضع بالنسبة لجميع أعضاء الجسد .

* **الخلاصة :**

أن النواة فى الخلية الحية هى مركز القيادة الرئيسى للخلية ، وهى العقل المدبر لها ويكمن فيها سر الحياة ، حيث تعتبر كمبيوتر أو كتاب الخلق المحفوظ بداخله برنامج التخليق الذاتى الحامل للأوامر الإلهية والذى أودعه الله داخل المخلوق ليعمل تلقائياً بمجرد تلقيح الحيوان المنوى للبويضة ، والكروموسومات داخل النواة هى الجهاز أو المصنع المسئول عن تخليق أعضاء الكائن الحى الجسدية ، وكذلك تحديد صفاته النفسية والعقلية المميزة له عن غيره من الكائنات والمنقولة إليه من أبويه وأجداده وأول مخلوق فى نوعه «آدم مثلاً فى الإنسان» عبر الحيوانات المنوية والبويضات .

والخلية تعتبر كائناً حياً قائماً بذاته ، فلكل خلية داخل الجسد عمر وأجل محدود وهى تولد من خلية سابقة لها ، وتمر بمراحل النمو من طفولة وصبا وشباب وشيخوخة ثم تموت ،

وهناك أنواع من البكتيريا والأميبا وبعض الفطريات والطحالب يتكون جسد الكائن فيها من خلية واحدة.

أما باقي الكائنات التي يتكون جسدها من بلايين الخلايا، فإن كل خلية وإن كانت تعتبر كائنًا مستقلاً إلا أن جميع هذه الخلايا تتجمع مع بعضها لتكوين الكائن الحي، وتنسق العمل فيما بينها وتترابط وتتشابك مع بعضها البعض، وتخضع جميعها في النهاية لقيادة مركزية واحدة «عقل واحد» قد يكون هو عقل نواة الخلية الجنينية الأولى «نطفة الأمشاج في الإنسان» أو قد يكون عقل نواة خلية من الخلايا المشكلة لعقل الكائن «الإنسان مثلاً» أو قد يكون عقلاً مشكلاً من مجموع عقول نوى الخلايا المشكلة لعقل الكائن والله أعلم.

ثانياً: برنامج التخليق الذاتي المسجل على جينات الكروموسومات «حامل الأوامر الإلهية»:

اتجه العلماء بعد ذلك لدراسة الكروموسومات والغوص في أعماقها فوجدوا أنها في معظم الكائنات الحية عبارة عن خيوط متشابكة من جزيئات متصلة من الحامض النووي D.N.A واكتشفوا أن هذا الحامض النووي يحتوي على ترتيب معين من الأحماض الأمينية التي تقوم بتصنيع البروتينات.

وتبين أن عدد الأحماض الأمينية يصل إلى حوالي ٢٠ حمضاً في أي كائن، ولاحظ العلماء أن هذه الأحماض الأمينية تترتب داخل الكرموسوم الواحد بترتيب معين ونظام دقيق ومحكم ومنظم، وأطلق العلماء على ترتيب الأحماض الأمينية هذا اسم «الچينات»، وأكدوا أن هذه الچينات هي التي تحمل الصفات الوراثية داخل الكروموسومات، فهي المسئولة إما عن المساهمة في تكوين عضو أو إفراز إنزيم أو أداء وظيفة معينة طبقاً للترتيب المرتب به الأحماض الأمينية داخل الچين، واتضح أن أي تغير في هذا الترتيب مثل أن يأتي حامض أميني مكان آخر يؤدي إلى حدوث طفرة في الچين [١]. وقد تتسبب هذه الطفرة في حدوث تشوه خلقي بعضو معين أو الإصابة بمرض وراثي أو ورم سرطاني أو غير ذلك.

وقدر العلماء عدد الچينات المحمولة على الكروموسومات في الإنسان بحوالي مائة ألف چين[٢].

وبذل العلماء جهداً مضنياً للتوصل إلى تركيب الچين حتى مكنهم الله من ذلك فاكتشفوا بالتحليل الكيميائي أن الچين يتكون من بروتين وحمض الـD.N.A «حمض الديوكسي ريبو نكليك» Deoxyribo Nucleic Acid، وفي عام ١٩٥٣ تمكن العالمان «واطسن

---

(١) آدم وحواء من الجنة إلى إفريقيا، د. عبد الهادي مصباح، ص ١١٠.

(٢) الشفرة الوراثية للإنسان، دانييل كفلسي وليروي هود - ترجمة: د. أحمد مستجير، ص ١٠١ و ٤٠٩- ١٠ عالم المعرفة العدد ٢١٧.

و«كريك» من وضع نموذج لشكل حمض الـ D.N.A أوضحا من خلاله: أن الـ D.N.A عبارة عن جزيء طويل على شكل شريط حلزوني مزدوج أو سلم حلزوني «تتراوح درجاته بين نصف مليون درجة إلى مليون درجة» [١].

وبالنسبة للتركيب الكيميائي لهذا السلم فقد أوضحا: أن كل شريط من شريطي الـ D.N.A يمثل جانباً من جانبي السلم الحلزوني ويتركب كل جانب من جزيئات السكر الخماسي وجزيئات الفوسفات، أما درجات السلم فتركب من القواعد النتروچينية الأربعة وهي: الأدنين - الجوانين- السيتوزين - الثايمين، وكل درجة من درجات السلم تحتوى على قاعدتين نتروچينيتين من القواعد الأربعة، ولابد أن يرتبط الأدينين بالثايمين برابطة هيدروچينية ثنائية، أو يرتبط الجوانين مع السيتوزين برابطة هيدروچينية ثلاثية [٢]، وتتصل كل قاعدة بجانب من جانبي السلم بجزيء سكر خماسي والمتصل بدوره بجزيء فوسفات.

وقد أطلق العلماء على الوحدة التي يرتبط فيها الفوسفات بالسكر الخماسي والقاعدة النتروچينية اسم «نيوكليوتيدة» أي أن النيوكليوتيدة على درجة السلم تتكون من: فوسفات + سكر خماسي + قاعدة نتروچينية «أدينين أو ثايمين أو سيتوزين أو جوانين».

واتضح للعلماء أن الشريطين المزدوجين يلتفان حول نفسهما بحيث يوجد عشر نيوكليوتيدات في كل لفة [٣].

كما اتضح أن كل مجموعة من النيوكليوتيدات تكون «چيناً» فالچين عبارة عن تتابع مرتب من النيوكليوتيدات يوجد في موقع معين على كروموسوم معين وكل چين يقوم بإنتاج بروتين أو إنزيم يساهم في تخليق جزء من أعضاء الجسد أو القيام بوظيفة معينة فيه.

والچينات حاملة المعلومات الوراثية عبارة عن وحدات وظيفية وليست وحدات تركيبية. بمعنى أن المعلومة الواحدة قد تكون محمولة على أكثر من مكان ضمن الحمض النووي وفي أكثر من كروموسوم «صبغي».

ومكن الله العلماء من الوصول إلى الطريقة التي يضاعف أو ينسخ بها حمض الـ D.N.A نفسه عند انقسام الخلية تمهيداً لعمل خلية جديدة تكون نسخة طبق الأصل من الخلية السابقة ومحتوية على نفس الكروموسومات الموجودة بها وتحمل نفس صفات هذه الخلية.

فبعد تلقيح الحيوان المنوي للبويضة وتكوين الخلية الجنينية الأولى ونفس الحال بالنسبة لباقي الخلايا الناتجة منها عند انقسامها لعمل خلية جديدة، يقوم شريط الـ D.N.A في كل

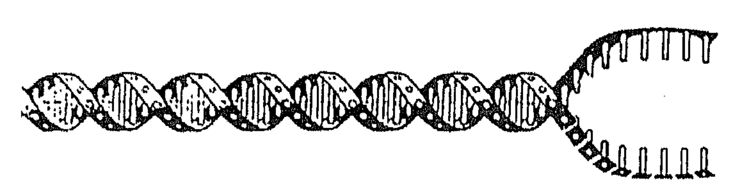
---

(١) أسرار الموت والحياة، د. السية سلامة السقا ص ٦٥.

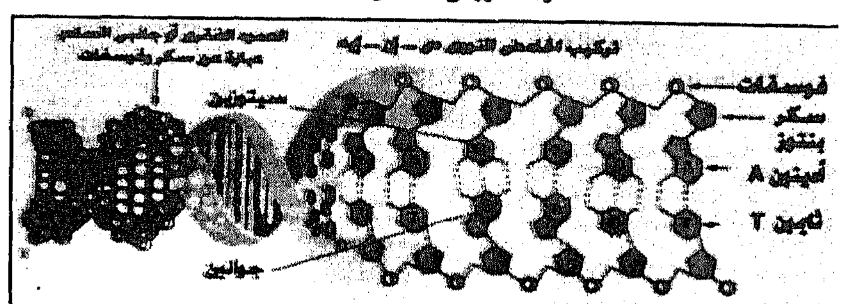
(٢) الهندسة الوراثية ومصير الإنسان - عبد الباسط الجمل ص ٣٠.

(٣) المصدر السابق ص ٣١.

كروموسوم بالانفصال عن بعضهما بكسر الروابط الهيدروچينية الموجودة بين القواعد النتروچينية المتزاوجة ثم ينسخ كل شريط نسخة طبق الأصل من نفسه ثم تتكون روابط هيدروچينية بين كل واحد من الشريطين الأصليين وواحد من الشريطين المستنسخين والمكمل له «بالنسبة للقواعد النتروچينية» ثم ينفصل كل شريطين عن الشريطين الأخريين ويكونان خليتين جديدتين من الخلية الأولى لكل خلية منهما نواة خاصة بهما، ولايمكن اعتبار واحدة منهما أصلاً والأخرى صورة لأن الخليتين الجديدتين يعتبران وكأنهما أصل ولا فرق بينهما.



الشريط الوراثى «حمض الـD.N.A»



تركيب الحامض النوى D.N.A

وقرر العلماء أن كل جزء من أجزاء الحمض النووى D.N.A يحمل ترتيباً معيناً للأحماض الأمينية، ويمثل هذا الترتيب شفرة خاصة لتصنيع بروتين ذى مواصفات وتركيب خاص وشبهوا هذه الشفرة بشفرة مورس للتلغراف. ولصناعة بروتين معين، فإن الجزء الخاص من الحمض D.N.A والذى يحمل الأوامر الخاصة بصنع ذلك البروتين ينفصل عن الحمض ليكون حمضاً آخر يسمى الحمض النووى الرسول ثم يقوم حمض الـD.N.A باستعادة الجزء الذى فقد منه فوراً بتصنيع جزء بديل له فى الحال.

وينطلق الحمض الرسول خارجاً من نواة الخلية إلى سيتوبلازمها ناقلاً الرسالة التى يحملها إلى أجهزة وأدوات الخلية لتقوم بتصنيع المطلوب على الفور [1].

---

(١) أسرار الموت والحياة، د. السيد سلامة السقا، ص ٦٥ - ٦٦.

* الخلاصة:

الكروموسومات الموجودة داخل النواة أو بمعنى أدق أو أكثر تفصيلاً: الچينات التى تمثل مقاطع أو أجزاء معينة من الكروموسوم والتى يسميها العلماء حاملة الصفات الوراثية، هى فى الحقيقة حاملة الأوامر الإلهية الخاصة بخلق الكائن الحى «خلق أعضائه وتحديد صفاته».

ويمكننا القول بأن الخلايا عبارة عن مصانع أووحدات يتشكل منها جسد الكائن الحى، وهذه الخلايا تنسخ نفسها بنفسها وفق برنامج تخليق ذاتى أودعه الخالق بداخلها مصداقاً لقوله تعالى ﴿الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى﴾، «طه، ٥٠» فهذا البرنامج هو برنامج الهداية الخاص بالخلق وهو يعمل بناء على أوامر تصدر إليه من نواة الخلية «عقلها»، وهذا البرنامج يعمل فى البداية بأمر الله عند تكوين أول خلية جنينية والناتجة من تلقيح الحيوان المنوى للبويضة بعد أن اختارهما الخالق سبحانه وتعالى من بين ملايين الحيوانات المنوية الموجودة فى الأب ومئات البويضات الموجودة فى الأم لخلق الإنسان منهما «أى من هذا الحيوان المنوى والبويضة اللذين وقع عليهما الاختيار من الله» ونواة الخلية تعتبر كتاب الخلق أو الكتاب المحفوظ أو كمبيوتر فى منتهى الدقة ورغم صغره يحتوى على كم من المعلومات يصعب على أى كمبيوتر من صنع الإنسان أن تسع ذاكرته التخزينية مثلها.

فإذا شبهنا النواة بكتاب أو اعتبرناها كتاب الخلق، فستصبح الكروموسومات أبواب وفصول هذا الكتاب، والبروتين الموجود داخل النواة سيمثل صفحات هذا الكتاب وصفحات فصوله، والچينات ستمثل الفقرات أو الجمل داخل كل فصل، والتى توضح أو تشرح كل مجموعة منها طريقة تصنيع أو بمعنى أدق تخليق عضو معين أو جزء من هذا العضو أو تحديد صفة من صفات المخلوق.

وستمثل النيوكليوتيدات الكلمات الموجودة داخل الجمل «الچينات» وستعتبر القواعد النتروچينية الأربعة هى الحروف المكونة لهذه الكلمات، والروابط الهيدروچينية ستمثل أدوات الربط والتشبيك بين الحروف والكلمات والجمل.

وترتيب الحروف «القواعد النتروچينية الأربعة» داخل الكلمات «النيوكليوتيدات» ستمثل الشفرة السرية أو المعنى اللغوى لها مثل ترتيب حروف اللغة العربية مثلاً فى كلمات لإعطاء كلمة ذات معنى، وترتيب الكلمات بالتالى وفق نظام معين سيعتبر مثل ترتيب الكلمات فى اللغة لإعطاء جملة مفيدة «أمر» ذات معنى،وأى تغيير فى ترتيب الحروف سيغير معنى الكلمة.

فعلى سبيل المثال لو أخذنا ثلاثة أحرف مثل: ق، ل، م، وقمنا بربطهم ببعضهم بنفس ترتيبهم السابق فسنحصل على كلمة ذات معنى هى «قلم» فإذا غيرنا ترتيب الأحرف الثلاثة

أكثر من مرة فسنحصل على كلمات أخرى ذات معانى أخرى هى : «قمل - نوع من الحشرات» مَلِقَ «بمعنى تودد وتضرع» مُقل «بمعنى أعين». .إلخ.

وإذا استبدلنا حرفًا من الأحرف الثلاثة بحرف آخر فسيتغير المعنى أيضاً فلو أبدلنا الميم بالباء فستصبح الحروف الثلاثة هى : ق، ل، ب وبربطهم ببعضهم بنفس ترتيبهم فسيصبح معنى الكلمة «قلب» ونفس الوضع سينطبق على ترتيب الكلمات داخل الجمل، فتغيير أى كلمة أو استبدال أى حرف منها بحرف آخر سيغير معنى الكلمة وبالتالى الجملة.

وبدلاً من أن يكون الأمر مثلاً «اصنع كبداً بثلاثة فصوص» يمكن أن يتحول إلى «اصنع قلبًا بثلاثة فصوص» وهكذا.

ومن هذا يتضح مدى الدقة في الشفرة الخاصة بترتيب القواعد النتروچينية والنيوكليوتيدات و. .إلخ، وسبحان الذى خلق كل شىء بمقدار وتقدير وإعجاز ودقة ونظام وترتيب، وأحسن كل شيء خلقه، ولم يخلق شيئاً عبثاً

وصدق الخلاق العليم فى قوله:

﴿ **وخلق كل شيء فقدره تقديراً** ﴾، «الفرقان: ٢».

﴿ **وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين** ﴾، «الدخان: ٣٨».

﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾، «التين: ٤».

﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾، «المؤمنون: ١١٥».

﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾، «القمر: ٤٩».

﴿ **الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين** ﴾، «السجدة: ٧».

ومرة أخرى نود أن نؤكد أن الچينات ليست وحدات تركيبية «أى جزءاً ماديًا» داخل الكروموسومات، وإنما هى وحدات وظيفية فهى عبارة عن مقطع أو جزء من الكروموسومات مسئول عن القيام بوظيفة معينة.

أما الكروموسومات فهى المسئولة عن تكوين الكائن «تخليقه» هى وبقية الأدوات المساعدة الموجودة بالنواة لكن الكروموسومات هى أهم جزء فى تكوين المخلوق وتحديد صفاته «الجسدية والعقلية والنفسية والفطرية» فالجسم كما قلنا مكون من لحم ودم وسوائل أخرى وعظام. .إلخ. وكل هذه الأشياء عبارة عن خلايا متشكلة فى صور هذه المواد، فالعظام خلايا والدم خلايا واللحم خلايا. والنواة أو بمعنى أدق الكروموسومات داخل النواة هى المسئولة عن تكوين الخلية ونواتها وكل خلايا الجسد ناتجة من خلية واحدة هى نطفة الأمشاج الناتجة من خليتين جنسيتين هما الحيوان المنوى والبويضة، فالكروموسومات تصنع نواة وخلية عند انقسام الخلية الأولى، وهكذا عند انقسام كل خلية لكن الخلية لا تصنع نواة والنواة لاتصنع

كروموسوماً، وبالتالى فالكروموسومات هى الأساس فى تصنيع الخلايا وبالتالى فى تكوين الجسد كله.

ثالثاً: العلاقة بين الكروموسومات ومراحل خلق الجنين داخل الرحم:

عندما قام العلماء بدراسة الحيوانات المنوية والبويضات بالمجاهر الإلكترونية ومتابعة تطور الجنين داخل الرحم من أول لحظة إلى لحظة ولادته باستخدام الأجهزة العلمية الحديثة اكتشفوا الآتى:

يتكون جسد الإنسان من عظام وغضاريف ولحم ودم وسوائل أخرى، و . . إلخ. وهذه المواد التى تشكل أعضاءه وجسده كاملاً ماهى إلا خلايا حية تحتوى كل خلية منها على ٤٦ كروموسوماً بنواتها، واكتشفوا أن هذه الكروموسومات لاتعمل كاملة فى كل خلية بل يعمل جزء منها أو بمعنى أدق يعمل بعض چيناتها والجينات الأخرى تكون معطلة، وهذه الچينات النشطة أو العاملة هى الچينات الخاصة بتكوين وتشغيل العضو الموجودة فيه فقط، فمثلاً لو أخذنا الكبد كعضو أو قطعة من جسد الإنسان فسنجد أن الخلايا المكونة له لايعمل من چينات كرموسومات نواتها إلا الچينات الخاصة بالكبد فقط، وإذا أخذنا أحد فصوص الكبد فسنجد أن خلايا هذا الفص لا يعمل فيها من چينات الكبد سوى الچينات المتعلقة بتكوين هذا الفص وأداء وظائفه وهكذا.

ونفس الوضع ينطبق على القلب والأمعاء والصدر والعينين والشعر . . إلخ. فسنجد فى كل قطعة من أجزاء الجسد أن الخلايا المكونة لها لايعمل بها الـ ٤٦ كروموسوماً ولكن يعمل بها چينات هذه الكروموسومات المسئولة عن تكوين هذه القطعة والقيام بأداء وظائفها المنوطة بها.

واكتشف العلماء أن الخلايا الجنسية وهى الحيوانات المنوية فى الرجل والبويضات فى المرأة لاتحتوى نواة كل منها إلا على نصف المادة الوراثية «نصف حمض الـD.N.A» أو بمعنى آخر نصف عدد الكروموسومات، أى تحتوى نواتها على ٢٣ كروموسوماً فقط، وتكون چينات هذه الكروموسومات نشطة بالكامل وليس بها چين معطل، وتقوم خصية الرجل بإنتاج الحيوانات المنوية وتخزينها فى الحويصلات المنوية، وتستطيع الخصية تكوين من ٤٠٠ - ٥٠٠ حيوان منوى فى المتوسط ابتداء من سن البلوغ [١].

وتكون الحيوانات حية نشطة تسبح فى السائل المنوى الذى يخرج من الرجل لحظة

---

(١) آدم وحواء من الجنة إلى إفريقيا، د. عبد الهادى مصباح، ص ٩٩.

القذف، ويبلغ حجم السائل المنوى فى القذفة الواحدة حوالى ثلاثة سنتيمترات مكعبة [1].
ويقدر عدد الحيوانات المنوية فى القذفة الواحدة بحوالى من ٦٠ - ٢٠٠ مليون حيوان منوى فى كل ملليمتر منه[2].

وكل حيوان يتكون من رأس لها نواة تحمل الحامض النووى D.N.A فى صورة ٢٣ كرموسوماً فقط، وعنق وذيل يقوم بدور الصاروخ الذى يحمل سفينة الفضاء لكى يوصلها إلى هدفها [3].

أما المرأة فالمبيض هو الذى يقوم بتكوين البويضات بها وتولد الأنثى وفي مبيضها حوالى ٢٥٠ ألف بويضة فقط تحتوى كل بويضة منها على ٢٣ كروموسوماً وهو نفس عدد الكروموسومات الموجودة بالحيوان المنوى والإثنان يمثلان عدد الكروموسومات الموجودة بالخلية الجسدية ويكمل كلاً منهما الآخر.

وعند بلوغ المرأة ينتج مبيضها بويضة واحدة كل شهر وهو عدد لا يقارن بمئات الملايين من الحيوانات المنوية التى تنتجها الخصية عند بلوغ الرجل، ويحمل الحيوان المنوى والبويضة الصفات الوراثية للأبوين، ونريد أن نوضح أن المقصود من الصفات الوراثية: صفات النوع والجنس، وكذلك الصفات العقلية والنفسية الفطرية وليس المكتسبة.

وصفات النوع والجنس يقصد بها شكل الجسد «إنسان أم حيوان وإذا كان حيوانًا فهل سيكون أسداً أم كلبًا أم قطة. . إلخ» وتحديد جنس هذا المخلوق «ذكر أم أنثى» وكذلك تورث بعض الأمراض الناتجة من حدوث طفرات فى الچينات والتى يطلق عليها الأمراض الوراثية.

ويقصد بالصفات العقلية والنفسية الفطرية القدرات العقلية والنفسية الفطرية الغريزية التى يحددها الخالق سبحانه وتعالى لهذا المخلوق من خلال تطبيع المخلوق الأول بها «آدم مثلاً فى الإنسان» ثم يتم توريثها منه إلى بقية نسله بعد تسجيلها على الچينات الخاصة به فتنتقل إلى أبنائه وأحفاده عبر الحيوانات المنوية والبويضات التى تحتوى نواتهما على الكروموسومات الحاملة لهذه الجينات.

واكتشف العلماء أن الحيوانات المنوية منها مايحمل كرموسوم الجنس الذكرى (y) ومنها مايحمل كرموسوم الجنس الأنثوى (x)، أى منها حيوانات منوية ذكرية وأخرى أنثوية. أما بويضات المرأة فتحتوى جميعها على كرموسوم الجنس الأنثوى (x) فقط.

فإذا اتحد حيوان منوى ذكرى مع بويضة أنثوية يكون المولود ذكرًا أى حاملاً لكروموسومى الجنس (y x) أما لو اتحد حيوان منوى أنثوى حامل للكروموسوم الجنسى (x) مع بويضة أنثوية وهى حاملة للكرموسوم الجنسى (x) فإن المولود يكون أنثى أى حاملاً للكروموسوم الجنسى (x x) الأنثوى.

---

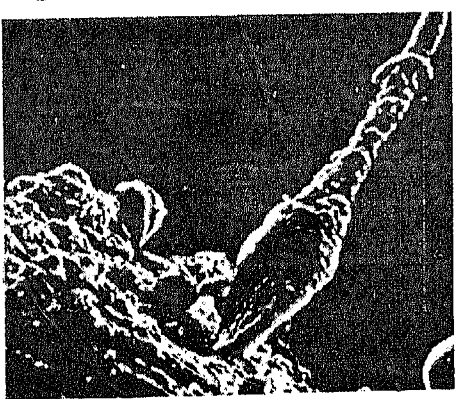
(١) إعجاز القرآن فى خلق الإنسان، د. محمد كمال عبد العزيز، ص ١١٢.

(٢، ٣) آدم وحواء من الجنة إلى إفريقيا - د. عبد الهادى مصباح ص ١٠٠.

فإذا جامع الرجل زوجته وأراد الله أن ينتج عن هذا الجماع مولوداً ذكراً فإن واحداً من ملايين الحيوانات المنوية الحاملة للكروموسوم الجنسي الذكرى (y) ينجح فى اختراق البويضة الحاملة للكروموسوم الجنسي (x) وينفذ أمر خالقه الذى صدر إليه بخلق إنسان جديد، فيقوم بصب محتويات نواته في نواتها فيختلطان ويمتزجان ببعضهما وتتكون أول خلية جنينية وهى نطفة الأمشاج فى القرآن الكريم ومعنى الأمشاج الأخلاط أى أن نطفة الأمشاج هى النطفة المختلطة أى المختلط أو الممتزج فيها محتويات نواة الحيوان المنوى مع محتويات نواة البويضة والمفسرون كانوا يفسرون نطفة الأمشاج بأنها خليط ماء الرجل والمرأة، وقد قدم لنا العلم صورة أوضح وأدق لمعنى نطفة الأمشاج.

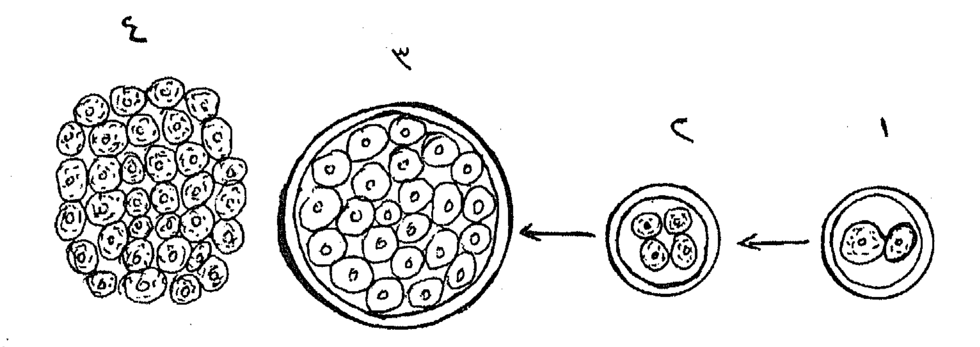
واتضح أن أول انقسام لهذه الخلية الجنينية الأولى أو البويضة المخصبة أو الزيجوت «نطفة الأمشاج» يبدأ بعد ٢٤ ساعة من التلقيح ويستمر حتى الساعة السادسة والثلاثين. ويبدأ الانقسام بقيام كل كرموسوم من الكروموسومات الستة والأربعين بنسخ نفسه ليصبح عدد الكروموسومات ٩٢ كروموسوماً ثم تتوزع هذه الكروموسومات إلى مجموعتين كل مجموعة منهما تضم ٤٦ كروموسوماً، وسرعان ما ينزل بينهما حاجز يفصل بينهما فيكون الناتج أول خليتين تامتين من هذه النطفة المختلطة «نطفة الأمشاج» وتسمى كل خلية باسم البلاستوميرا الخليتين المتشابهتين تماماً.

بعد ٧٢ ساعة من التلقيح تنقسم الخليتان إلى أربع خلايا، ثم بعد ذلك تنقسم الأربعة إلى ثمانية والثمانية إلى ست عشرة، وهكذا حتى يتكون البلاستوسيت وهو عبارة عن مجموعة من الخلايا على شكل ثمرة التوت يبلغ عددها من ٥٨ - ٦٠ خلية كلها متجمعة ومتشابهة مع بعضها ويكون ذلك في اليوم الرابع أو الخامس من بدء التلقيح [١].



صورة لحيوان منوي ملتصق بجدار البويضة محاولاً اختراقها

(١) خلق الإنسان بين العلم والقرآن. د. محمد كمال عبد العزيز ص ٢٧ - ٢٨ بتصرف.



مراحل انقسام نطفة الأمشاج إلى خلايا الجسم المختلفة

وبعد عشرة أيام يلتصق البلاستوسيت بجدار الرحم. وصدق من قال: ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾، «الإنسان:٢».

﴿ **وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تُمنى** ﴾، «النجم:٤٥ - ٤٦».

﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين** ﴾، «المؤمنون:١٢-١٣».

ويتكون الجنين من خمس خلايا فقط من خلايا البلاستوسيت أما بقية الخلايا البالغ عددها حوالى ثلاثة وخمسين فيتكون منها المشيمة [١] بعد ذلك، ويظل الجنين معتمداً على جدار الرحم فى غذائه حتى تكوين المشيمة والحبل السُرى فى الأسبوع الثانى عشر من الحمل[٢] وبتعلق البلاستوسيت بجدار الرحم يدخل الجنين فى مرحلة العلقة مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ **يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً...** ﴾، «الحج:٥».

﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ «المؤمنون: ١٢-١٤».

﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق** ﴾، «العلق:١-٢».

﴿ **هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً** ﴾، «غافر:٦٧».

﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدى. ألم يك نطفة من منى يُمنى ثم كان علقة فخلق فسوى** ﴾، «القيامة :٣٦-٣٨».

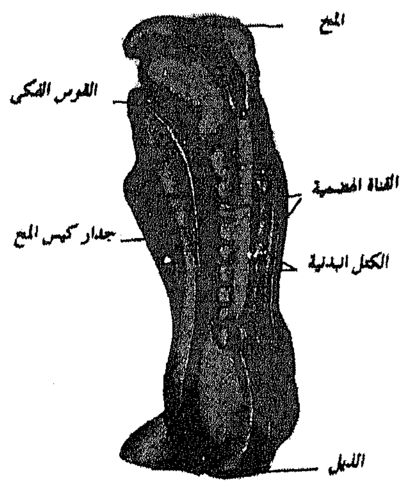
---

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

(٢) آدم وحواء من الجنة إلى إفريقيا، د. عبد الهادى مصباح، ص ٩٩.

تبدأ مرحلة العلقة بعد أسبوع تقريباً وتستمر إلى حوالى اليوم العشرين من بدأ التقليح ، ويكون طول العلقة فى البداية حوالى ربع ملليمتر ، ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ،ويحيط بالعلقة دم متجمد أو غليظ من كل جهاتها [١] وبعد أسبوعين من حدوث الحمل يصبح طول الجنين «العلقة» حوالى ٣ ملليمترات [٢] وفى هذه المرحلة يستمر انقسام الخلايا وتكاثرها، وتتكون الأوعية الدموية من بعض هذه الخلايا ، حيث تقوم بمساعدة الجنين فى التغذية وتمده بالأكسجين ومواد المناعة وتطرد المواد الضارة مثل ثانى أكسيد الكربون والبولينا .

وابتداء من اليوم الحادى والعشرين «الأسبوع الثالث» تقريباً يدخل الجنين فى المرحلة التى أطلق عليها القرآن «المضغة» والمضغة هى القطعة من اللحم . وفى هذه المرحلة تتكون الكتل البدنية التى ينطبق عليها وصف المضغة .



صورة تقريبية لمضغة طولها ٢ سم

وتبدأ الكتل البدنية فى الأسبوعين الخامس والسادس فى التحول إلى قطاع عظمى وعضلى ثم تكسى هذه العظام بالعضلات فى الأسبوعين السادس والسابع منذ بدء التلقيح .

ففى الأسبوع الرابع تبدأ الكتل البدنية فى التمييز إلى نوعين : الأول قسم باطنى إنسى يسمى بالقطاع العظمى ومنه تتكون الخلايا العظمية والخلايا الغضروفية ، وتنمو خلايا هذه الكتل من كل جانب لتلتقى أمام القناة العصبية ، وبذلك تتكون الفقرات العظمية .

والثانى قسم ظهرى وحشى تتكون منه أدمة الجلد وطبقة ما تحت الأدمة وعضلات الهيكل

---

(١) إعجاز القرآن فى خلق الإنسان ، مصدر سابق ، ص ٣١ .

(٢) آدم وحواء - مصدر سابق ص ١٠٤ .

خاصة المحيطة بالفقرات والأضلاع (١).

ويبدأ فى الأسبوع الرابع أيضاً ظهور جذور اليدين ويبدأ تشكيل العيون، وفى الأسبوع الخامس يبدأ تكوين الأنف، وعند ستة أسابيع يبدأ ظهور جذور الرجلين (٢). أى أن خلق السمع والبصر والجلد والعظام واللحم لا يحدث إلا بعد الأسبوع السادس «٤٢ يوماً» وقد أخبرنا النبى ﷺ بأن المرحلةالتى يبدأ عندها تصوير الجنين وتشكيل عظامه وتكوين لحمه وجلده وسمعه وبصره تبدأ من الأسبوع السادس تقريباً «بعد اثنين وأربعون يوماً» وهذا موافق لما أثبته علماء الأجنة والتشريح فقال ﷺ : «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ـ وفى رواية أخرى بضع وأربعون وفى رواية ثالثة خمس وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يارب أذكر أم أنثى؟ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك». «أخرجه مسلم بكتاب القدر.

وفى الأسبوع السابع تتكون بالإضافة إلى ما سبق ذكره الأعضاء الداخلية وعظام الجمجمة التى تبدأ فى الاقتراب من بعضها لكى تخلق المخ وتكثر فيها الأوعية آنذاك لكى تساعدها على النمو، ويبدأ تكوين عدسة العين والأعضاء التناسلية ويبلغ طول الجنين حوالى ٢ سم (٣).

وفى الأسبوع الثامن يبدأ تكوين عظام القدمين والغضاريف ويتحرك الجنين ولكن لاتشعر الأم بحركته لصغر حجمه حيث يبلغ طوله فى هذا العمر حوالى ٥سم ويتبقى عنده بقايا لذيل يختفى فيما بعد (٤) وفى الأسبوع العاشر يبدأ نزول الخصية (أو المبيض) تدريجياً حتى تصل إلى الحوض فى الشهر السابع ثم تواصل نزولها فى الشهر التاسع(٥) وفى الأسبوع الحادى عشر ينمو الجنين ويصبح طوله ٦,٥ سم وعند ١٢ أسبوعاً يصبح طوله ٧,٥سم ويظهر الحبل السُرى ،وفى الأسبوع الخامس عشر يكتمل تكوين الأعضاء الحسية والأعصاب(٦).

ويستمر نمو الجنين فى بطن أمه إلى الشهر التاسع ثم يخرج للوجود بالولادة ويستمر فى النمو ليصبح رجلاً كاملاً متآلفًا جسمه من خلايا فى صورة أعضاء ولحم ودم وسوائل يصل عددها إلى حوالى ٣٠ تريليون خلية متخصصة، جميعها ناشئة من خلية واحدة «نفس واحدة كما سماها القرآن الكريم» نتجت من اندماج الحيوان المنوى للأب وبويضة الأم وكانت تحمل

---

(١) إعجاز القرآن فى خلق الإنسان، مصدر سابق ، ص ٤٧.

(٢) آدم وحواء، مصدر سابق، ص ١٠٤.

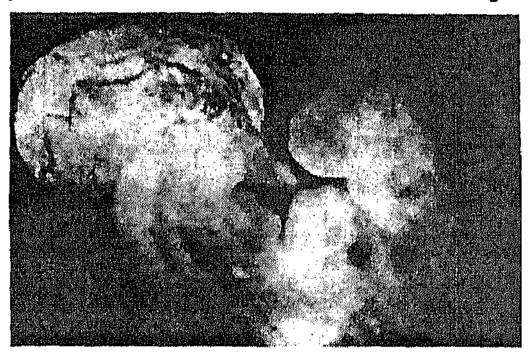
(٣) المصدر السابق ص ١٠٤.

(٤) المصدر السابق ص ١٠٥.

(٥) إعجاز القرآن فى خلق الإنسان، ص ٨٩.

(٦) آدم وحواء ص ١٠٥.

الصفات الوراثية لهما ولأبويهما وأجدادهما وهكذا إلى أن تصل لآدم وحواء، وهى الصفات التى خلقهما الله بها سواء كانت صفات جسدية أو نفسية أو عقلية فطرية وغريزية.



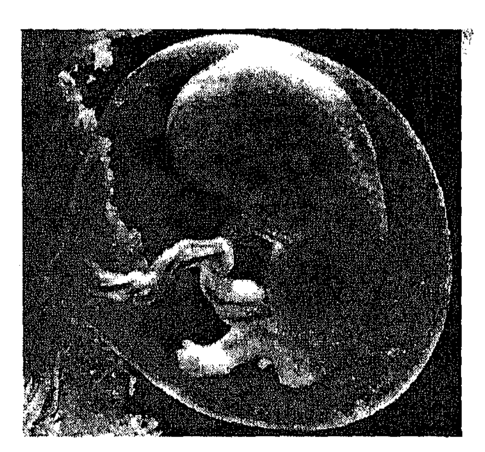
مضغة فى الأسبوع الرابع من العمر تبلغ حوالى ٧ مللم فى الطول، (٠٣, بوصة) وقد ظهرت الأقواس البلعومية، وبدأ القلب فى التكوين، وبدأت كذلك الكتل البدنية فى التكوين.



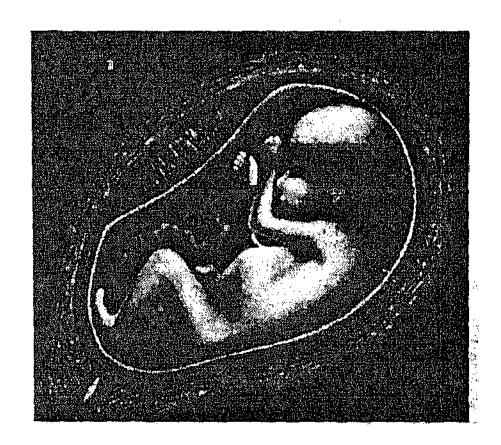
مضغة فى الأسبوع الرابع تبلغ من الطول ٥ مللم (٠,٠٢ بوصة) وقد بدأت العين والأذن فى الظهور. أما الرأس والرقبة فطولهما يبلغ نصف طول الجسم تقريباً.



جنين فى الأسبوع الخامس يبلغ من الطول ١١-١٢مللم (٠,٤٣ - ٠,٤٧ بوصة» وقد بدأت الأطراف فى التكوين بحيث يمكن تمييز أصابع اليد.



صورة جنين فى الأسبوع السادس



صورة جنين فى الفترات الأخيرة من الحمل

رابعاً: تصوير الخالق للجنين من خلال الجينات والملك الموكل بالأرحام:

كما سبق وأن شرحنا فالجينات هى حاملة الصفات الوراثية وهى عبارة عن مقاطع أو أجزاء من الكروموسومات يصل عددها إلى حوالى مائة ألف جين [1]. وهذه الصفات تنقل إلينا من الأبوان فنحمل جميع صفاتهم ما عدا المكتسب منها وهو المتعلق بسلوكياتهم وطباعهم وشهواتهم وعلمهم.. إلخ من الصفات المكتسبة أما الصفات والغرائز الفطرية منها والتى فطرنا الله عليها لنهتدى بها فهذه تورث لنا ويورث لنا أيضاً بعض الأمراض الوراثية التى

(١) الاستنساخ بين العلم والدين، د. عبدالهادى مصباح، ص ٥٤ - نشر مكتبة الأسرة.

يصاب بها الأبوين، كما يورث لنا فى الغالب كثير من ملامحهم الشكلية: كالطول أو القصر ولون الشعر والبشرة والعينين وتقسيمات الوجه.. إلخ.

ويعتقد كثير من علماء الوراثة من غير المؤمنين أن ملامح وجوهنا ولون بشرتنا ولون الشعر والعينين.. إلخ من الملامح الشكلية تتحدد فينا إلى حد كبير من نفس الچينات التى حددت نفس هذه الصفات فى أبوينا وهذا كلام غير دقيق، لأن الأمر لو كان كذلك لخرج كل ابن مشابهًا طبق الأصل فى ملامح وجهه وجسده لملامح وجه وجسد أحد أبويه أو كليهما معاً. وهذا وإن كان يحدث فى بعض الحالات، إلا أننا نجد حالات أخرى كثيرة تكون فيها ملامح الابن مختلفة تماماً عن ملامح وشكل الوالدين، فنجد الأبوين ببشرة سمراء والابن ببشرة بيضاء، والأبوين بشعر مجعد أسود والابن أو الإبنة بشعر ناعم أشقر أو أصفر أو بنى أو أسود.. ونجد الوالدين قصيرين والابن قد يكون طويلاً أو الأبوين مصابين بمرض ما وراثى ولا يظهر هذا المرض فى كل ابنائهما.. إلخ. فلماذا يحدث هذا الاختلاف فى كثير من الحالات؟

الواقع أن السبب الأساسى فى هذا الاختلاف يرجع إلى أن الخالق سبحانه وتعالى هو المصور الوحيد للجنين والمحدد لملامحه وشكله ولهذا وصف نفسه «بالمصور».

فهذه الچينات لاتحدد ملامح الجنين من تلقاء نفسها، صحيح أنها يمكن أن تعمل تلقائياً وفق برنامج التخليق الذاتى الذى أودعه الخالق سبحانه وتعالى بها، ولكن ذلك قد يكون بالنسبة لتخليق أعضاء الجسد الداخلية التى لاتختلف فى شكلها وحجمها وأوصافها من إنسان لآخر «سواء كان قصيراً أو طويلاً، أبيض أو أسود.. إلخ» مثل الكبد والقلب والأمعاء والطحال.. إلخ.

أما الچينات المسئولة عن تحديد الملامح الشكلية الخارجية للإنسان كلون العين والشعر والبشرة وملامح الوجه والطول والقصر.. إلخ فهذه لاتعمل من تلقاء نفسها ولكن يتم اختيار المناسب منها لملامح الشخص الذى يقدر الخالق سبحانه وتعالى خلقه، ثم يأمرها الخالق دون غيرها بالعمل فى جسد هذا الإنسان ويأمر بقية الچينات التى تحمل نفس الصفات ولكنها مختلفة عن الصفات المرادة بالتوقف وعدم العمل فى هذا الإنسان.

وعملية الاختيار بين هذه الچينات تتم من خلال الملك الموكل بالأرحام بعد أن يطلعه الله على صورة الشخص المراد خلقه من نطفة الأمشاج المكونة من الأبوين، ويحدد له صفاته.

ويتأكد ذلك من الأحاديث النبوية التى ذكر فيها النبى ﷺ تفاصيل ذلك الأمر، ومن الآيات القرآنية أيضاً.

قال تعالى: ﴿ **هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء. لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾، «آل عمران: ٦».

﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم. الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما يشاء ركبك** ﴾، «الانفطار: ٦-٨».

﴿ **وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير** ﴾، «التغابن: ٣».

فهذه آيات تؤكد أن عملية التصوير «تحديد الملامح والشكل العام» للجنين تتم بمشيئة وإرادة الله وليس عن طريق الچينات من تلقاء نفسها بالقطع أو عن طريق نفس الچينات التى كانت تعمل بالأبوين والخاصة بتحديد ملامح الوجه ولون البشرة والطول والقصر ولون العينين والشعر. .إلخ.

وثبت علمياً بعض الحقائق التى تؤكد ذلك، فقد اكتشف العلماء أن الچينات الوراثية الموجودة بالخلية والمورثة من الأبوين والبالغ عددها حوالى مائة ألف چين يعمل منها فى الخلية التى سيخلق منها الجنين «نطفة الأمشاج» ١٠٪ فقط [١] أما الباقى فيظل خاملاً ويورثه هذا الجنين بعد أن يصبح رجلاً لأبنائه وكذلك الأمر بالنسبة للأم.

والـ ١٠٪ هذه هى التى يتم تخليق الجنين كاملاً منها بكل أعضائه وملامحه وقدراته النفسية والعقلية الفطرية.

ألا يدل ذلك على أن صفات «چينات» الملامح الشكلية والتى لن يتعدى عددها أيضاً من ٥ - ١٠٪ من هذه الچينات (الـ ١٠٪) قد تم اختيارها من قبل الخالق بعناية ودقة وأن العملية لم تترك للصدفة والعبث وقانون الاحتمالات أو لإرادة هذه الجينات؟.

أما السر فى وجود شبه كبير فى كثير من الأحيان بين الآباء والأبناء فيرجع إلى أن الخالق سبحانه وتعالى فطر هذه الچينات على قانون خلقى وتعليمات محددة، فهى محكومة بناموس كونى مثل سائر المخلوقات والله عندما يصورنا فى الأرحام يصورنا وفق هذا القانون الذى سبق وأن سنه لأنه أعلم بخلقه، فكلنا ورثنا چينات من أبوينا آدم وحواء عليهما السلام مسجلاً عليها كل الصفات الصالحة لخلق الإنسان بملامح وهيئة أى إنسان آخر، فالإنسان الإفريقى الأسود يحمل أيضاً الچينات الخاصة بالبشرة البيضاء والشعر الأصفر ولون العينين الزرقاء والخضراء. .إلخ. والإنسان القصير يحمل أيضاً الچينات التى يمكن أن تجعله طويلاً ويورث هذه الچينات لأبنائه.

ولكن السر فى أن الإنسان الإفريقى لاينجب ابنًا أبيض ويخرج ابنه حتى لو اختلف معه فى الملامح أسود أيضاً - يرجع إلى العوامل البيئية وزواج هذا الأب من إفريقية وليس أوروبية بيضاء مثلاً فهذان عاملان من العوامل المؤثرة فى الوراثة وتحديد الملامح والشكل لأن الإنسان الإفريقى ورث من أبويه وأجداده چينات البشرة السوداء والبيضاء، ولكن الچينات الخاصة

---

(١) المصدر السابق ص ٥٤.

بالبشرة السوداء كانت أنشط من الجينات الخاصة بلون البشرة البيضاء وسر نشاطها البيئة شديدة الحرارة المحيطة بسكان إفريقيا، وكثرة خمول الجينات البيضاء وتوريثها خاملة من جيل إلى جيل مما يؤدى إلى تعطليها تماماً وكذلك الحال بالنسبة لباقى الصفات الخاصة بتحديد الملامح الشكلية.

وعندما يتزوج الإنسان الإفريقي من إفريقية فهو يتزوج من زوجة الجينات الخاصة بلون البشرة البيضاء فيها معطلة أيضاً، فيورث الإثنان لأبنائهما جينات بشرة بيضاء معطلة وهكذا. أما لو تزوج من أوروبية بيضاء فغالباً ما يكون الولد قمحيًا أوأبيض، وإن ولد ببشرة سمراء وتزوج هذا الابن من أوروبية بيضاء أيضاً فسيكون الابن ذا بشرة أكثر بياضاً من أبيه وهكذا حتى يأتى أحد الأحفاد ببشرة بيضاء تماماً خاصة إذا كان يعيش فى أوروبا. ولعل هذا يفسر لنا سرًّا من أسرار تحريم الخالق سبحانه وتعالى لزواج الأخ من أخته فغالباً هناك حكم كثيرة فى ذلك ولابد أن منها عدم إضعاف نسلهما وتعطيل بعض جيناتهما، ويفسر لنا أيضاً سر حث الرسول ﷺ لنا على تفضيل الزواج من غير الأقارب خاصة أولاد العم وهكذا فهذه كلها عوامل تؤدى إلى توسيع دائرة الأسرة وتقوية النسل وعدم تعطيل بعض الجينات.

وقد يقول قائل حتى لو كانت الجينات معطلة فهل يستعصى على الله أن يأمرها بالعمل ويخلق من إنسان إفريقى أسود البشرة ابناً ببشرة بيضاء وشعرًا أصفر وعين زرقاء؟.

والإجابة بالقطع لا، فهذا أمر لن يستعصى على الله ولكن الله كما قلنا سن لكل شيء قانونًا، ويدبر أمور الكون وفق هذه القوانين، ويخلق أيضاً وفق القوانين التى سنها للخلق والإنجاب، ولهذا وجهنا إلى الأساليب التى نحسن بها نسلنا ونحافظ عليه. وهو قادر فى أى لحظة على خرق هذه القوانين وفعل ما يشاء، ولكن هذا لايتم إلا فى حالات نادرة ولإظهار قدرته.

وقد ورد كثير من الأحاديث الصحيحة والضعيفة التى توضح دور الخالق سبحانه وتعالى فى تحديد ملامح وخلق الجنين ودور العوامل الوراثية فى هذا الشأن أيضاً نذكر منها على سبيل المثال:

عن عبدالله قال: مر يهودى برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت قريش: يا يهودى إن هذا يزعم أنه نبى، فقال لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبى. فقال يامحمد: مم يخلق الإنسان؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا يهودى، من كلٍّ؛ يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم، فقال اليهودى: هكذا كان يقول من قبلك». «أخرجه أحمد ١ / ٤٦٢».

والحديث يفيد أن الإنسان يخلق من نطفة الرجل «الحيوان المنوى للأب» ونطفة المرأة

«بويضة الأم» بعد أن يتحدا ويكونا نطفة الأمشاج والشق الثانى من الحديث يفيد ـ لو صح : أن الجينات المسئولة عن العظم والعصب تكون موجودة بنواة الحيوان المنوى ، والجينات المسئولة عن تكوين اللحم والدم موجودة بنواة البويضة ، وهذا أمر لم يتأكد العلماء منه بعد ولو ثبت صحته فسيؤكد صحة هذه الرواية .

وعموماً الحديث يشير إلى دور حاملات الصفات الوراثية «الجينات» الموجودة بالحيوان المنوى والبويضة فى عملية تخليق الإنسان .

روى الشعبى عن علقمة عن ابن مسعود قال : إن النطفة إذا استقرت في الرحم جاءها ملك فأخذها بكفه فقال : أى رب مخلقة أم غير مخلقة ، فإن قيل غير مخلقة لم تكن نسمة وقذفتها الأرحام دماً ، وإن قيل مخلقة قال : أى رب ذكر أم أنثى ؟ شقى أم سعيد ؟ ما الأجل ؟ وما الأثر ؟ وبأى أرض تموت ؟ قال : فيقال للنطفة من ربك ؟ فتقول الله ، فيقال من رازقك ؟ فتقول الله ، فيقال اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيه قصة هذه النطفة ، قال : لتخلق فتعيش فى أجلها وتأكل فى رزقها وتطأ فى أثرها ، حتى إذا جاء أجلها ماتت فدفنت فى ذلك» .«أخرجه ابن أبى حاتم» [1] .

وعن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : «إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكاً يقول : يارب نطفة ، يارب علقة ، يارب مضغة ، فإذا أراد أن يقضى خلقه قال : أذكر أم أنثى ؟ شقى أم سعيد ؟ فما الرزق والأجل ؟ فيكتب فى بطن أمه» . «أخرجه البخارى بكتاب الحيض – ومسلم بكتاب القدر» .

وعن حذيفة بن أسيد أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظامها ، ثم قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك» «أخرجه مسلم بكتاب القدر» .

والأحاديث السابقة تشير إلى أن عملية تصوير الجنين تتم من خلال ملك يبعثه الله أو ملك موكل بالأرحام أساساً وملازم لها وهو الذى يقوم باختيار الجينات التى تصور الجنين بالصورة التى قدرها له الله مسبقاً والتى اطلع عليها الملك فى «أم الكتاب» بعد أن أمره الله بذلك ، ولا ينفى ذلك كون صورة العبد التى يرسمها الله له تكون متأثرة بجينات أبيه وأمه وأجداده لوجود أحاديث أخرى أكدت ذلك وبالجمع بين كل هذه الأحاديث نصل إلى هذه النتيجة التى أكدناها وفيما يلى أمثلة لهذه الأحاديث .

عن أنس أن عبد الله بن سلام سأل النبى ﷺ عن الولد يشبه أباه فقال ﷺ : «وأما الشبهة فى الولد فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبقت كان الشبه لها»

---

(١) جامع العلوم والحكم – ابن رجب الحنبلى البغدادى ص ٦٠ – شرح الحديث الرابع – مطبعة دار الريان للتراث .

فقال عبدالله بن سلام : ـ وكان رئيس أحبار اليهود آنذاك : أشهد أنك رسول الله فآمن» . «أخرجه البخارى» .

والحديث يشير إلى أن ماء الرجل «أى حيوانه المنوى لأنه أهم شيء فى ماء الرجل وبه يتم الإنجاب» إذا سبق وفى رواية أخرى إذا علا على ماء المرأة «بويضتها» كان الشبه للأب وإذا حدث العكس كان الشبه للأم .

ويقصد بسبق أو علو ماء الرجل لماء المرأة سيادته عليها ، أو العكس والحيوان المنوى أهم شيء فيه نواته وكذلك البويضة وعن طريقهما يتم تخليق الجنين وبمعنى أدق عن طريق چينات الكروموسومات الموجودة بهما بعد اختلاطها وامتشاجها ببعضها البعض .

وسيادة چينات الرجل على چينات المرأة أو العكس هو مايطلق عليه علماء الوراثة اليوم الچينات السائدة والمتنحية ، فالسائدة هى الچينات الأنشط والأقوى والأكثر تأثيراً فى الجنين والمتنحية هى الخاملة الضعيفة ، وبالتالى فلو كانت چينات الرجل أقوى من چينات زوجته فسيكون شبه الولد للأب أو أحد أعمامه أو جدوده من جهة الأب ، وإذا كانت چينات الأم هى الأقوى فسيكون شبه الولد للأم أو أحد أخواله أو جدوده من جهة الأم . ونفس الوضع بالنسبة للبنت إذا كان المولود أنثى أما إذا كان الأب لديه چينات قوية وضعيفة والأم كذلك فسيكون شبه المولود للأب والأم معاً أو للأعمام والخيلان معاً أو لأحد الجدود من الأبوين أو خليطًا بينهما وهكذا . . فهذا هو مايفهم من هذا الحديث .

وسئل حبر من أحبار اليهود النبى ﷺ عدة أسئلة من بينها سؤال عن الولد فقال له رسول الله ﷺ : «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكر بإذن الله وإذا علا منى المرأة منى الرجل أنثا بإذن الله» . فقال يهودى : لقد صدقت وإنك لنبى . «أخرجه مسلم بكتاب الحيض» .

وفهم معظم المفسرين فى الماضى من هذا الحديث أن المرأة تشترك مع الرجل فى تحديد جنس الجنين ذكراً أو أنثى . وهذا مخالف لما أثبته علم الوراثة كما سبق وأن شرحنا ، فقد ثبت علمياً وأصبح أمراً لا جدال فيه أن تحديد جنس الجنين يتوقف على الرجل فقط لأنه هو الذى يحمل حيوانات منوية تحمل كروموسوما الجنس (y) الذكرى ، وحيوانات منوية تحمل كروموسوم الجنس الأنثوى (X) فقط ، وبالتالى فهى لا تشترك فى تحديد جنس الجنين لأن جنسه يتوقف على نوع الحيوان المنوى الذى سيلقح البويضة هل هو ذكرى أم أنثوى . لذا فالحديث له معنى آخر .

والمعنى الصحيح للحديث أن المقصود بماء الرجل وماء الأنثى أو منى الرجل ومنى الأنثى الحيوان المنوى الذكرى والحيوان المنوى الأنثوى وليس الحيوان المنوى والبويضة .

فيكون المعنى إذا علا أو سبق بإذن الله الحيوان المنوى الذكرى ولقح بويضة المرأة كان المولود ذكراً، وإذا علا أو سبق بإذن الله الحيوان المنوى الأنثوى ولقح البويضة كانت المولودة أنثى.

وبهذا يتفق ما جاء بالحديث مع ما ثبت بعلم الوراثة وما أقره العلماء بخصوص تحديد جنس الجنين.

وروى أن رجلاً من بنى فزارة جاء إلى النبى ﷺ ينفى نسب وَلَدٍ وُلِد له إليه لأن امرأته ولدت غلاماً أسود فقال ﷺ له: «هل لك من إبل»؟ قال :نعم، قال: «فما ألوانها»؟ قال الرجل: أحمر، فقال رسول الله ﷺ: «هل فيها من أورق» «أسمر»؟ قال: إن فيها أورق. فقال ﷺ: «فأنى أتاها ذلك»؟ قال الرجل: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: فهذا «أى مولودك» عسى أن يكون نزعة عرق». «أخرجه البخارى ومسلم وأصحاب السُنن الأربعة وأحمد والدارقطنى».

والحديث يفيد أن الولد قد لايشبه والديه أو أحد أجداده وذلك لأننا نحمل چينات سائدة وأخرى متنحية فيها كل صفات البشر الشكلية وهذه الجينات مورثة لنا من آدم وحواء بعد أن أودعها وسجلها الله بنوى خلاياهما، ويقوم سبحانه وتعالى بتصويرنا وخلقنا منها كيفما شاء وليس شرطاً أن يترك سبحانه قانون الخلق الذى أودعه الله فى هذه الجينات ليعمل تلقائياً فنولد مشابهين لأحد أبوينا أو جدودنا.

وهذا يؤكد أن عملية اختيار الچينات التى ستحدد ملامحنا الشكلية يتم اختيارها فى كثير من الأحيان بإرادة الله، ويقوم بعملية الاختيار والتحديد والتصوير هذه الملك الموكل بالأرحام بعد أن يأمره الله بذلك ويحدد له الچينات الواجب عليه اختيارها لتصوير وخلق الجنين داخل الرحم.

وأحب أن أنوه هنا إلى أن نزعة العرق المذكورة فى الحديث يقصد بها نزعة كروموسوم أوچين فقد كانت طائفة من العلماء على ما ذكر ابن رجب الحنبلى البغدادى فى كتابه «جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم» عند شرحه للحديث الرابع: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفه....» أن هؤلاء العلماء كانوا يفسرون أمشاج النطفة بالعروق التى فيها، أى أنهم يعتبرون العروق هى أمشاج نطفة الرجل والمرأة وهما مايطلق عليه علماء الوراثة والأجنة والتشريح: كروموسومات نواة الحيوان المنوى والبويضة أو كروموسومات نطفة الأمشاج.

والنقطة الثانية التى أحب التنوية عليها أن ماء الرجل وماء المرأة المذكورين بالأحاديث النبوية ليس شرطاً أن نفسرها اليوم بنفس تفسير علماء السلف على أنهما السائل المنوى

الذى تسبح فيه الحيوانات المنوية وتتغذى عليه وكذلك البويضات. لأننا يمكن أن نفسره اليوم على أن المقصود منه الحمض النووى الموجود بنواة الحيوانات المنوية والبويضات، فالحمض النووى ليس إلا ماء أو نوعًا من أنواع الماء، لأن أى شيء فى صورة سائلة يمكن أن نسميه ماء.

ولو كان علماء السلف متواجدين فى عصرنا هذا واطلعوا على ماكشفه الله لنا من أسرار خاصة بالحيوانات المنوية والبويضات لفسروا فى الغالب الآيات والأحاديث بعد ربطهما بهذه العلوم بنفس التفاسير التى نحاول نحن أن نفسر بها هذه الآيات والأحاديث بما يتماشى مع المفاهيم الحديثة خاصة أن ماورد بها أصبح مطابقًا تماماً فى مفهومه لما ثبت من حقائق علمية وعطاء آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية دائماً متجدد وبهما إشارات تتماشى مع ما يثبت من حقائق علمية، وواجبنا كمسلمين ألا نقف فى تفسير الآيات والأحاديث المتعلقة بالأمور الكونية والخلقية والعلمية عند آراء علماء السلف حتى لانعطل القرآن الكريم ونجمده وما علينا سوى الاهتداء بهذه الآراء عند إعطاء تفسير جديد للآيات والأحاديث العلمية لإظهار ما بها من حقائق وإشارات غير منافية لما ثبت من حقائق علمية وكونية، خاصة أن الجيل الأول من المفسرين لم يقف فى تفسير الآيات والأحاديث عند تفسيرات الصحابة والتابعين، بل كانوا يخالفونهم فى الرأى ويعطون تفسيرات أدق وأكثر إقناعاً فى كثير من الأمور لمن سبقهم، وكذلك المفسرون من الجيل الثانى والثالث وهكذا كانوا يعطون تفسيرات مخالفة فى بعض الأمور لمن سبقهم من المفسرين منها ما هو مصيب ومنها ماهو مخطئ.. فالكل كان يجتهد ولايقف فى تفسير النصوص المختلف عليها أو المتصف منها بالصفة العلمية عند الجيل الأول من المفسرين، وإنما كان كل منهم يربط بين الآراء السابقة ويستخلص منها رأيًا موافقًا أو مخالفًا لها ويربط آراءه هذه بأحدث الاكتشافات العلمية فى زمانه. والأمثلة على ذلك كثيرة ويصعب حصرها وكتب التفسير مليئة بمثل هذه الآراء المختلفة فى تفسير الآية الواحدة.

المهم أننا مطالبون بتشغيل عقولنا وبالتدبر والتفكر فى آيات الله وبعدم تجميد هذه الآيات حتى ينكشف لنا مافيها من إعجاز وما تحمله من حقائق علمية قد تساعدنا فى فهم كثير من الأمور التى حيرت العلماء الذين يبحثون فى أسرار خلق السماوات والأرض والكائنات كعلماء الوراثة والتشريح والأحياء والأجنة والفلك والجيولوجيا والزراعة..إلخ.

وأختم هذه النقطة بالحديث التالى:

روى مظهر بن الهيثم، عن موسى بن على بن رواح عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال لجده: «يا فلان ما ولد لك»؟ قال: يارسول الله وما عسى أن يولد لى؟ إما غلام وإما جارية.

فقال له: «فمن يشبه؟ قال جده: عسى أن يشبه أمه أو أباه. فقال النبى ﷺ: «لا يقولن أحدكم كذا إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم، أما قرأت هذه الآية: فى أى صورة ما شاء ركبك». «أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم» [1].

والحديث ضعيف السند لأن فى سنده مظهر بن الهيثم، ولكن يشد من أزره احتواء متنه على حقائق علمية ثبت صحتها، فالحديث يشير إلى أن المولود قد لايشبه أباه أو أمه، وذلك لأن النطفة بعد أن تستقر فى الرحم يستحضر لها الله عند خلقها وتصويرها كل نسب بينها وبين آدم، أى يحضر كل الچينات الموجودة بها والمتوارثة من الأبوين والأجداد وحتى آدم فيختار من بين هذه الچينات، الچينات التى تحمل الصفات التى تصور وتشكل هذه النطفة «نطفة الأمشاج» بالصورة التى يريدها الخالق جل وعلا لهذا الجنين، ولهذا نجد المولود قد لايشبه أبويه أو أحد أجداده وهذا أمر ثبت صحته علمياً والواقع يؤكده.

وبالتالى ليس شرطاً أن تكون نفس الچينات التى عملت فى تصوير الأبوين «تحديد ملامح وجوههم وطولهم...» هى نفس الچينات التى ستعمل فى تصوير أبنائهما.

خامساً: نفخ الروح فى الجنين بعد ١٢٠ يوماً يقصد منه إطلاق النفس والعقل للعمل فى الجسد:

متى تنفخ الروح فى الجنين؟ أوبمعنى أدق هل الجنين من أول لحظة فيه روح أم الروح شىء ينفخ فيه بعد مرحلة معينة من مراحل تكوينه داخل الرحم؟

سؤال فى منتهى الأهمية والإجابة عليه ستساعد كثيراً فى التعرف على أمر الروح وكشف الكثير من أسرارها وقبل أن نجيب على هذا التساؤل تعالوا لنتعرف أولاً على الأحاديث النبوية الواردة فى هذا الشأن، وآراء علماء السلف والمعاصرين والأطباء المسلمين.

عن عبدالله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله، وشقى أو سعيد،....». «أخرجه مسلم والبخارى بكتاب القدر ولكنه أخر نفخ الروح على كتابة الأربع كلمات فذكرها بعدهم وأخرجه أحمد فى مسنده».

ومعنى الحديث أن الله يرسل الملك لينفخ الروح فى الجنين بعد ١٢٠ يوماً واستند بعض الفقهاء على هذا الحديث فى جواز إسقاط الجنين قبل هذه المدة لأنه فى هذه الفترة لا يعتبر نفساً حية أو إنساناً فيه روح.

---

(١) جامع العلوم والحكم - ابن رجب الحنبلى البغدادى - ذكر الحديث عند شرحه للحديث الرابع: «إن أحدكم يجمع فى بطن أمه....» ص ٥٨ - طبعة دار الريان للتراث.

وذهب بعض العلماء كما قال ابن حجر العسقلانى فى «فتح البارى» إلى أن الحكمة فى عدة المرأة من الوفاة بأربعة أشهر وعشرة أيام هو أن نفخ الروح فى الجنين لايتم إلا بعد هذه المدة [1] وقال إن هذا مصرح به فى حديث ابن عباس: «إذا وقعت النطفة فى الرحم مكثت أربعة أشهر وعشراً، ثم ينفخ فيها الروح» ونقل ما أخرجه الطبرى عن سعيد بن المسيب عندما سئل عن عدة الوفاة فقيل له: ما بال العشرة بعد الأربعة أشهر؟ فقال: ينفخ فيها الروح.

ثم قال ابن حجر: ووقع فى حديث على بن عبدالله عند ابن أبى حاتم: «إذا تمت للنطفة أربعة أشهر بعث الله إليها ملكاً فينفخ فيها الروح، فذلك قوله تعالى: ﴿ **ثم أنشأناه خلقاً آخر** ﴾ وسنده منقطع، وهذا لاينافى التقييد بالعشرة الزائدة. [2].

وروى عن النبى ﷺ روايات مختلفة تفيد أن الملك ينزل إلى الجنين وهو فى مرحلة النطفة بمجرد انعقادها وأخرى وهو فى مرحلة العلقة وثالثة وهو فى مرحلة المضغة.. إلخ. وذلك لتصوير الجنين وتخليقه ولم يذكر بهذه الروايات قيامه بنفخ الروح فى الجنين، فنفخ الروح لم يرد إلا فى الروايات السابق ذكرها، ونظراً لارتباط الملك بنفخ الروح أيضاً على ما ذكر برواية ابن مسعود فقد رأى البعض أن نفخ الروح يتم فى مرحلة النطفة وآخرين فى مرحلة العلقة أو المضغة وهكذا، وحاول آخرين التوفيق بين هذه الروايات المختلفة.

وقد جمع ابن رجب الحنبلى هذه الروايات المختلفة بكتابه «جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم» عند شرحه لحديث ابن مسعود السابق ذكره فقال ما مختصره:

«...... وقد رخصت طائفة من الفقهاء للمرأة فى إسقاط ما فى بطنها مالم ينفخ فيه الروح وجعلوه كالعزل، وهو قول ضعيف، لأن الجنين ولد انعقد وربما تصور، وفى العزل لم يوجد ولد بالكلية، وإنما تسبب العزل فى منع انعقاده، وقد لايمتنع انعقاده بالعزل إذا أراد الله خلقه كما قال النبى ﷺ لما سئل عن العزل قال: «لا عليكم أن لا تعزلوا، إنه ما من نفس منفوسة إلا أن الله خالقها».

وقد صرح أصحابنا بأنه إذا صار الولد علقة لم يجز للمرأة إسقاطه لأنه ولد انعقد، بخلاف النطفة فإنها لم تنعقد بعد وقد لاتنعقد ولداً.

وقد ورد فى بعض الروايات فى حديث ابن مسعود ذكر العظام وأنه يكون عظماً أربعين يوماً. فخرج الإمام أحمد، قال عبدالله «أى عبدالله بن مسعود» قال رسول الله ﷺ: «إن

---

(١) فتح البارى - ابن حجر العسقلانى، جـ١١ شرح الحديث رقم ٦٥٩٤، ص ٤٩٤ طبعة دار الريان للتراث.

(٢) المصدر السابق.

النطفة تكون فى الرحم أربعين يوماً على حالها لاتغير، فإذا مضت الأربعون صارت علقة ثم مضغة كذلك ثم عظاماً كذلك، فإذا أراد الله تعالى أن يسوى خلقه بعث ملكاً».

وذكر بقية الحديث .... ورواية الإمام أحمد تدل على أن الجنين لا يُكسى اللحم إلا بعد مائة وستين يوماً، وهذا غلط لاريب فيه، فإنه بعد مائة وعشرين يوماً تنفخ فيه الروح بلا ريب.. وقد ورد فى حديث حذيفة بن أسيد ما يدل على خلق العظام واللحم فى أول الأربعين الثانية، ففى صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد عن النبى ﷺ قال: «إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يارب ذكر أو أنثى؟...» فظاهر هذا الحديث يدل على أن تصوير الجنين وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظاماً يكون فى أول الأربعين الثانية، فيلزم من ذلك أن يكون فى الأربعين الثانية لحماً وعظاماً.

وقد تأول بعضهم ذلك على أن الملك يقسم النطفة إذا صارت علقة إلى أجزاء، فيجعل بعضها للجلد وبعضها للحم وبعضها للعظام، فيقدر ذلك كله قبل وجوده، وهذا خلاف ظاهر الحديث، بل ظاهره أنه يصورها ويخلق هذه الأجزاء كلها، وقد يكون ذلك بتصويره وتقسيمه قبل وجود اللحم والعظام، وقد يكون هذا فى بعض الأجنة دون بعض، وحديث مالك بن الحويرث المتقدم يدل على أن التصوير يكون فى النطفة أيضاً فى اليوم السابع، وقد قال تعالى: ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه**﴾ وفسرت طائفة من السلف أمشاج النطفة بالعروق التى فيها وقال ابن مسعود: أمشاجها عروقها، وقد ذكر علماء الطب ما يوافق ذلك وقالوا: إن المنى إذا وقع فى الرحم حصل له زبدية ورغوة ستة أيام أو سبعة أيام، وفى هذه الأيام تصور النطفة من غير استمداد من الرحم وابتداء الخطوط والنقط بعد هذا بثلاثة أيام.. ثم بعد ستة أيام وهو الخامس عشر من وقت العلوق ينفذ الدم إلى الجميع فيصير علقة، ثم تتميز الأعضاء تميزاً ظاهراً ويتنحى بعضها عن ممارسة بعض وتمتد لرطوبة النخاع، ثم بعد تسعة أيام ينفصل الرأس عن المنكبين «كلام هولاء الأطباء الذين يستشهد بهم ابن رجب الحنبلى هم الأطباء المعاصرون له وهو قد توفى سنة ٧٩٢هـ وهو كلام قريب من كلام الأطباء المعاصرين».. قالوا: وأقل مدة يتصور فيها الذكر ثلاثون يوماً، والزمان المعتدل فى تصوير الجنين خمسة وثلاثون يوماً، وقد يتصور فى خمسة وأربعين يوماً، فهذا يوافق ما دل عليه حديث حذيفة فى التخليق فى الأربعين الثانية ومصيره لحماً فيها أيضاً.. وليس فى حديث ابن مسعود ذكر وقت تصوير الجنين. وقد روى عن ابن مسعود نفسه ما يدل على أن تصويره قد يقع قبل الأربعين الثالثة أيضاً.

..... وقد روى من وجه آخر عن ابن مسعود رضى الله عنه أن لا تصوير قبل ثمانين

يوماً . . وقد أخذ طائفة من الفقهاء بظاهر هذه الرواية وتأولوا حديث ابن مسعود المرفوع عليها وقالوا : أقل ما تبين فيه خلق الولد واحد وثمانون يوماً . .

فأما نفخ الروح فقد روى صريحاً عن الصحابة أنه إنما ينفخ فيه الروح بعد أربعة أشهر ، كما دل على ذلك ظاهر حديث ابن مسعود . . وبنى الإمام أحمد مذهبه المشهور عنه على ظاهر حديث ابن مسعود وأن الطفل ينفخ فيه الروح بعد أربعة أشهر ، وأنه إذا سقط بعد تمام أربعة أشهر صلى عليه حيث كان قد نفخ فيه الروح ثم مات .

وقد جمع بعضهم بين هذه الأحاديث والآثار وبين حديث ابن مسعود ، فأثبت الكتابة مرتين إحداهما في السماء والآخر في بطن الأم ، والأظهر والله أعلم أنها مرة واحدة ، ولعل ذلك يختلف باختلاف الأجنة ، فبعضهم يكتب له ذلك بعد الأربعين الأولى وبعضهم بعد الأربعين الثالثة .

وقد يقال : إن لفظة «ثم» في حديث ابن مسعود إنما يراد بها ترتيب الأخبار لاترتيب المخبر عنه في نفسه والله أعلم . ومن المتأخرين من رجح أن الكتابة تكون في أول الأربعين الثانية . وقال : إنما أخر ذكرها في حديث ابن مسعود إلى ما بعد ذكر المضغة ، وأن ذكره بلفظ «ثم» لئلا ينقطع ذكر الأطوار الثلاثة التي يتقلب فيها الجنين وهو كونه نطفة وعلقة ومضغة ، فإن ذكر هذه الثلاثة على نسق واحد أعجب وأحسن ، ولذلك أخر المعطوف عليها وإن كان المعطوف متقدماً على بعضها في الترتيب ، واستدل لذلك بقوله تعالى : ﴿ **وبدأ خلق الإنسان من طين** ﴾ والمراد بالإنسان آدم عليه السلام ، ومعلوم أن تسويته ونفخ الروح فيه كان قبل جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، لكن لما كان المقصود من ذكر قدرة الله عز وجل في مبدأ خلق آدم خلق نسله ـ عطف أحدهما على الآخر وأخر ذكر تسوية آدم ونفخ الروح وإن كان ذلك متوسطاً بين خلق آدم من طين وبين خلق نسله والله أعلم . انتهى كلام ابن رجب الحنبلي .

ومما قاله ابن رجب الحنبلي يتضح لنا اختلاف الروايات عن ابن مسعود وغيره من الصحابة في مسألة نفخ الروح في الجنين ، وكذلك نزول الملك الموكل بالأرحام بأمر الله والكتابة التي يكتبها فيمايخص رزق وأجل وجنس ومصير الجنين وتصويره ، فبعضها ذكر نزول الملك للتصوير والكتابة ولم يذكر أنه ينزل لينفخ الروح في الجنين ، أما نفخ الروح في الجنين من قبل الملك فلم يرد إلا في روايات عبدالله بن مسعود واختلفت هذه الروايات أيضاً في تحديد وقت نزول الملك للكتابة ولكنها لم تختلف في قيامه بنفخ الروح بعد ١٢٠ يوماً .

ولو اعتبرنا روايات الصحابة بخلاف ابن مسعود بنزول الملك للكتابة ، فيها إشارة لنزوله لنفخ الروح أيضاً ، فقد اختلفت هذه الروايات في وقت نزوله فبعضها ذكر أنه ينزل بمجرد

تكوين النطفة وبعضها ذكر نزوله فى مرحلة العقلة أو المضغة أو ما بعد المضغة، وبالتالى يمكن أن نقول أن وقت نفخ الروح فى الجنين اختلف فى روايات بقية الصحابة «لاختلاف وقت نزول الملك فى رواياتهم وقيامه بالكتابة والتصوير».

وهنا يجب أن نتساءل : أى هذه الروايات هى الرواية الصحيحة التى قالها النبى ؛ لأنه لا يعقل أن يكون النبى ﷺ قد قال بكل هذه الروايات المتضاربة حول نفخ الروح فى الجنين وموعد نزول الملك ؟ وهل قال النبى ﷺ أن من ضمن وظائف هذا الملك نفخ الروح فى الجنين أم أنه لم يتعرض لهذه الجزئية لأن الروح فى الجنين من أول لحظة ومسألة نفخ الروح فيه كانت زيادة بالرواية من بعض الرواة ؟

وهنا نحب أن ننوه إلى أنه لم يرد بالقرآن أى نص صريح يفيد بأن الجنين يتم نفخ روح فيه، وفسر البعض قوله تعالى: ﴿ **ثم أنشأناه خلقاً آخر** ﴾ فى الآية: ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾، «المؤمنون:١٢-١٤» بإن فيه إشارة إلى نفخ الروح فى الجنين بعد مرحلة المضغة وتكوين العظام واللحم.

وهذا الجزء من الآية له تفسير آخر سنوضحه بعد قليل، وليس معناه نفخ الروح فى الجنين، فالجنين كما أثبت العلم وأكد معظم الأطباء فيه حياة وبالتالى روح من أول لحظة تكوين نطفة الأمشاج، ونفخ الروح فى الجنين بعد ١٢٠ يوماً لو سلمنا جدلاً بصحة هذه الرواية لايقصد به نفخ روح الحياة، بل يقصد به إطلاق النفس والعقل للعمل فى الجسد أو تشغيل الجهاز الخاص بهما أو تكوينه بعد تكوين سائر أجهزة «أعضاء» الجسد، فهذا العضو غير المادى أو غير الجسدى «المعنوى» - وهوجزء من الروح التى يتم تكوين جميع أعضاء وأجهزة الجسد من خلالها كما سنوضح فى حينه - هو آخر جزء أو عضو يتم تكوينه وهو أول جزء يتم إيقافه وقبضه عند الوفاة، ومن بداية تكوين وتشغيل هذا الجزء يبدأ جسد الجنين كاملاً فى الحركة والتنفس ويبدأ الجنين من خلال عقله فى إدراك بعض مايدور حوله ولكن عقله يكون فى مرحلة النمو ويستمر فى هذه المرحلة وفى النمو إلى أن يولد الجنين وحتى بلوغ سن النضج والتكليف.

ويؤكد أن الروح المذكور نفخها فى الجنين بعد ١٢٠ يوماً هى النفس إطلاق الصحابة على الجزء الذى يفارق الجسد عند الوفاة وأثناء النوم مرة لفظ النفس ومرة لفظ الروح فى رواياتهم التى كانوايروونها عن رسول الله ﷺ، فما الذى يمنع أن تكون الروح المذكورة فى هذه الأحاديث هى أيضاً النفس المسماة فى بعض الأحاديث باسم الروح، والتى ذكر القرآن أنها هى

التي تفارق الجسد أثناء النوم وعند الوفاة وهي جزء من الروح العامة التي هي روح الحياة. ولكن نظراً إلى أن هذه النفس هي التي تتحكم في الإنسان وسلوكه وأعماله وهي تمثل ذاته وكيانه وهي حاملة الأمانة والمميزة له عن سائر المخلوقات، لذا يجوز إطلاق لفظ الروح عليها أو اعتبارها أهم أثر من آثار الروح في الكائن الحي، لأنها تحمل أهم صفاته وهي صفاته النفسية والعقلية، أما الصفات الجسدية فكل المخلوقات تشترك فيها وهي تعمل بأسلوب نمطي ووفق برنامج محدد رسمه لها الخالق. أما النفس فهي الشيء المميز لكائن عن كائن آخر.

وذهب السهيلي إلى هذا الرأي فأكد أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس (١).

وذهب إلى نفس الرأي أيضاً الأستاذ مصطفى محمد الطير في كتابه «هادي الأرواح» الصادر عن مجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٧١ وكذلك الأستاذ محمد فتحي حافظ قورة في كتابه «وأشرقت الأرض بنور ربها» نشر مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٧٧ فقد نقل بكتابه نفس رأي الأستاذ مصطفى محمد الطير بالحرف الواحد رغم عدم تنويهه إلى ذلك وفيما يلي نص ما قاله الأستاذ مصطفى الطير تحت عنوان «الروح وتكوين الجنين»:

«والحق أن الروح يخلق مع خلق الجنين من أول تلاقي الحيوان المنوي للذكر مع بويضة الأنثى في الأرحام، ولا دلالة في الحديث على ما ذهبوا إليه، فإن الجنين يشتمل منذ هذه اللحظة على روح الحياة، وإلا لما تطور ونما وأصبح بشراً سوياً، ومعنى أن الملك ينفخ فيه الروح بعد تلك الأطوار أنه يطلقه ليؤدي وظيفته على الوجه الأتم بعد أن أعاقه عن ذلك عدم تمام تكوين الجنين، ولهذا يتحرك في بطن أمه بعد أن كان لايتحرك.. وقد ثبت بالمجهر أن النطفة مليئة بالحيوانات المنوية، إذ تبلغ في الدفعة الواحدة ٢٠٠ مليون حيوان كما نقله «فريزر» عن «زينفل» وأن طول الحيوان المنوي ٥٢ / ١٠٠٠ من الملليمتر، وأنه كائن حي سريع الحركة، إذ تبلغ سرعته نصف ملليمتر في الثانية، وهي شيء كثير بالنسبة إلى حجمه، فإذا التقى ببويضة المرأة في قناة فالوب الواصلة إلى الرحم من المبيض لقحها بشرط أن تكون فيها حياة وقابلية، فإذا تم التلقيح اجتمعت الحياتان في حياة واحدة بها يتطور الجنين كما تقدم»(٢).

وجميع الأطباء والعلماء يقرون بوجود الحياة «والتي لا تنشأ إلا بالروح» في الحيوان المنوي والبويضة واكتمال هذه الحياة بتلقيح الحيوان المنوي للبويضة وتكوين نطفة الأمشاج «الزيجوت» أو الخلية الجنينية الأولى، لكن بعض الأطباء المسلمين يصطدمون بأحاديث نفخ الروح في الجنين، فيظنون نفس ظن بعض علماء السلف بأن المقصود بها روح الحياة وليس النفس «والعقل والإرادة» فيضطرون إلى القول بأن الروح غير الحياة أو أن في الإنسان روح

---

(١) نقلاً عن«تفسير القرآن العظيم» ابن كثير - تفسير سورة الإسراء الآية:٨٥.

(٢) هادي الأرواح - مصطفى محمد الطير - ص ١٨، ١٩.

وحياة حيوانية وأن حياة الخلايا من هذا النوع أو أن للإنسان روحان، روح حيوانية وروح إنسانية والروح الإنسانية هي التي يتم نفخها بعد ١٢٠ يوماً وهي التي تهب الحياة للإنسان وأقوالهم في هذا الشأن متناقضة ومتضاربة، فكيف نقر بوجود حياة في الجنين قبل نفخ الروح فيه ولانقر بوجود روح هي السبب في هذه الحياة. إذن فما وظيفة الروح التي تنفخ فيه بعد ١٢٠ يوماً لو كانت هي روح الحياة، إن وصف بعضهم لها بأنها هي التي تمنحه الإرادة والعقل والحركة وتميزه عن غيره من المخلوقات يفيد بأنهم يتحدثون عن النفس وليس عن الروح لأن الروح كما أكد القرآن هي التي يتم من خلالها تخليق الجسد وتكوين اللحم والدم والأعضاء «الخلايا بصفة عامة» وهي التي تهب الحياة للمخلوق، فإذا كان الجنين من أول لحظة يتكون فيها تبدأ خلاياه في النشوء لتكون لحمه ودمه وعظامه وأعضاءه على مراحل مختلفة فلابد أن نسلم بأنه من أول لحظة فيه روح، ولا فرق بين الروح والحياة فلا حياة بدون روح لأن عدم وجود روح يؤدى إلى الموت مباشرة، ونطفة الأمشاج وسائر الخلايا التي تنشأ منها لو لم يكن فيها روح لماتت ولما استطاعت أن تصل إلى مدة الأربعة أشهر وهي حية.

والأمر الثاني الذى كان يوقع هؤلاء الأطباء والعلماء المسلمين في هذا الخلط واللبس والتناقض، هو اعتقادهم بأن الروح لاتوجد إلا في الإنسان، وأن الحيوانات والنباتات فيها حياة وليس فيها روح لذا وصفوا الحياة الموجودة في الخلايا بأنها حياة حيوانية، وقد سبق وأن شرحنا أن كل علماء السلف كانوا يؤكدون أن الروح هي سر الحياة في جميع الكائنات وأن كل الكائنات فيها روح بما فيها الجمادات، ولكن الروح في الجمادات تختلف عن الروح الموجودة في الإنسان والحيوان والنبات، وأن الجميع لهم نفس أيضاً، والروح في الإنسان والحيوان شبه واحدة، أما الأنفس فهي المختلفة، فهناك أوجه تشابه كبيرة جداً في التكوين الجسدى والتشريحى بين الإنسان وكثير من الحيوانات، والاختلافات بينهما في الأنفس.

والأمر الثالث الذى كان يدفع هؤلاء الأطباء إلى القول بالفصل بين الحياة والروح هو التباس أمر الروح عليهم كما التبس على كثير من علماء السلف، فلم يكن أمامهم سوى الفصل بين معنى الروح والحياة عند الربط بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بخلق الإنسان، وبين ما تم الكشف عنه من حقائق من خلال علم الأجنة، وقد كانوا معذورين في ذلك ولا نستطيع أن ننكر فضلهم في الربط بين هذه الآيات والأحاديث وبين العلم.

النقطة الأخرى التي أحب أن أنوه إليها هي استدلال بعض الأطباء على نفخ الروح في الجنين عند الشهر الرابع «بعد ١٢٠ يوماً» بأن الجنين لايتحرك إلا بعد هذه الفترة، فهذه الحركات دليل على نفخ الروح فيه، وهذا كلام غير علمي لأن الجنين يتحرك ويتنفس ولكن الأم لا تشعر بحركته قبل ذلك، كماأن انقسام الخلايا ابتداء من النطفة هو حركة من حركات

الجنين، ونمو هذه الخلايا حركة وحياة وروح، وتنفس الجنين وقيامه بالتغذية فى مراحل العلقة والمضغة يؤكد وجود روح وحياة فيه، وإطلاق القرآن على نطفة الأمشاج لفظ نفس يؤكد أنها ذات قائمة متمتعة بالحياة والروح والنفس معاً.

فلا شك أن نفخ الروح فى الجنين بعد ١٢٠ يوماً إذا سلمنا بصحة الحديث وأن هذا الكلام قاله النبى ﷺ فعلاً بنفس نص الحديث يقصد منه إطلاق النفس الموجودة بنطفة الأمشاج من أول لحظة لكى تعمل وتمارس نشاطها فى الجنين بعد أن اكتملت تسويته وكذلك إطلاق العقل والإرادة للعمل فى جسد هذا الجنين. ولعل هذا يفسر سر تحرك الجنين إرادياً وسر استجابته للمؤثرات المختلفة والانفعال وزيادة حركات تنفسه وسرعة نبض قلبه بعد فترة الـ ١٢٠ يوماً، فقد أصبح إنساناً مستوياً تعمل كل أجهزته بما فيها النفسية والعقلية، والفترة مما بعد الـ ١٢٠ يوماً وحتى الشهر التاسع هى فترة لاكتمال النمو واكتمال وظائف الأعضاء المختلفة.

وقد أكد الدكتور طبيب / محمد أحمد ضرغام بمجلة «الإعجاز العلمى فى القرآن» الصادرة عن جامعة جنوب الوادى بقنا كنتيجة لأعمال الندوة الثالثة، نفس هذا الرأى فى مقاله المنشور بالمجلة بقوله: «..... يستمر نمو العضلات حتى الشهر الرابع، ولهذا تحس الأم بركض الجنين أى تحركه فى بطنها فى الشهر الرابع لأنه بدأ يتحرك بنفسه باستعمال هذه العضلات أو اللحم الذى كسا الله به العظام فى هذه المرحلة، وبسبب ذلك يظن الكثيرون أن هذا الركض علامة على نفخ الروح فى الجنين فى الشهر الرابع، وهذا خطأ علمى لأن الروح تكون قد نفخت قبل ذلك».

بعد هذا أكد أن نفخ الروح فى الجنين يكون بعد مرحلة المضغة أى فى الشهر الثانى تقريباً، استناداً إلى الحديث الذى رواه مسلم والخاص بنزول الملك بعد ٤٢ يوماً لتصوير وتشكيل الجنين، بخلق سمعه وبصره وجلده وعظامه ولحمه وتحديد جنسه ذكراً أم أنثى ثم قال بعد ذلك: «فالحديث يفيد اكتمال الشكل الإنسانى للجنين بكل مستلزماته فى مرحلة المضغة حتى نوعه ذكراً أو أنثى، وهذا يفيد ظهور الأعضاء التناسلية الخارجية التى توضح للناظر إليه بالعين المجردة ما إذا كان ذكراً أم أنثى. ولكنه لاينفى أو يعارض أن تحديد الجنس للجنين قد تم فى مرحلة نطفة الأمشاج وهذا فى رأيى يعنى التسوية التى ذكرها القرآن وحدد بعدها نفخ الروح مما يفيد أن الروح نفخت فى الجنين من عمر شهرين تقريباً.

ولهذا استنكر الدكتور محمد ضرغام القرار الذى يسير عليه أطباء النساء والولادة فى استحلال الإجهاض قبل نهاية الشهر الرابع اعتماداً على فتوى كبار الأزهر والمفتى وغيرهم مثل جهاز تنظيم الأسرة، فى إباحة الإجهاض قبل الشهر الرابع، أى قبل نفخ الروح كما يعتقدون خطأ، فالإجهاض العمد فى هذه المرحلة يعتبر قتلاً للنفس التى حرم الله وهو إثم

عظيم وذنب كبير سيحاسبون عليه جميعاً.. .....».

وأنا أؤيد ما قاله الدكتور ضرغام في عدم إجهاض الجنين ليس قبل الشهر الرابع فقط، بل ولا قبل الشهر الثاني أيضاً، لأن الروح تكون في الجنين من أول لحظة، وهو نفس وذات من أول لحظة تكونت فيها نطفة الأمشاج ولا يجوز إجهاضه أو إسقاطه إلا للضرورة، ونفخ الروح فيه كما سبق وأن أكدت ليس مقصوداً به بعث الحياة فيه، وإنما مقصود منه إطلاق النفس والعقل والإرادة للعمل أياً كان الوقت الذي يتم فيه ذلك «بعد ثمانين يوماً أو ١٢٠ يوماً أو أقل أو أكثر من ذلك».

أما معنى قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ في الآية: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة. فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً. ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾، «المؤمنون ١٢-١٦». والتي فهم البعض منها أن فيها إشارة إلى نفخ الروح في الجنين.

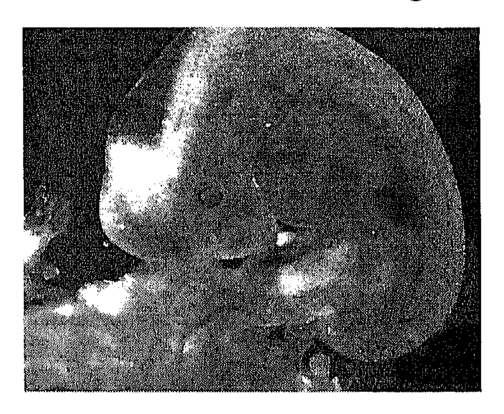
فإني أرى لها تفسير آخر أوقع وأدق ويتفق مع ماثبت من حقائق علمية وما أكدناه من أن الروح تكون موجودة في الجنين من أول لحظة تكون نطفة الأمشاج.

فالمقصود من قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ بعد مرحلة المضغة وتكوين اللبنات الأولى للحم والعظام، هو تصوير الجنين وتشكيله فمعظم أجنة الحيوانات والإنسان حتى مرحلة المضغة تكون متشابهة تماماً في شكلها، وبطريقة يصعب معها التمييز بما إذا كانت هذه المضغة ستكون إنساناً أم حيواناً وإذا كانت حيواناً فهل ستكون قرداً أم كلباً أم أسداً أم دجاجة أم خنزيراً... إلخ. فالكل لو نظرنا إليهم في مرحلة المضغة من خلال الأجهزة البصرية الإلكترونية وأجهزة الأشعة المقطعية وغيرها، دون إجراء تحليلات كيميائية أو علم مسبق بجنس هذه المضغة، سيصعب التمييز فيما بينها لأن أشكال معظم المضغ تكون متشابهة في شكلها العام، وفي الصورة التي يتم التقاطها لها بأجهزة الأشعة المقطعية.

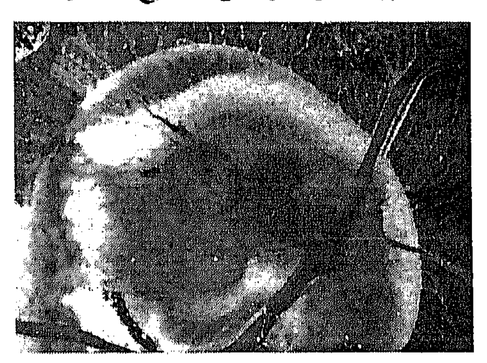
وفي الآية إشارة أيضاً إلى موعد إطلاق النفس والعقل في الجنين للعمل، لأن النفس والعقل هما أهم ما يميز أي كائن عن كائن آخر، وأهم مايميز الإنسان عن غيره من بني جنسه، لأن النفس هي المكلفة ومنها ما سيكون نفساً مطمئنة أو أمارة بالسوء أو لوامة أو بين ذلك، وبهذا يصبح تصوير الجنين بصورة مختلفة عن غيره من بني الإنسان وتكوين نفسه وعقله بعد مرحلة المضغة وتكوين العظام واللحم - بحق - خلقاً آخر مختلفاً عن مراحل خلقه السابقة لهذه المرحلة، فعند هذه المرحلة ستكون جميع مراحل خلقه الجسدية والنفسية والعقلية قد اكتملت وبصفاته المميزة له عن غيره من الكائنات الحية الأخرى وعن غيره من بني جنسه.

وفيما يلي صورة لجنين بشري في أسبوعه الخامس وجنين دجاجة في أسبوعه الرابع،

ويلاحظ مدى التشابه فى الشكل «فقط» بين الصورتين عند هذه المرحلة، وسنجد أن الخلاف فى الصورتين متمثل فى أن الجنين البشرى فى بطن أمه متصل بالحبل السُرى، بينما جنين الدجاجة متصل بالمحتوى الغذائى للبيضة.



صورة لجنين بشرى فى الأسبوع الخامس



صورة لجنين دجاجة فى أسبوعه الرابع .

والنقطة الأخيرة التى أحب التنويه عليها هى ما ورد ببعض الأحاديث التى شرحت كيفية أخذ الله للميثاق على بنى آدم بعد خلق آدم وإقرارهم له بالربوبية ففى الكثير من هذه الأحاديث مايفيد أن الله أخرجنامن صلب آدم فى صورة أرواح وأنه صور هذه الأرواح بصورنا وهيئتنا التى نحن عليها الآن، وأننا كنا فى يده فى حجم الذرات، وبعد أخذه للميثاق علينا رد أرواحنا إلى صلب آدم مرة أخرى كما ورد ببعض هذه الأحاديث.

وما جاء بهذه الأحاديث يؤكد ما ذهبنا إليه من أن الحيوانات المنوية والبويضات «أوالحيوانات المنوية الذكرية والأنثوية وحدها» تكون حاملة لأرواحنا، لأنها الشىء الذى يخرج من صلب آدم وسائر نسله ويتم تخليق نسله منها، وتؤكد هذه الأحاديث لو صحت أيضاً أن

الأجنة داخل الأرحام لاينفخ فيها روح، لأن الحيوانات المنوية والبويضات التى تكونها تكون حاملة للروح من أول لحظة اندماجها، وهذا بدوره يؤكد أن نفخ الروح فى الجنين لايقصد به نفخ روح الحياة ولكن تشغيل أو تكوين النفس والعقل والإرادة للجنين بعد ١٢٠ يوماً.

وهذه الأحاديث منها ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف، وقد ذكرها الصحابة عند تفسيرهم وشرحهم لمعنى قوله تعالى: ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا...** ﴾، «الأعراف:١٧٢».

وقوله تعالى: ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا** ﴾، «الأعراف:١١» وقد استدل كثير من العلماء من الآية الأولى على أن أخذ الميثاق علينا وإقرارنا بالربوبية لله قبل خلق أجسادنا وإخراجنا لهذه الحياة، يؤكد أن الميثاق أخذ علينا ونحن نعقل ونفهم، وأننا كنا مصورين بصورنا هذه سواء كان التصوير للروح فقط أو للروح والجسد معاً، ورجحت الغالبية أن الميثاق أخذ على أرواحنا فقط وأن أجسادنا لم تكن قد خلقت بعد،وأن هذه الأرواح صورها الله فى صورنا التى نحن عليها الآن، وأنا أرجح هذا الرأى فلا يعقل أن نقول أننا كنا عند أخذ الميثاق أرواحًا وأجساداً فالأقرب للعقل والمنطق القول بأننا كنا أرواحًا مجسدة فى صورنا، وغالباً كنا فى سن شباب عند أخذ الميثاق علينا لأنه من غير المعقول القول بأن الله أخذ علينا الميثاق ونحن فى سن طفولة أو أجنة، لأننا لانعقل أو نفهم فى مثل هذه السن، فالغالب أن الخالق صور أرواحنا فى صورنا ونحن فى سن الشباب والتكليف ثم أخذ الميثاق علينا ثم رد هذه الأرواح مرة أخرى إلى صلب آدم بعد إخراجها منه فى صورة ذرات، والله أعلم.

وجميع الروايات سواء الصحيح منها أو الضعيف أجمعت على إخراج الله لنا من صلب آدم، ولم يذكر بأى منها أن هذه الأرواح التى أخرجها من صلبه أودعت فى مكان ما ليتم إرسالها إلى الجنين فى رحم الأم بعد ١٢٠ يوماً، مما يؤكد صحة ما جاء بالروايات القائلة بأن الله رد هذه الأرواح مرة أخرى إلى صلب آدم، ويؤكد أيضاً انتقال هذه الأرواح من صلب آدم إلى أصلاب ذريته عبر شيء ما ليتم من خلالها تخليق نسل آدم، وهذا الشيء فى الغالب هو الحيوانات المنوية والبويضات، «أو الحيوانات المنوية الذكرية والأنثوية الموجودة فى الرجل فقط دون البويضات الموجودة بالمرأة».

ونذكر من هذه الأحاديث الآتى:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة «روح» هو خالقها إلى يوم القيامة، أمثال الذر [1] ثم جعل بين

(١) الذر: صغار النمل.

عينى كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: من هؤلاء يارب؟ قال: هؤلاء ذريتك، ...» «أخرجه الحاكم ٢ / ٣٢٥ وقال صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبى وأخرجه الترمذى ٥ / ٢٦٧ وقال هذا حديث حسن صحيح».

وذكر ابن قيم الجوزية بكتابه «الروح» عن إسحاق بن راهويه أنه قال: حدثنا الفضل بن موسى، عن عبدالملك، عن عطاء فى معنى قوله تعالى: ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم...** ﴾ قال: أخرجوا من صلب ادم حين أخذ منهم الميثاق ثم ردوا فى صلبه.

وروى جعفر بن الزبير «وهو ضعيف» عن القاسم، عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله فقال: يا أصحاب اليمين! قالوا: لبيك وسعديك. قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. قال: يا أصحاب الشمال! قالوا: لبيك وسعديك... ثم ردهم فى صلب آدم». «حديث ضعيف رواه ابن مردويه» [١].

وعن ابن عباس أنه قال: إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً، وتكفل لهم بالأرزاق، ثم أعادهم فى صلبه[٢].

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفه، وأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قُبُلاً «مواجهة» قال: «ألست بربكم قالوا بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين..». «أخرجه مرفوعاً أحمد ١ / ٢٧٢، والحاكم فى مستدركه ٢ / ٥٤٤ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبى، وأخرجه ابن جرير وابن مردويه، والبيهقى فى الأسماء والصفات».

سادساً: جينات الكروموسومات «حاملة الصفات الوراثية» هى حاملة الأوامر الإلهية:

الروح كما سبق أن شرحنا أمر إلهى يصدره الخالق سبحانه ،تعالى لشيء من الجمادات «صلصال مثلاً» مشكل فى صورة المخلوق المراد خلقه «إنسان أو حيوان..إلخ» فيجعل هذا الأمر الحياة تدب فى هذا الصلصال فيتحول إلى المخلوق المراد خلقه بنفس الصفات الجسدية والنفسية والعقلية الفطرية التى يقدر الله مسبقاً خلقه بها.

أى باختصار يمكننا القول بأن الروح عبارة عن أمر إلهى يتضمن تحديد الصفات الجسدية والنفسية والعقلية للمخلوق ويتسبب بالتالى فى منح الحياة لهذا المخلوق ولسائر نسله من خلال انتقال هذا الأمر عبر شيء ما إلى نسل هذا المخلوق.

---

(١) نقلاً عن «تفسير القرآن العظيم» ابن كثير، جـ٢، تفسير سورة الأعراف - الآية: ١٧٢.

(٢) المصدر السابق.

والروح ليست شيئاً مادياً داخل المخلوق، ولكن لها آثار مادية فى المخلوق فالمخلوق كاملاً بجسده ولحمه ودمه وصفاته النفسية والعقلية الفطرية هو أثر هذه الروح.

ولكى تنتقل هذه الروح المحددة لصفات المخلوق «الجسدية والنفسية والعقلية الفطرية» من المخلوق الأول إلى سائر نسله وتهبهم الحياة وتحدد صفاتهم والتى يسميها العلماء بالصفات الوراثية، فلابد أن تنتقل من المخلوق الأول وزوجه «إذا كان هذا المخلوق قد قدر الله أنه من النوع المكون من زوجين مثل الإنسان ومعظم الحيوانات» عبر شىء ما بداخلهما مسجل عليه هذا الأمر الإلهى أو مجموعة الأوامر الإلهية الواهبة للحياة والمحددة لصفات هذا النوع من الناحية الجسدية والعقلية والنفسية الفطرية.

وهذا يفسر لنا سر عدم إطلاق الخالق سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم على الشىء الذى يفارق الجسد أثناء النوم وعند الوفاة لفظ الروح وإطلاق لفظ النفس عليه، لأنه ليس روحًا ولكنه جزء من أثر الروح لأن الروح ليست شيئًا ماديًا وإنما هى كلمة أو أمر يصدر من الخالق لجماد ويترتب عليه آثار مادية ومعنوية فى هذا الجماد الذى تحول إلى المخلوق المراد خلقه، وأهم الآثار المادية هى الجسد، وأهم الآثار المعنوية هى النفس وعقلها. والذات «المخلوق بجسده ونفسه وعقله» أطلق عليها اسم النفس فى القرآن الكريم، فالنفس أو الذات هى المخلوق بروحه وجسده ونفسه وعقله.

وقد أشار القرآن الكريم إلى نفس تلك الحقائق، فقرر أن الخالق سبحانه وتعالى يخلق المخلوق الأول بالروح، فيصبح هذا المخلوق بعد تمام خلقه ذاتًا أو نفسًا، ومن هذا المخلوق أو هذه النفس يخلق زوجها، وبالقطع من نفس الروح الموجودة فيه، فقد خلق الله سبحانه وتعالى حواء من آدم ولم يذكر أنه نفخ فيها روح، وذلك لأنها وهبت الروح المانحة للحياة لها من نفس الروح التى خلق الله منها آدم، ثم من هذين الزوجين، يخلق سائر نسلهما، ومن نفس الروح الموجودة فى هذين الزوجين أو بمعنى أدق من نفس الروح التى وهبت الحياة للمخلوق الأول الذى هو آدم فى الإنسان، وفيما يلى بعض الآيات التى قررت هذه الحقائق:

قال تعالى: ﴿ **الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون** ﴾، «السجدة:٧-٩».

﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾، «النساء:١».

ومعنى الآيات أن الله بدأ خلق الإنسان من طين وذلك بالنسبة لآدم، ثم سوى هذا الطين ونفخ فيه من روحه فخلق منه آدم، وبهذا أصبح آدم ذاتًا إنسانية كاملة، أو نفسًا إنسانية قائمة

بذاتها، ومن هذه النفس الواحدة خلق الله زوجها التى هى حواء. أى خلقها سبحانه وتعالى من آدم بجسده ومن نفس الروح التى وهبته الحياة، ولهذا لم يذكر الله نفخ روح فى حواء، ولعل هذا يوضح لنا بعض الروايات التى كانت تفسر سر تسميتها بحواء لأنها خلقت من شىء حى وهو آدم «أو قطعة من جسد آدم فيهاحياة أو روح من الروح الواهبة الحياة لآدم»، أما آدم فلم يخلق من شىء حى ولهذا احتاج لروح «أمر إلهى» بعد تسويته لكى يتحول إلى كائن حى.

ومن خلال الماء المهين الذى أودعه الله فى آدم وحواء «الحيوانات المنوية والبويضات» خلق الله سائر نسلهما. وبدون نفخ روح فيهم، لأن هذه الحيوانات المنوية والبويضات كان فيها حياة أو روح أو بمعنى أدق أثر من الروح التى وهبت الحياة لآدم ثم لحواء.

أما الروح التى يتم نفخها فى نسل آدم «أى الأجنة» داخل الأرحام فهى كما أوضحنا ليست الروح الواهبة للحياة، ولكنها النفس ونفخها فى مرحلة معينة من مراحل تخليق الجنين يقصد به الموعد أو الوقت الذى يبدأ فيه تكون النفس والعقل وموعد إطلاقهما للعمل والتحكم فى الجنين ليصبح جنيناً أو إنساناً ذا إرادة وذاتًا مستقلة مميزة عن غيرها من المخلوقات وغيرها من سائر جنسه.

والسؤال الآن أين تقع الروح؟ أو بمعنى أدق: أين أثر الروح فى الإنسان والحيوان والنبات؟

الروح أمر إلهى «أى كلمة من الله أو مجموعة كلمات وعبارات فى صيغة أمر يصدر لشىء جامد «صلصال - مسوى فى صورة مخلوق» فيحيله إلى هذا المخلوق الحى وفق التقدير «أى الصفات الجسدية والنفسية والعقلية» التى يقدرها الله مسبقاً لهذا المخلوق، ومعنى ذلك أن هذا الأمر الإلهى لابد أن يكون متضمناً أو مشتملاً على أو مشروحاً به التقدير الذى قدره الله للمخلوق المراد خلقه «أى مسجلاً عليه صفات هذا المخلوق الجسدية والعقلية والنفسية الفطرية».

ومن هذا يمكن أن نقول أن هذا الأمر عبارة عن مجموعة من التعليمات كانت تشرح للجماد «الطين أو الصلصال من حمإٍ مسنون» المشكل فى صورة هذا المخلوق كيفية تحول كل قطعة أو ذرة فيه إلى قطعة أو خلية فى جسد هذا المخلوق، بالإضافة إلى شرح الصفات النفسية والعقلية الفطرية التى يجب أن تتصف بها ذات أو نفس هذا المخلوق بعد إتمام خلقه.

وهذه التعليمات تسجل داخل كل قطعة أو كل خلية فى جسد المخلوق بعد خلقه فتصبح وكأنها كتاب أو سجل محفوظ محتوٍ على التعليمات أو الأوامر أو الصفات الخلقية الخاصة بتكوين كل قطعة أو خلية فى جسد هذا المخلوق، وتحديد صفاتها ووظائفها، وصفات ووظائف هذا المخلوق كاملاً، وهذه التعليمات أو الصفات هى ما يطلق عليه علماء الوراثة مصطلح الصفات الوراثية، والتى اكتشفوا أنها مسجلة على چينات الكروموسومات، ثم

تنتقل بعد ذلك هذه التعليمات أو هذا الكتاب إلى سائر نسل هذا المخلوق عبر الحيوانات المنوية والبويضات كما في الإنسان لتكون جسده وتهبه الحياة.

ومن هذا يمكن أن نخرج بنتيجة مفادها أن الچينات هى حاملة الأوامر الإلهية الخاصة بخلق المخلوق وتحديد صفاته الجسدية والنفسية والعقلية الفطرية، وهذه التسمية أدق وأوقع من تسميتها بحاملة الصفات الوراثية، ولو راجعنا صفات وأعمال الكروموسومات «أو الچينات الخاصة بها» داخل الجسد فسنجد أنها متفقة فى الكثير منها مع صفات الروح أو بمعنى أدق آثار الروح فى الجسد.

وما اكتشفه العلماء حتى الآن من أسرار الكروموسومات والچينات الخاصة بها يعد قطرة داخل بحر، وما زال الجميع مبهورين ومندهشين من الأعمال التى تقوم بها هذه الچينات والدقة المتناهية فى الأسلوب الذى تؤدى به وظائفها، والطريقة التى برمجها بها الخالق سبحانه وتعالى.

ولاشك أن الكروموسومات وچيناتها مازالت تحوى الكثير والكثير من أسرار الخالق فى خلقه، وقد يكشفها جميعاً لنا سبحانه وتعالى مستقبلاً، أو قد يكشف عن بعضها ولايكشف عن الآخر، وما كشف من بعض أسرارها حتى الآن يؤكد عظمة الخالق، وقدرته ودقته وإتقانه ويؤكد أنه على كل شيء قدير ولم يخلق شيئاً عبثاً وإذا خلق أحسن الخلقة وأبدع فيها.

والنقطة الأخيرة التى أحب أن أنوه عليها، هى أننى لم أقصد من كلامى السابق الجزم بأن الچينات هى الروح، لكن ما قصدت قوله: هو أن الچينات تحمل الأوامر الإلهية، أو تحمل أهم أثر من آثار الروح فى الكائن الحى، فليس هناك مايمنع أن تكون الروح شيئًا آخر داخل النواة أو داخل الإنسان بصفة عامة، فقد يكون عقل النواة الذى يديرها ويشغلها هو الروح أو جزءاً منها، وقد يكون العقل اللا إرادى الذى يدير الجسد كله ويوجه خلاياه ويحدد لها وظائفها ويأمرها فتطيعه هو الروح، أو قد تكون الروح عقل نواة الخلية الجنينية الأولى «نطفة الأمشاج» فقط، أو قد تكون هى الطاقة المشغلة للنواة والخلية بصفة عامة، أو شيئًا آخر، فالله أعلم.

وما قلته فى هذه الجزئية هو مجرد اجتهاد، وقد أكون على صواب وقد أكون مخطئاً، أو قد أكون على صواب فى أشياء ومخطئاً فى أشياء أخرى.

المهم أن غايتى كانت فتح باب جديد للاجتهاد فى محاولة التعرف على الروح وآثارها داخل الجسد، وتعريف المسلمين والناس كافة بسر من أسرار الخالق فى خلقه، وربط آيات القرآن المتعلقة بخلق الإنسان بأحدث الاكتشافات العلمية فى هذا المجال.

وطالما أننا لم نكتشف بعد كل أسرار النواة لانستطيع الجزم بموضع الروح فيها، كما أن تخصص خلايا الجسم «أى توقف بعض الچينات بها عن العمل واستمرار الآخر فى العمل» يجعل من الصعب تحديد موضع الروح من الجسد «أى تحديد نوى الخلايا المكونة لها»، وما نستطيع الجزم به هو القول بأن الخلية الجنينية الأولى «نطفة الأمشاج» كان يكمن داخل نواتها الروح كاملة، أو أن نواتها بكل محتوياتها كانت تمثل حجر الأساس لروح الإنسان، وأن هذه الروح انتشرت فى كل خلايا الجسد بعد ذلك مع انقسام هذه الخلية إلى بلايين الخلايا التى شكلت جسم الإنسان، فأصبح بذلك كل قطعة من جسد الإنسان فيها روح أو فيها أثر من آثار الروح «حياة»، وهذا يتفق مع قول مفسرى القرآن الكريم الذين أكدوا أن الروح منتشرة فى كل أجزاء الجسد، أو فى كل خلاياه كما قال فضيلة الشيخ الشعراوى ـ رحمه الله.

سابعاً: الحمض النووى المركب للكروموسومات هو الماء الذى خلق الله منه كل شيء حى :

أكد الخالق سبحانه وتعالى أنه خلق جميع المخلوقات الحية من الماء وذلك فى قوله تعالى:

﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حى** ﴾، «الأنبياء: ٣٠».

﴿ **والله خلق كل دابة من ماء** ﴾، «النور: ٤٥».

﴿ **وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً** ﴾، «الفرقان: ٥٤».

﴿ **الذى أحسن كل شيء خلقه. وبدأ خلقه الإنسان. من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين** ﴾، «السجدة: ٧-٨».

فالماء عنصر أساسى فى خلق الكائنات الحية وخلق نسل كل نوع منها.

فالطين المخلوق منه الإنسان مثلاً عبارة عن تراب + ماء. أى كان الماء عنصراً مهمًا وأساسيًا فيه، إلا أن نسل آدم لم يخلق من الطين مباشرة، ولكن من الماء المهين، وهو السائل المنوى، أو بمعنى أدق الحيوانات المنوية التى تسبح فى هذا السائل المنوى، وكذلك من بويضات المرأة والحيوانات المنوية والبويضات ليست مركبة من ماء وإن كان الماء داخلاً فى تركيبها، ولكن نواتاهما تحتويان على مجموعة من الأحماض النووية أهمها حمض الـD.N.A.

والسؤال الآن: ألا يعتبر الحمض النووى D.N.A بل وسائر الأحماض النووية الموجودة بداخل النواة نوعًا من الماء؟.

والإجابة بالقطع نعم، فالحمض النووى وسائر الأحماض ماهى إلا أنواع من الماء، وكذلك أى مركب كيميائى فى صورة سائلة يمكن اعتباره مركبًا مائيًا، فليس شرطاً أن نطلق لفظ الماء على ماء المطر والأنهار.

ويؤكد ذلك التركيب الكيميائى للماء والأحماض، فجميع الأحماض يدخل فى تركيبها

العنصران الأساسيان المكونان للماء وهما الأيدروچين والأكسچين فجزىء الماء يتركب من ذرتين أيدروچين وذرة أكسچين «يد$_{٢}$أ»، وحمض الكبريتيك مثلاً يتركب من الأيدروچين والكبريت والأكسچين «يد$_{٢}$ كب أ$_{٤}$» وحمض النتريك يتركب من الأيدروچين والنتروچين والأكسچين «يدن أ$_{٣}$» وكذلك سائر الأحماض سنجد أن العنصرين المكونين للماء وهما الأيدروچين والأكسچين يدخلان فى تركيبهما بصفة أساسية.

والچينات كما رأينا تقوم بوظائفها من خلال الأحماض الأمينية التى تنتج بدورها البروتينات والتى تعد المادة الأساسية فى بناء أجسام الكائنات الحية.

ومن هذا نجد أن چينات الحمض النووى D.N.A الذى يعد سر الحياة والمسئول عن إنتاج الأحماض الأمينية وبالتالى البروتينات من خلال المواد والمركبات التى تصل للخلية من خلال الغذاء ثم تمتصها وتقوم بإنتاج الأحماض الأمينية من خلالها بناء على التعليمات الصادرة من النواة «من الحمض النووى D.N.A»، هذا الحمض ليس إلا نوعًا من الماء، والأحماض الأمينية التى يساعد فى إنتاجها هى نوع من الماء أيضاً، وباختصار يمكننا القول بأن حمض الـ D.N.A هو الماء الذى خلق الله منه كل شيء حي.

ولا ننسى أن الأحماض الأمينية فى البداية تتركب من الكربومائيات والزيوت والبروتينات، والماء يشكل حوالى ٦٠٪ من هذه المركبات، أى أن الماء يشكل نسبة كبيرة من تركيب الأحماض الأمينية أيضًا (١).

(١) خلق الإنسان - عبدالفتاح محمد طيرة، جـ١ ص ١٢٨.

الفصل الرابع

كيفية خلق الإنسان بين العلم والقرآن

طالبنا الخالق سبحانه وتعالى بالتفكير فى الكيفية التى بدأ بها الخلق، ويدخل فى هذا الخلق: خلق السماوات والأرض والكائنات الحية والإنسان وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق** ﴾، «العنكبوت، ٢٠».

وقوله سبحانه: ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق** ﴾، «الطارق، ٥».

وما يهمنا هنا هو خلق الإنسان، والتفكير فى بداية خلق الإنسان يقتضى التفكير فى خلق آدم على ضوء ما ورد فى هذا الشأن بالقرآن والأحاديث النبوية، وما تم الكشف عنه حتى الآن من خلال العلم من أسرار تتعلق بخلق الإنسان.

ومن هذا نجد أن الاجتهاد فى مثل هذه الأمور مباح ومشروع بل حث الخالق سبحانه وتعالى عليه لكشف أسراره فى خلق الإنسان وسائر الكائنات الأخرى.

القرآن يذكر أربع طرق لخلق الإنسان

ذكر القرآن الكريم أربع طرق لخلق الإنسان هى: طريقة خلق آدم - طريقة خلق حواء - طريقة خلق عيسى - طريقة خلق سائر البشر.

ويقتضى التفكير فى خلق الإنسان، التفكير فى الكيفية التى خلق الله بها آدم وحواء وعيسى وسائر البشر، مهتدين بذلك كما سبق وأن أكدنا بما ورد فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ثم على ما كشفه الله لنا حتى الآن من أسرار تتعلق بخلق الإنسان من خلال العلوم المختلفة وعلى الأخص منها علم الهندسة الوراثية والبيولوچيا والأجنة.. إلخ.

كما أن التفكير فى الكيفية التى خلق الله بها آدم وحواء وعيسى وسائر البشر على ضوء ما ورد فى القرآن والأحاديث النبوية والعلم، سيكشف لنا المزيد من أسرار الروح ويساعدنا كثيراً فى التعرف على حقيقتها وكُنهها لأن أى إنسان لا يخلق إلا من خلال هذه الروح.

فتعالوا لنتعرف أو نفكر فى الكيفية التى خلق الله بها هؤلاء البشر.

أولاً: خلق آدم من روح نفخت فى صلصال من حمإ مسنون أو صلصال كالفخار:

فى البداية لابد أن نقر بأن الكيفية التى خلق الله بها آدم مازالت مبهمة علينا، وقد تظل مبهمة إلى يوم القيامة، لكن هذا لايمنع أن يكشف لنا الخالق من خلال العلم الكثير عن بعض تفاصيل كيفية خلقه لآدم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾، «فصلت، ٥٣».

وليس هناك شك فى أن ما كشفه الخالق لنا حتى الآن من أسراره فى خلق الإنسان والكائنات الأخرى من خلال الهندسة الوراثية سيساعدنا كثيراً فى فهم الكيفية التى خلق بها آدم وحواء وسائر نسلهما، عند الربط بين الحقائق العلمية وما ورد فى القرآن والأحاديث النبوية عن خلق آدم وحواء وسائر البشر.

وهنا أحب أن أنوه إلى أن كل ما سأقوله فى هذا الباب ليس إلا اجتهاداً منى قد أصيب فيه وقد أخطئ، أو قد أصيب فى بعض الأمور أو أخطئ فى الأخرى، المهم أن هذا الاجتهاد لابد منه وهو ضرورى بل هو فرض على علماء المسلمين كما أمرنا الخالق بذلك فى قرآنه الكريم عندما طلب منا السير فى الأرض والنظر فى كيفية بدئه للخلق كما سبق وأن شرحنا، لنتعرف على آياته ومعجزاته فى خلق الكائنات ونحتج بها على الكافرين والملحدين.

ولكى نتعرف على كيفية خلق آدم يلزمنا أولاً التعرف على الآيات والأحاديث الواردة فى شأن خلقه ولنبدأ بالآيات:

قال تعالى:

١- ﴿ **إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾، «ص، ٧١-٧٢».

٢- ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾، «الحجر، ٢٨-٢٩».

٣- ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾، «آل عمران، ٥٩».

٤- ﴿ **الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين** ﴾، «السجدة، ٧-٨».

٥- ﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار. وخلق الجان من مارج من نار** ﴾، «الرحمن، ١٤-١٥».

٦- ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾، «المؤمنون، ١٢-١٤».

٧- ﴿ **إنا خلقناهم من طين لازب** ﴾، «الصافات، ١١».

* أما بالنسبة لما ورد فى الأحاديث النبوية عن خلق آدم عليه السلام فنذكر منها مايلى:

١- قال رسول الله ﷺ: «الناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب».«رواه أحمد وأبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه».

٢- عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم من

قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك». «أخرجه أحمد ٤ / ٤٠٠، ٤٠٦ - وأبو داود ٤ / ٢٢٢ - والترمذى ٥ / ٢٠٤ وقال حسن صحيح - والحاكم ٢ / ٢٦١ وصححه وأقره الذهبى - وابن حبان فى صحيحه ٨ / ٢٠».

٣- عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من تراب ثم جعله طيناً ثم تركه حتى إذا كان حمأً مسنوناً خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار، قال: فكان إبليس يمر به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه من روحه فكان أول ماجرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعطس فلقاه الله رحمة ربه....». «أخرجه أبو يعلى فى مسنده ١١ / ٤٥٣، والترمذى ٥ / ٤٥٣ وقال حديث حسن غريب، والنسائى فى اليوم والليلة، والحاكم ٤ / ٢٦٣ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبى».

٤- عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً.....» «أخرجه البخارى ٦ / ٣٦٢، أحمد ٢ / ٣١٥، مسلم ٤ / ٢١٨٣»

* ومن الآيات والأحاديث السابقة نستنتج أن الله سبحانه وتعالى بدأ خلق آدم من التراب، ثم مر هذا التراب بعدة مراحل كيميائية حتى وصل إلى صلصال من حمإ مسنون أو صلصال كالفخار.

وهذه المراحل التى مر بها هذا التراب هى:

الطين - الطين اللازب - صلصال من حمإ مسنون أو صلصال كالفخار.

وهذه المراحل عبارة عن مواد تحول إليها هذا التراب بعد خلطه بالماء، وهذه المواد عبارة عن مجموعة من العناصر والمركبات الكيميائية كما هو معروف، فجميع ما على الأرض عبارة عن عناصر وتراكيب كيميائية أصلها التراب والماء ومجموعة من العناصر الموجودة بالغلاف الجوى للأرض.

والسؤال الآن: ماهى المعانى اللغوية والتراكيب الكيميائية لهذه المواد؟

١- التراب، لغوياً: هو المادة الناعمة من قشرة الأرض وهو عبارة عن حبيبات متناهية فى الصغر تسمى «ذرات».

وتتركب قشرة الأرض «التراب» كيميائياً من أكثر من مائة عنصر تكون ثمانية عناصر فقط منها حوالى ٩٧٪ من عدد ذرات عناصر قشرة الأرض.

وأظهرت بعض التحليلات الكيميائية أن النسب المئوية لهذه العناصر الثمانية كما يلى [1]:

أكسچين ٥٩,٥٪ سيلكون ٢٠,٤٪ ألومنيوم ٦,٢٪

(١) خلق الإنسان - د. عبد الفتاح محمد طيرة، جـ١ ص ٨٠.

صوديوم ٢,٥٪ حديد ١,٩٪ كالسيوم ١,٨٪

ماغنسيوم ١,٨٪ بوتاسيوم ١,٤٪

هذا بالإضافة إلى عناصر أخرى توجد بالغلاف الجوى الذى يعتبر أيضاً جزءاً من الأرض وعناصر بقشرة الأرض، نذكر منها على سبيل المثال: الهيدروچين - النيتروچين - الكربون - الفوسفور - الكبريت - الكلور - النحاس - المنجنيز - القصدير - اليود - الفلورين - الألومنيوم.

وجميع أجسام الكائنات الحية والجمادات الموجودة على الأرض تتكون من اتحاد ذرات هذه العناصر بنسب مختلفة ومتفاوتة.

واتحاد ذرتين أو أكثر من ذرات هذه العناصر مع بعضها بالتفاعلات الكيميائية الطبيعية أو الصناعية يكون أول جزىء من جزيئات المركبات والمواد المختلفة، فأى مركب أو مادة ماهو إلا مجموعة من الجزيئات الناتجة من اتحاد عنصرين أو أكثر من عناصر التراب، وبهذا نجد أن جميع المركبات والمواد الموجودة على الأرض أصلها التراب.

فعلى سبيل المثال لا الحصر: الرمال أو الكوارتز وهى تشكل جزءاً كبيراً من قشرة الأرض عبارة عن مادة تتكون من جزيئات كل جزىء منها مكون من اتحاد ذرات الأكسچين مع ذرات السيليكون بنسبة ٢ : ١ لتكون أكاسيد السيلكون «س أ$_{٢}$ ، س$_{٤}$ أ$_{٨}$ ، س$_{٥}$ أ$_{١٠}$» المعروفة باسم الرمال أو الكوارتز ويوجد من أصناف الكوارتز ما يصنف بين الأحجار الكريمة مثل: الأرجوان والعقيق وعين الهر، وتستخدم الرمال منذ زمن بعيد فى صناعة الزجاج، ويستعمل أنواع من الكوارتز الآن فى الأجهزة الألكترونية.

والمثال الثانى: الماء «يد$_{٢}$أ» فكل قطرة منه تتكون من ملايين الجزيئات وكل جزىء مكون من اتحاد ذرتين من الهيدروچين مع ذرة أكسچين. وملح الطعام عبارة عن مادة تتكون من جزيئات كل جزئ مكون من اتحاد ذرة صوديوم مع ذرة كلور.

وأخيراً الإنسان: فقد أثبتت التحليلات المعملية أن جسم الإنسان يحتوى على أكثر من ١٦ عنصراً أهمها الآتى: الأكسجين ٦٣٪، كربون ٢٠٪، هيدروچين ١٠٪، نيتروچين ٣,٥٪، بوتاسيوم ١١٪، كالسيوم ٢,٥٪، فوسفور ١٪، كلويدات ٠,٢٤٪، كبريت ٠,٠١٤٪، صوديوم ٠,٠١٪، ماغنيسوم ٠,٠٧٪، حديد ٠,٠١٪، مع عناصر أخرى نادرة مثل اليود والزنك[1]. وهذه العناصر من العناصر المكونة لقشرة أو تراب الأرض.

٢- الطين: ومعناه فى اللغة التراب المختلط بالماء، وهو عبارة عن مركب أو مادة حبيباتها

---

(١) مجلة الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم - إصدار جامعة جنوب الوادى بقنا - الندوة الثالثة مقال د. محمد أحمد ضرغام، تحت عنوان «خلق الإنسان بين العلم والقرآن».

دقيقة متماسكة تتكون من معدن الميكا المختلط بالمرو والفلسبار وبعض المواد العضوية [١].

ويشكل الفلسبار الجزء الأكبر من الطين بالإضافة إلى الماء المختلط به ويتركب الفلسبار كيميائياً من سليكات الألومنيوم التى تنشأ من بعض أكاسيد السيلكون المعروفة بالرمال أو الكوارتز حيث يمكن لذرة أو ذرتين فى جزىء أكسيد السيليكون «$س_{٤} أ_{٨}$» أن يستبدلا بذرة أو بذرتين من الألومنيوم فيتكون جزىء من سليكات الألومنيوم $س_{٣}$ لو $أ_{٨}$، أو $س_{٢}$ $لو_{٢}$ $أ_{٨}$.[٢].

٣- الطين اللازب: هو الطين اللزج الغزوى المتماسك أو اللاصق، وهو نفسه الطين بعد تحويله إلى طين لزج يشبه الغراء فى لزوجته.

٤- الصلصال من حمإٍ مسنون والصلصال كالفخار: الصلصال فى اللغة هو الطين اليابس الذى يكون له صلصلة «صوت» من النقر عليه عند تشكيله فى صورة أوانى فخارية مثلاً. والحمأ المسنون هو الطين الأسود المتغير أو المنتن، أى الذى تصدر منه غازات ذات رائحة نفاذة.

وأوضح الدكتور عبد الفتاح محمد طيرة فى كتابه «خلق الإنسان» الجزء الأول أن الصلصال من حمإٍ مسنون عبارة عن طين جاف وليس متصلداً مثل الجرانيت «الذى يعد نوعًا من الصلصال» ويحتوى هذا الصلصال من حمإٍ مسنون على مواد عضوية وبكتيريا وفطريات تفرز إنزيمات تحلل هذه المواد العضوية، وعرف الحمأ بأنه نواتج المواد العضوية المتحللة فى التربة، وهى عبارة عن أحماض أمينية وغازات وطاقة أو حرارة حامية ،وهذه المواد والغازات هى سبب النتن والروائح الكريهة التى تنبعث من هذه التربة الصلصالية.

وأكد ذلك بأن نواتج المواد العضوية المتحللة فى التربة الصلصالية تسمى فى كثير من اللغات الأجنبية باسم «همأ» (Humus) وهو نفس اسم «حمأ» فى اللغة العربية بعد تعجيمه، لأنهم ينطقون الحاء.. هاء فى اللغات الأجنبية [٣].

ومن هنا يمكننا القول بأن الصلصال من حمإٍ مسنون عبارة عن طين جاف به مواد عضوية متحللة إلى أحماض أمينية وغازات وطاقة. وهذه الأشياء الثلاثة هى الخامات الأساسية التى تساهم بجزء كبير جداً فى تكوين الخلايا وبالتالى أجسام الكائنات الحية، لأن الأحماض الأمينية يتم من خلالها تكوين البروتينات التى تعد اللبنات الأولى فى أجسام الكائنات الحية، وتكوين البروتينات يتم طبقاً لترتيب معين للأحماض الأمينية يكون مسجلاً على الچينات فى الحمض النووى D.N.A، وترتيب هذه الأحماض يختلف من كائن لآخر كما سبق وأن شرحنا طبقاً للأوامر المسجلة على الچينات».

(١) المعجم الوجيز.

(٢) خلق الإنسان - د. عبد الفتاح محمد طيرة، جـ١ ص ٨١.

(٣) خلق الإنسان - د. عبد الفتاح محمد طيرة، جـ١ ص ١٣١، ١٨٨، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣.

وفى هذا الصدد يلزمنا التعرف على نبذة مختصرة عن المواد العضوية التى تساهم بجزء كبير فى تكوين أجسام الكائنات الحية، والتى يشكل الماء نسبة كبيرة من مادتها.

فالمواد العضوية عبارة عن كربومائيات وزيوت وأحماض أمينية «تشكل بروتينات».

والكربومائيات تتركب كيميائياً من كربون وأيدروچين وأكسچين وطاقة لتشكل بذلك سكريات سداسية، وتسمى بالكربومائيات لأن نسبة الأيدروچين فيها إلى الأكسچين ٢ : ١ وهى نفس نسبتهما فى الماء ويتكون جزىء الكربومائيات من ٦ جزيئات ماء + ٦ جزيئات ثانى أكسيد كربون + طاقة.

وأهم أنواع السكريات السداسية: الجلوكوز، الفركتوز، الجالاكتوز، والنشا، والسليلوز وهى مركبات تنشأ من اتحاد أعداد كبيرة تصل إلى المئات أو الآلاف من جزيئات السكريات أحادية السكر [1].

والجليسرول والأحماض الدهنية مركبات تنشأ من السكر السداسى بالحت، هذا بالإضافة إلى سكريات أخرى تنشأ بالحت من السكر الداسى، ويقصد بالحت إزالة بعض ذرات الكربون مع ذرات مناسبة من الأكسچين والأيدروچين أو الاثنين معاً.

أما الزيوت أو الليبيديات «الشحوم» فهى مركبات تتركب كيميائياً من الكربون والأيدروچين والأكسچين مثل الكربومائيات، ولكن نسبة الأيدروجين والأكسچين تختلف عن نسبتهما فى الماء.

وتخلق الزيوت والليبيدات من الكربومائيات وخاصة السكريات الأحادية «من الجليسرول والأحماض الدهنية خاصة».

أما البروتينات فهى مركبات تتركب كيميائياً من الكربون والأيدروچين والأكسچين بالإضافة إلى النيتروچين أو الفوسفور أو الكبريت فى بعض الأنواع.

والبروتينات تنشأ من الكربومائيات «الدهون» وهى عبارة عن جزىء مكون من المئات أو الآلاف من الأحماض الأمينية المرتبة حسب ترتيب معين منظم ودقيق.

والبروتينات هى المكون الأساسى لأجسام الكائنات الحية، ويبلغ عدد الأحماض الأمينية التى تصنع البروتينيات فى جميع الكائنات الحية ٢٠ حمضاً، وجزء منها يدخل فى بناء أجسام الكائنات الحية «الخلايا»، وجزء آخر يستخدم كإنزيمات «خمائر» تقوم بتنشيط تفاعلات كيميائية معينة لإنتاج مواد معينة، والإنزيمات هى سبب تعدد وتنوع وتباين الصفات الوراثية بين الثمار والنباتات والحيوانات وبعضها البعض.

---

(١) المصدر السابق ص ١١٦ - ١٢٢.

أما الجزء الآخر من الأحماض الأمينية فيستخدم عند اللزوم كوقود يعطى طاقة وحرارة مثل الكربومائيات.

والنيتروجين عنصر أساسى فى تكوين البروتينات وهو موجود بالجو ويحصل النبات عليه من أملاح التربة المتكونة من مخلفات الطحالب والبكتيريا والمواد العضوية وذلك من خلال مساعدة كائنات أخرى كالبكتيريا، أما الحيوان فيحصل على بروتيناته من النبات، والإنسان يحصل عليها من الحيوان والنبات. والبكتيريا والفطريات الموجودة فى التربة هما الكائنان الوحيدان اللذان يستطيعان أن يحصلا على النتيروچين من الجو ليساعدا بذلك المواد العضوية الموجودة فى التربة الصلصالية فى تكوين الأحماض الأمينية ومن ثم البروتينات.

مما سبق يمكننا القول بأن الصلصال من حمإٍ مسنون عبارة عن طين جاف محتو على المكونات الأساسية اللازمة لبناء جسم أى كائن حى، وهى نواتج المواد العضوية المتحللة بمساعدة البكتيريا والفطريات إلى: كربومائيات وزيوت أو دهون وبروتينات «أحماض أمينية» وطاقة، أى هو عبارة عن صلصال به مواد عضوية وأحماض أمينية غير مرتبة بترتيب معين وهى مهيأة ومستعدة لأن تتشكل وتترتب بأى ترتيب ما لتكون بذلك «وبمساندة نواتج المواد العضوية الأخرى الموجودة في الصلصال» بروتينات مختلفة تساهم فى تخليق جسد أى كائن حى طبقاً للأوامر التى ستصدر إليها من الخالق سبحانه وتعالى لتحدد لها الترتيبات التى ستترتب بها فى كل قطعة أو خلية من خلايا هذا الكائن الجديد والمشكل هذا الصلصال غالباً فى صورته.

والسؤال الآن: كيف خلق الله آدم من هذا الصلصال من حمإٍ مسنون؟

سبق وأن قلت أن الطريقة التى خلق الله بها آدم مازالت مبهمة علينا، وإن كانت الاكتشافات العلمية الحديثة قد مكنتنا من محاولة تخيل الطريقة التى خلقه بها على ضوء ما ورد فى القرآن والأحاديث النبوية، لذا فإنى أؤكد مرة أخرى أن ما سأقوله هنا مجرد اجتهاد قد أصيب فى بعضه وأخطئ فى البعض الآخر.

وأرى والله أعلم أن الله أخذ عينات مختلفة من تراب الأرض تشتمل على جميع أو معظم العناصر الموجودة فى الأرض والتى تتكون منها قشرتها ويؤكد ذلك الحديث الذى ذكره أبو موسى الأشعرى والسابق ذكره الذى قال فيه النبى ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض....».

ثم خلط الخالق سبحانه وتعالى هذا التراب بالماء فأصبح طيناً فتركه حتى صار حمأ مسنوناً محتويًا على مواد عضوية متحللة «كربومائيات وزيوت ودهون وأحماض أمينية وطاقة

حرارية» وهنا شكل الخالق هذا الصلصال فى صورة آدم ثم تركه ليجف أكثر ويتحول إلى صلصال كالفخار غير متصلد، أى صلصال كالفخار ليس به غازات وروائح كريهة ونتن ولكنه محتفظ بنواتج المواد العضوية المتحللة بداخله أو بمعنى أدق محتو على الأحماض الأمينية والمواد العضوية الأخرى اللازمة لبناء خلايا جسم أى كائن حى بالإضافة إلى الطاقة أو مولدات الطاقة.

ويؤكد ذلك الحديث الذى ذكره أبو هريرة عن رسول الله ﷺ والقائل فيه: «إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طيناً، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنون خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار ثم نفخ الله فيه من روحه.....».

بعد ذلك نفخ الله فيه من روحه كما هو مذكور بالحديث السابق، أى أصدر سبحانه وتعالى لهذا الصلصال أمراً بالتحول إلى آدم، وكان هذا الأمر متضمناً أو بمعنى أدق مشروحاً به صفات آدم الجسدية والعقلية والنفسية والسلوكية الفطرية، ولتقريب الصورة للأذهان نقول أن هذا الأمر كان عبارة عن الكتالوج أو النموذج الذى رسمه الخالق سبحانه وتعالى لآدم وقدر وحدد به وصف كل عضو وبالتالى كل خلية فى جسد آدم بالإضافة إلى صفاته النفسية والعقلية، وكان هذا الكتالوج أو النموذج أو الماكيت أو الديسك الذى يشبه ما هو مسجل على ديسك الكمبيوتر متضمناً كل الأوامر والمعلومات والأعمال الواجب على كل قطعة فى جسد آدم أن تنفذها ليتم خلق آدم، فتلقت المواد العضوية والأحماض الأمينية المنتشرة فى كل قطعة من الصلصال المشكل فى صورة آدم هذا الأمر أو الكتالوج أو الكتاب أو التقدير الذى قدره الله لآدم كاملاً، وبدأت فى ترتيب نفسها وتجميع المئات والآلاف منها فى مجموعات معينة طبقاً للتعليمات المتضمن لها الأمر الإلهى لتكون بذلك نوى خلايا آدم من خلال تكوين الأحماض النووية .R.N.A و D.N.A وغيرها وبمساعدة المواد العضوية والطاقة المنتشرة فى جسد آدم قامت هذه النوى بتشكيل خلايا جسد آدم، ثم بدأت كل خلية فى التخصص بتشغيل جزء من الجينات وإيقاف الجزء الآخر طبقاً لموقع الخلية فى الجسد وحسب التعليمات المدونة أو المشروحة بالأمر الإلهى «الروح» والذى شبهناه بكتاب أو كتالوج أو نموذج أو ديسك أو شريط فيديو بالصوت والصورة.. إلخ.

بعد ذلك بدأت كل مجموعة من الخلايا المتخصصة فى التجمع مع بعضها لتشكل الأنسجة والأعضاء المكونة لجسد آدم، وبهذا تم خلق آدم بلحمه ودمه من الصلصال وهذا يؤكد الروايات القائلة أن الروح كانت تحيل كل قطعة تجرى فيها فى جسد آدم إلى لحم ودم لأن اللحم أنسجة والأنسجة خلايا وكذلك الدم خلايا فالروح كانت تقوم بتكوين الخلايا فى كل قطعة تمر بها.

وهنا لابد أن نلفت النظر إلى أن جسد آدم بأكمله كان يخضع لقيادة مركزية «نواة واحدة أو مجموعة من النوى» تقوم بالتنسيق والتنظيم بين جميع نوى خلايا أعضاء جسد آدم، وقد تكون هذه النواة أو مجموعة النوى هى المشكلة للعقل الباطن أو العقل اللا إرادى كما يسميه البعض والمسئول عن تشغيل أعضاء جسد الإنسان سواء أثناء اليقظة أو أثناء المنام.

وكان هناك أيضاً مجموعة نوى مشكلة للنفس وللعقل الإرادى الحامل للأمانة التى حملها الإنسان «حرية العبادة» وللصفات الفطرية من خير أو شر ولأدوات التمييز بينهما، وهذه النوى كان يتحكم فيها قيادة مركزية موجودة داخل هذه النوى، وهذه القيادة هى التى تعبر عن إرادة الإنسان وذاته وتكون مسئولة عن تصرفاته وسلوكه أثناء اليقظة فقط.

وهنا يجب أن نعلم أن الله خلق آدم رجلاً كاملاً بدون المرور بمراحل الصبا أو الطفولة، وخلقه بدون أب أو أم وبدون رحم، ويمكن أن نعتبر أن الصلصال الذى كان مشكلاً فى صورة آدم كان بمثابة قالب للخلايا لتتشكل فى النهاية على صورة هذا الصلصال وفى نفس الوقت كان هذا القالب بمثابة رحم لهذه الخلايا أثناء نشوئها وانقسامها وكانت مادته الصلصالية المحتوية على نواتج المواد العضوية المتحللة والإنزيمات المختلفة هى التى تمد هذه الخلايا بما يلزمها من غذاء مثل الرحم فى الأم، فتأخذ هذه الخلايا أو نوى الخلايا قبل تكوين الخلية من هذا الصلصال ما يلزمها من عناصر غذائية. وأحسب والله أعلم أن القشرة الخارجية لهذا الصلصال وبشرة جلد آدم كانت فى صورة مادة جيلاتينية فهذه المادة الجيلاتينية يمكن أن نسميها أيضاً إذا كانت جميع عناصرها من التراب والماء: طين لازب. وإذا تجمدت بعض الشىء يمكن أن نسميها أيضاً: صلصال من حمأ مسنون. فمرحلة الصلصال من حمإٍ مسنون لا يشترط أن يكون مقصوداً بها كما قلنا أنها طين يشبه مانراه من طين فى قشرة الأرض، فيمكن أن يكون الله قد حول الطين إلى مادة جيلاتينية وهى المادة المكونة لأجسام الخلايا بالإضافة إلى نواتج المواد العضوية الأخرى وهذا هو أقرب تصور يمكن أن نتخيله حتى الآن وطبقاً لما هو متاح لدينا من علوم عن كيفية خلق آدم، وبالتأكيد سيكشف الله للأجيال القادمة المزيد والمزيد من المعلومات وسبحان الخلاق العليم.

وأخيراً وبعد تمام خلق آدم كانت كل خلية فى جسده قد سجلت بداخل نواتها صورة كاملة من الأمر الإلهى، ولكن جزءاً فقط من هذه الأوامر هو الذى كان يعمل فى هذه الخلية والجزء الباقى يصبح خاملاً أو معطلاً طبقاً للأوامر الصادرة من نواة الخلية أو من القيادة المركزية لكل خلايا الجسد.

وخرج آدم للحياة وكان طوله ستون ذراعاً «حوالى ٣٨ متراً لأن الذراع يساوى ٦٤سم بقياس الذراع الهاشمى وهو أشهر أنواع الأذرع» وكان عرضه حوالى سبعة أذرع كما ورد

ببعض الروايات «حوالى ٤,٢ متر تقريباً» وقد ذكر النبى ﷺ أن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً وأن الخلق «نسل آدم» مازال يتناقص «فى الطول» إلى يوم القيامة أى أن آدم وأبناءه كانوا عمالقة، والأجيال اللاحقة لهم كانت أقل منهم فى الطول وهكذا.

ثانياً: خلق حواء من قطعة من جسد آدم ومن نفس الروح المنفوخة فى آدم «خلايا حية مسجل عليها الأوامر الإلهية الخاصة بخلق الإنسان».

بعد أن تعرفنا على كيفية خلق آدم أو بمعنى أدق أقرب طريقة لكيفية خلقه حسب علمنا والعلم عند الله، نريد الآن التعرف على الكيفية التى خلقت بها حواء ولنراجع أولاً ما ورد فى هذا الشأن بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية.

أولاً: لم يرد فى القرآن أى تفاصيل أو ذكر لطريقة خلق حواء من آدم فى القرآن سوى أن الله خلقها من آدم، كما لم يذكر لا فى القرآن ولا فى الأحاديث النبوية أن الله نفخ روحًا فى حواء عند خلقها.. مما يفيد أن القطعة التى أخذها الله من جسد آدم «مجموعة الخلايا» كانت تحمل صورة أو نسخة من الأوامر الإلهية «الروح» المنفوخة فى آدم.

وكان كثير من المفسرين يذهب إلى أن سبب تسمية حواء بهذا الاسم هو أنها خلقت من شىء حى، وهى بالقطع الخلايا الحية المأخوذة من جسد آدم والتى تحمل بداخلها روحًا من الروح المنفوخة فى آدم «الأوامر الإلهية».

قال تعالى: ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾، «النساء: ١».

فالنفس الواحدة فى هذه الآية هى آدم وزوجها التى خلقت منه هى حواء والرجال والنساء المخلوقون هم نسلهما من البشر، ولم يرد فى القرآن الكريم أى تفاصيل أخرى أكثر مما ورد فى هذه الآية عن خلق حواء. أما فيما يتعلق بما ورد فى الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة فنذكر منها الآتى:

١- عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع...» «أخرجه البخارى ٦ / ٣٦٣، ومسلم ٢ / ١٠٩١».

٢- وروى عن قتادة فى معنى قوله تعالى: ﴿ **وخلق منها زوجها** ﴾، أنه قال: يعنى حواء خلقت من آدم من ضلع من أضلاعه. «أخرجه الطبرى فى تاريخه».

٣- وذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس: أن حواء خلقت من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولأم الله مكان هذا الضلع لحماً. «أخرجه الطبرى فى تاريخه». ومعنى لأم مكانه لحماً: أى أنبت مكانه لحماً.

٤- حكى السدى عن أبى صالح وأبى مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة أنهم قالوا: «أخرج إبليس من الجنة، وأسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشي ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها: ما أنت؟ قالت: امرأة. قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إلى. فقالت له الملائكة ينظرون مابلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: ولم كانت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي». «أخرجه الطبرى فى تاريخه وتفسيره والبيهقى فى الأسماء والصفات ٢ / ١٢٧ والسيوطى فى الدر المنثور ١ / ٥٢ وعزاه لابن أبى حاتم وابن عساكر أيضاً».

٥- عن مجاهد فى معنى قوله تعالى: ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ أنه قال: «يعنى حواء خلقت من قصيرى آدم وهو نائم....» «أخرجه الطبرى فى تاريخه». وقصيرى آدم: أحد أضلاعه القصيرة.

وبالنسبة للتوراة: فذكرت فيما يتعلق بخلق حواء الآتى:

«...... فأوقع الرب الإله آدم فى نوم عميق، وفيما هو نائم أخذ إحدى أضلاعه وسد مكانها بلحم. وبنى الرب الإله امرأة من الضلع التى أخذها من آدم، فجاء بها إلى آدم، فقال: آدم: هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى، هذه تسمى امرأة، فهى من امرئ أخذت...» «سفر التكوين، الإصحاح الثانى: ٢١-٢٢» نص الترجمة السبعينية للكتاب المقدس.

ولايختلف ما ورد في التوراة عما ورد فى الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة، ومما سبق نستنتج الآتى:

١- خلق الله حواء من أحد الضلوع القصيرة لآدم وهو ضلع أعوج وكما هو معلوم تشريحياً فجميع الضلوع عوجاء وبالتالى فقول النبى ﷺ: «خلقت المرأة من ضلع أعوج» لا يعنى عيب فى خلقها أو اعوجاج فى سلوكها وطبعها كما يفهم البعض لأن جميع الضلوع عوجاء فالعوج فى الحديث صفة للضلوع وليس للمرأة.[1].

فالضلوع منها ضلوع طويلة وضلوع قصيرة، وذكر فى الروايات أنها خلقت من ضلعين قصيرين أو من أحدهما، وهما آخر ضلعين من الضلوع الاثنى عشر فى الغالب، لأن جميع الضلوع من جهة اليمين واليسار ضلوع طويلة تلتف حول الصدر لتكون القفص الصدرى.

وقد حددت بعض الروايات أن الله خلقها من الضلع الأقصر الأيسر وليس الأيمن، وغير مفهوم لنا حتى الآن الحكمة من خلقها من هذا الضلع إن صحت الروايات القائلة بهذا.

٢- لم يذكر فى القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية أو أقوال الصحابة أن الله نفخ روحًا

(١) قائل هذا الكلام هو الدكتور. محمد أحمد ضرغام بمجلة الإعجاز العلمى - أعمال الندوة الثالثة.

فى حواء مثلما فعل مع آدم، مما يدل على أنها خلقت من نفس الروح المنفوخة فى آدم، وأن هذه الروح انتقلت إليها عبر الضلع «مجموعة الخلايا المكونة لهذا الضلع» الذى خلقت منه.

ويؤكد ذلك إطلاق آدم عليها اسم حواء وتفسيره لمعنى هذا الاسم بأنها خلقت من شىء حى «خلايا حية أو خلية واحدة حية أخذت من هذا الضلع».

والسؤال الآن: كيف خلق الله حواء من ضلع آدم؟

أولاً: لابد أن نقر أن حواء لم تخلق من آدم بطريقة الاستنساخ الخلوى لأنها لو خلقت بهذه الطريقة لخرجت نسخة طبق الأصل من آدم ولكانت رجل وليس امرأة، كما يجب أن نقر أيضاً بأنها لم تخلق بإصدار أى أوامر جديدة من الله سبحانه وتعالى للخلية التى خلقها منها «أو مجموعة الخلايا» لأننا لو سلمنا بإصدار أى أوامر منه سبحانه وتعالى لهذه الخلية فسيصبح هذا الأمر روحًا أو جزءاً من روح، ولم يرد بالقرآن أو الأحاديث النبوية نفخ أى روح فى حواء.

لذا ليس أمامنا والله أعلم سوى القول بأن الله خلقها بطريقة الانقسام الخلوى مع التعديل الچينى «وهى طريقة قريبة من طريقة الاستنساخ ولكن يتم من خلالها إجراء بعض التعديلات على چينات الكروموسومات».

فمن المعروف أن خلايا الرجل الجنسية «الحيوانات المنوية» وبالتالى خلاياه الجسدية تحمل كروموسوم الجنس الذكرى y وكروموسوم الجنس الأنثوى x، أما المرأة فلا تحمل سوى كروموسوم الجنس الأنثوى xx فقط.

أى أن الرجل يحمل خلايا جنسية صالحة لخلق رجل وخلايا جنسية صالحة لخلق امرأة.

ونظراً إلى أن الروايات لم يرد بها أن حواء خلقت من نطف آدم أى لم تخلق من حيوان منوى، وهو لايصلح بمفرده «بدون بويضة» لخلق إنسان لأنه لايحمل إلا نصف الكروموسومات، والخلق منه يقتضى نفخ روح من الله تحمل النصف الآخر من هذا العدد اللازم من الكروموسومات اللازمة لخلق الإنسان.

وقد أكدت الروايات أنها خلقت من ضلع، أى من مجموعة خلايا أو خلية واحدة من هذا الضلع لأن خلية واحدة تكفى، فهى تحمل كل الكروموسومات الـ ٤٦ اللازمة لخلق الإنسان.

فالأرجح والله أعلم أن الله أخذ خلية نشطة من خلايا ضلع صدر آدم ومعلوم أن خلايا الصدر من أنشط الخلايا، ثم قام سبحانه وتعالى بنزع كروموسوم الجنس الذكرى y منها، وأبقى على كروموسوم الجنس الأنثوى x، فأصبح عدد الكروموسومات فى الخلية ٤٥ كروموسوماً ،وهنا قام الخالق سبحانه وتعالى باستنساخ نسخة أخرى من كروموسوم الجنس x أو قام هذا الكروموسوم تلقائياً باستنساخ نفسه ليكمل بالنسخة الجديدة عدد كروسومات

الخلية، فأصبحت الخلية خلية تامة ذات ٤٦ كروموسوماً وبها كروموسوما الجنس الأنثوى xx ثم أدخل عليها مايلزم من تعديل.

فإذا كانت هذه الخلية نشطة نشاطاً تاماً وجميع كروموسوماتها وبالتالى چيناتها عاملة غير خاملة «لأنها خلية جسدية» فستبدأ فى الانقسام والتكاثر وكأنها خلية جنينية، أما إذا كان بعض چيناتها فقط هى العاملة لأنها خلية متخصصة وهذا هو الأرجح فسيصدر الخالق لها أمراً بالعمل كاملة «وهو أمر لايمثل روحًا لأنه لايحتوى على أى إضافات للچينات وبالتالى الكروموسومات» فتعمل جميع الچينات الموجودة داخل الـ ٤٦ كروموسوماً تلقائياً وفق البرنامج المسجل على هذه الچينات وتبدأ فى الانقسام والنمو مثلما يحدث فى الجنين، حتى يكتمل خلق حواء من هذه الخلية، ولابد أن الخالق سبحانه وتعالى كان يمد هذه الخلايا بما يلزمها من غذاء بطريقة ما.

وبهذا تم خلق حواء، امرأة شابة ناضجة، فى عمر وطول آدم، وتم خلقها بدون المرور بمراحل الطفولة والصبا وبدون رحم واختلفت فى تكوينها الجسدى عن آدم فى جهازها التناسلى فلم يعد لها عضو ذكرى وخصتان بل أصبح لها مهبل ومبيضان، وثديان وشعر مسترسل وبشرة ناعمة.. إلخ من الاختلافات الموجودة فى الصفات بين الرجل والمرأة، وكل هذه الاختلافات نتجت عن التعديلات الچينية التى أدخلها الخالق سبحانه وتعالى على چينات الخلية المأخوذة من آدم، والتى اقتصرت أغلبها على تعديل الجهاز التناسلى.

وأخيراً أحب أن أنوه إلى أن عملية الخلق لم تكن بالبساطة التى شرحتها بها فهى عملية فى منتهى الدقة والإعجاز والتعقيد، ولكن بالنسبة للخالق تتم فى منتهى البساطة، فالمسألة بالنسبة له ليست أكثر من إصدار أوامر ليتم كل شىء وفق التقدير والنظام والوصف الذى يقدره مسبقاً للمخلوق المراد خلقه.

أما بالنسبة لنا فالعملية تحتاج لشرحها تفصيلياً إلى مجلدات، فما شرحناه ليس أكثر من شرح إجمالى للخطوات وليس شرحاً لما يتم من عمليات كيميائية وتنظيمية داخل الخلايا أثناء عملية الانقسام والنمو لتكوين الإنسان.

ويكفى أن نعلم أن أبحاث العلماء استغرقت مئات السنين للوصول إلى الطريقة التى تنقسم وتتكاثر بها الخلايا، وما تم الكشف عنه حتى الآن يعد قطرة فى بحر، وكلما تعمق العلماء داخل الخلية كلما ازداد الأمر صعوبة وتعقيداً، وما زالت الأبحاث جارية للوصول إلى الطريقة التى تتخصص بها الخلايا، والطريقة التى يمكن بها بكل سهولة تحويل الخلية الجسدية المتخصصة إلى خلية نشطة عاملة بالكامل وغير متخصصة، أو العكس أى تحويل الخلية الجنينية «نطفة الأمشاج» من خلية غير متخصصة إلى خلية متخصصة.

ثالثاً: خلق نسل آدم وحواء من حيوان منوى وبويضة يحمل كل منهما نصف الأوامر الإلهية الخاصة بخلق الإنسان:

نأتى بعد ذلك إلى طريقة خلق سائر البشر من نسل آدم وحواء وهذه الطريقة لا تحتاج منا إلى تفكير وتخيل، لأننا نشاهدها كل يوم وتم الكشف عنها من خلال العلم، فهى تتم من خلال تلقيح الحيوان المنوى للذكر والحامل لعدد ٢٣ كروموسوماً يمثلون نصف الأوامر الإلهية المسجلة على الخلية البشرية - للبويضة الأنثوية والحاملة لعدد ٢٣ كروموسوماً تمثل النصف الآخر المكمل للأوامر الإلهية والذى بدونه لا تكتمل الأوامر الخاصة بخلق الإنسان.

وقد شرحت فى الفصل السابق تفصيلياً مراحل تخليق الجنين داخل الرحم ولا حاجة لنا لذكرها هنا مرة ثانية:

وما نريد التأكيد عليه فى هذه النقطة هو أن جميع البشر خلقوا من نفس الروح التى نفخها الله فى آدم، ولا يتم نفخ روح فى الجنين لأن الروح «الأوامر الإلهية» تكتمل وتصبح متواجدة فى الجنين من أول لحظة تكوين الخلية الجنينية الأولى «نطفة الأمشاج» فهذه الروح انتقلت إلى البشر من آدم وحواء عبر الحيوانات المنوية والبويضات وقد شرحنا فى الفصل السابق أيضاً معنى نفخ الروح فى الجنين ولهذا لم يأت أى ذكر لنفخ روح فى الجنين فى القرآن، كما أن القرآن لم يطلق على الشيء الذى يفارق الجسد أثناء النوم والممات لفظ الروح ولكن أطلق عليه لفظ النفس، لأن الروح المسئولة عن حياة الجسد تنتقل إلى الإنسان عبر الحيوانات المنوية والبويضات ممثلة فى الأوامر الإلهية التى تحملها الجينات المحمولة بدورها على الكروموسومات.

وفيما يلى أهم الآيات التى تحدثت عن خلق الإنسان «نسل آدم وحواء» من النطف «الحيوانات المنوية والبويضات» المتوارثة من الأبوين ومن آدم وحواء والحاملة للأوامر الإلهية «الروح»، ولن نجد فى هذه الآيات أية إشارات أو تصريح لنفخ روح فى الجنين داخل الرحم، مما يؤكد أن الروح تكون موجودة فى الجنين من أول لحظة كما سبق وأن أكدنا، وأننا جميعاً نخلق من نفس الروح التى خلق الله منها آدم.

قال تعالى:

١ - ﴿ **الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون** ﴾، «سورة السجدة: ٧-٩».

فهذه الآيات تحدثت عن بدأ خلق الإنسان «آدم» من طين، وعن جعل نسله من سلالة من ماء مهين، وكان ذلك قبل نفخ الروح فى آدم كما يتضح ذلك من الآية، حيث إن الماء المهين هنا هو الماء العضوى فى الغالب والذى سبق لنا أن تحدثنا عنه والذى كان موجوداً فى

الصلصال من حمإٍ مسنون، فهذا الماء عند هذه المرحلة قدر الله خلق آدم ونسله مستقبلاً منه، وبعد تسوية آدم نفخ الله فيه من روحه فنفخ الروح فى الآية هنا كما هو واضح عائد على آدم المخلوق من الطين والماء العضوى «الحمأ المسنون» الذى كان موجوداً داخل هذا الطين بعد تحويله إلى صلصال. ثم جعل لنا الخالق السمع والأبصار والأفئدة أثناء خلقنا داخل الأرحام.

المهم أن نفخ الروح فى هذه الآيات عائد على آدم كما هو واضح وأن خلق نسله يتم من السلالة الناتجة من الماء المهين، وهذه السلالة الناتجة من الماء المهين هى الحيوانات المنوية والبويضات، التى خلقها الله من الماء المهين داخل خصية آدم، ومبيض حواء، ثم يخلقهما داخل خصية ومبيض كل رجل وامرأة من نسل آدم وحواء بالتبعية، ومعنى السلالة: الخلاصة فالسلالة من طين: خلاصة منه، والسلالة من ماء مهين: خلاصة من هذا الماء.

٢- ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾، «سورة النساء:١».

وهذه هى أوضح آية تدل على أننا جميعاً خلقنا من نفس الروح التى خلق الله منها آدم لأن الآية صرحت بأننا خلقنا من نفس واحدة، والنفس كما أوضح القرآن وكما شرحنا فى الفصل الثانى تطلق على الذات الإنسانية كاملة أى على الإنسان بجسده وروحه ونفسه وعقله..و..إلخ.

ومعنى الآية أننا خلقنا من نفس واحدة هى آدم بجسده وروحه ونفسه وعقله، أى خلقنا من نفس جسد آدم ونفس الروح المنفوخة فيه وبنفس الصفات النفسية والعقلية التى خلقه الله بها ،وأن خلقنا نحن تم من خلال آدم وحواء معاً «من خلال الحيوانات المنوية والبويضات الموجودة بهما» بعد خلق حواء من نفس جسد وروح آدم.

٣- ﴿ **خلقكم من نفس واحدة. ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج. يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث، ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون** ﴾، «سورة الزمر:٦».

٤- ﴿ **وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع** ﴾، «الأنعام:٩٨».

والنفس الواحدة هنا هى نطفة الأمشاج الناتجة من اندماج الحيوان المنوى والبويضة، وهى نفس لأنها ذات كاملة بها روح، لأن النفس لا تطلق على شيء إلا بعد وجود الروح فيه، لأنها كما قلنا أثر من آثارها وهذا يؤكد وجود روح فى الجنين من أول لحظة تكوينه بدليل إطلاق لفظ النفس عليه «على نطفة الأمشاج فى هذه الآية» وقد شرحنا فى الفصل الثانى ما يؤكد أن النفس الواحدة المذكورة فى هذه الآية هى نطفة الأمشاج.

٥- ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا**

النطفة علقة. فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما. ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾، «المؤمنون: ١٢-١٦».

وقد أجملت هذه الآيات مراحل خلق نسل آدم وحواء، وهى خلقهم من:

١- سلالة من طين..... «الحيوان المنوى والبويضة الناتجين من السلالة من ماء مهين كما أوضح الله ذلك بسورة السجدة الآية ٨ وهذا الماء المهين كان ناتجاً بدوره من الطين الذى بدأ الله منه خلق الإنسان كما يتضح ذلك من سورة السجدة أيضاً آية ٧».

٢- نطفة في قرار مكين.... «هى نطفة الأمشاج الناتجة من اندماج الحيوان المنوى والبويضة».

٣- علقة.... هى مرحلة من المراحل التى تمر بها نطفة الأمشاج وقد شرحناها بالفصل الثالث.

٤- مضغة... المرحلة التى تدخل فيها النطفة بعد مرحلة العلقة وقد شرحناها فى الفصل الثالث أيضاً.

٥- تكوين العظام وكسو العظام باللحم.. فى أثناء فترة المضغة تتكون العظام وتكسى هذه العظام باللحم ويتكون الكثير من أعضاء جسد الإنسان.

٦- الإنشاء خلقاً آخر..... هى المرحلة التى يكتمل عندها تكوين جميع أعضاء جسد الإنسان فى الجنين ويتم تصويره وتشكيله وإطلاق النفس والعقل للعمل فى الجسد ويدخل بعدها الجنين فى مراحل نمو فقط داخل الرحم وبعد خروجه للحياة أيضاً، ففى مرحلة النطفة والعلقة لم يكن الجنين رغم وجود حياة فيه شيئاً يذكر أما فى مرحلة المضغة وما بعدها وخاصة المرحلة التى يبدأ عندها تكوين اللحم والعظام والتصوير أى مرحلة تمام الخلق، فإن الجنين فى هذه المرحلة يعتبر إنساناً بمعنى الكلمة ويعتبر خلقاً تاماً مميزاً عن غيره من الكائنات وعن غيره من بنى جنسه.

٦- **﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم، ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً..... ﴾**، «الحج: ٥».

٧- **﴿ هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً.. ﴾**، «غافر: ٦٧».

٨- **﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. من نطفة إذا تمنى ﴾**، «النجم: ٤٥-٤٦».

٩- **﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾**، «الإنسان: ٢».

١٠- **﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى، ألم يك نطفة من منى يُمنى. ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾**، «القيامة: ٣٦-٣٩».

رابعاً: خلق عيسى من روح نفخت فى بويضة من بويضات مريم تحمل نصف الأوامر الإلهية:

الخالق سبحانه وتعالى قادر على كل شىء وقدراته غير محدودة فها هو ذا يضرب لنا مثلاً آخر على قدرته بأن يخلق بشراً من امرأة بدون رجل «بدون حيوان منوى» وبطريقة مختلفة عن طريقة خلق آدم وحواء وسائر البشر.

لقد خلق الله عيسى من مريم بطريقة أخرى معجزة، فكيف خلق الله عيسى من مريم؟

للإجابة على هذا التساؤل تعالوا لنتعرف على الآيات والأحاديث الواردة فى هذا الشأن.

قال تعالى: ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم.... قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** ﴾، «آل عمران: ٤٥-٤٧».

﴿ **ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا.....** ﴾، «التحريم: ١٢».

﴿ **فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً. قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً** ﴾، «مريم: ١٧-١٩».

﴿ **إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾، «النساء: ١٧١».

﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾، «آل عمران: ٥٩».

هذه الآيات السابقة تقرر أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام خلقه الله بكلمة منه ألقاها فى فرج مريم من خلال ملك حمل هذه الكلمة ونفخها فى فرجها، واعتبر الخالق نفخة هذا الملك الذى حمل الأمر الإلهى «الكلمة الخاصة بخلق عيسى» وكأنها نفخة مباشرة منه سبحانه وتعالى فى فرجها لذا ذكر فى آية سورة التحريم أن النفخة فى فرج مريم كانت مباشرة من الله «فنفخنا فيه من روحنا» وفى آية سورة مريم أوضح الخالق أن كلمته أو أمره حملها ملك سماه الخالق روحًا منه لأنه كما سبق وأن شرحنا فى الفصل الثانى كان يحمل أمراً إلهيًا بالخلق وحامل الأمر الإلهى بالخلق يطلق عليه روح أيضاً. وتمثل هذا الملك لمريم فى صورة بشر، وطبقاً لما ورد بالأحاديث النبوية فقد ذكر ببعضها أن الملك لم ينفخ فى فرجها ولكن نفخ فى كمها أو صدرها ونزلت النفخة إلى فرجها، وفى أحاديث أخرى ذكر أن الملك نفخ فى فرجها مباشرة، وأيا كان الأمر فالمهم أن النفخة وصلت لفرجها ليتم من خلالها خلق عيسى وأغلب الروايات أكدت أن هذا الملك كان جبريل عليه السلام، والأخرى ذكرت ملكًا آخر.

إذن عيسى خلق بكلمة من الله «أمر إلهى» وروح منه، وهو الملك الذى أرسل إليها لايجوز القول بأن «روح منه» تعنى أمراً آخر بخلاف الكلمة أى أنه خلق بكلمة وروح مثل [illegible]ـرح التى نفخها الله فى آدم، لأن كلمة الله ذاتها أمر وأوامره الخاصة بالخلق سبحانه وتعالى [illegible]ح، فلو قلنا أن الكلمة روح «وروح منه» روح فمعنى ذلك أنه خُلق من روحين وهذا كلام

لايستقيم ولايعقل، فالصحيح أنه خلق بكلمة هى روح «أمر إلهى» وملك حمل هذا الأمر من الله مباشرة فهو روح من الله أيضاً، لأنه حامل لأمر إلهى مباشر خاص بخلق مخلوق على ما أوضحنا بالفصل الثانى عن الأشياء التى أطلق عليها الله لفظ الروح.

والسؤال الآن: هل خلق عيسى من روح «أمر أو كلمة» فقط، أم من روح «كلمة» وبويضة من بويضات مريم؟

عندما خلق الله آدم عليه السلام خلقه من صلصال من حمإٍ مسنون وروح أى من مادة وروح، والله قادر على أن يخلق من الروح «الأمر الإلهى» فقط أى شىء مادى وأى مخلوق.

لكن ما يهمنا فى إثارة هذا السؤال هو: هل تم أخذ شىء من مريم «بويضة أو خلية حية» ليتم تخليق عيسى منها بمقتضى الأمر المسجل على الروح، أم أن عيسى خلق بمقتضى الروح فقط ولم يأخذ من جسد مريم أى شىء، وبالتالى لم تكن مريم بالنسبة له سوى حاضنة؟

والإجابة على هذا التساؤل فى منتهى الأهمية لأننا لو قلنا إن عيسى لم يخلق من بويضة أو حتى خلية حية من خلايا جسد مريم فسيعتبر عيسى خلقًا جديداً مختلفًا عن خلق آدم، وليس فيه أى شىء من آدم وبالتالى لايجوز أن ينسب إليه، ولايعتبر عيسى فى هذه الحالة من نسل آدم، كما لا يجوز أن ينسب لمريم أيضاً لأنه لم يدخل فى تكوينه الجسدى أى شىء منها، وهى لم تكن أكثر من حاضنة له تحفظه مدة حمله داخل رحمها وتمده بالغذاء اللازم له، وإمدادها له بالغذاء فقط أثناء الحمل أو بالرضاعة بعد الوضع غير كاف لنسبه إليها أو لكى نعتبره من نسل آدم.

فلكى نعتبره من نسل آدم وبالتالى ننسبه إلى مريم أيضاً لابد أن تكون عملية خلقه قد تمت من خلال بويضة من بويضات مريم أو خلية حية من خلايا جسدها «أو فرجها» لأن هذه البويضات (وكذلك الحيوانات المنوية فى الرجل) وخلايا أجسادنا أصلها جميعاً خلايا من خلايا آدم.

وذكر الخالق فرج مريم كموضع لنفخ الروح «الكلمة الإلهية» الخاصة بعيسى فيه يؤكد أن هذه الكلمة أو الروح نفخت فى بويضة من بويضات مريم وليس فى خلية حية من خلايا جسدها، لأن خلقه من خلية حية سيعتبر مشابهًا لعملية خلق حواء من آدم، ولن يحتاج إلى أكثر من عملية تعديل چينى لهذه الخلية من الخالق سبحانه وتعالى مع تشغيل الچينات المعطلة فى هذه الخلية لو كانت خلية متخصصة، وسيقتصر التعديل الچينى على تعديل كروموسومى الجنس الأنثوى xx، بالإبقاء على أحدهما x وتعديل الآخر «تعديل ترتيب الأحماض الأمينية به» من x إلى y، بطريقة عكسية للطريقة التى تم بها خلق حواء، وهى طريقة مازال علمنا حتى الآن عاجزاً عن تطبيقها عملياً ومازالت الأبحاث جارية فى هذا

المجال، ولو افترضنا أن الله خلق عيسى من خلية جسدية وليس بويضة من مريم فلن يعتبر عيسى فى هذه الحالة من الناحية الشرعية ابنها ولكنه سيعتبر توأمًا لها أى أخ لها ويجب أن ينسب شرعًا فى هذه الحالة إلى أمها وأبيها وليس إليها، لذا فليس هناك سوى احتمال واحد هو أن الله خلق عيسى من بويضة من بويضات مريم لتصبح هى أمه ويصبح من نسل آدم فى نفس الوقت. وقد ورد فى أقوال التابعين والمفسرين ما يشير ويؤكد أن الروح التى تم نفخها فى مريم دخلت على بويضة من بويضاتها فعملت فيها عمل الحيوان المنوى.

فقد قال «ابن قيم الجوزية» فى كتابه «الروح» فصل «بيان إضافة الصفات إلى الله تعالى» ص٢٠٩ طبعة دار زاهد القدسى، مايلى:

«.... وأما هذا الروح المرسل إلى مريم فهو روح الله الذى اصطفاه من الأرواح لنفسه، فكان لمريم بمنزلة الأب لسائر النوع، فإن نفخته لما دخلت فى فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للأنثى من غير أن يكون هناك وطء....».

وقوله بأن نفخة الملك لما دخلت فرجها كانت بمنزلة لقاح الذكر للأنثى من غيروطء، يعنى أن هذه النفخة عملت عمل الحيوان المنوى وأنها دخلت على بويضة من بويضات مريم فلقحتها مثلما يفعل الحيوان المنوى فيها.

ولزيادة الأمر إيضاحاً نقول إن كلمة الله «الروح التى خلق منها عيسى» كانت عبارة عن أمر إلهى متضمن أو مسجل عليه أو حامل للنصف الآخر من الأوامر الإلهية المسجلة على الچينات الموجودة داخل البويضة، أى أنه أمر إلهى يحمل نسخة مماثلة للأوامر الإلهية المسجلة على الچينات الموجودة داخل نواة الحيوان المنوى الذكرى (y) والذى يكون موجوداً بالخلايا الجنسية الذكرية للرجال من البشر.

وقد دخل هذا الأمر على الأوامر الموجودة بالبويضة ليكملها «يلقحها مثل الحيوان المنوى» وليتمم عدد الكروموسومات الواجب توافرها فى نواة الخلية البشرية الـ ٤٦ ولتصبح نواة البويضة الحاملة لـ ٢٣ كروموسوماً نواة بويضة ملقحة ذات ٤٦ كروموسوماً، وتصبح بالتالى نطفة أمشاج أو خلية جنينية أولى صالحة للانقسام والتكاثر، ولتبدأ فى العمل لتكوين عيسى داخل رحم مريم، وسبحان الخلاق العظيم الذى يخلق ما يشاء بكن فيكون.

الاحتمال الثانى الذى يمكن أن نتخيله هو أن تكون الكلمة التى ألقاها الله إلى مريم كانت عبارة عن أمر لبويضة من بويضاتها بالتحول من خلية جنسية أنثوية «خلية محتوية على ٢٣ كروموسوماً منهم كروموسوم الجنس الأنثوى x» إلى خلية جنينية ذكرية نشطة خلية تحتوى نواتها على ٤٦ كروموسوماً بها كروموسومى الجنس yx وجميع چيناتها عاملة ير معطل فيها أى جزء، أى خلية غير متخصصة.

فتلقت البويضة الأمر وقامت من خلال حمض الـ D.NA الموجود بنواتها والذى هو عبارة عن نصف المادة الوراثية «٢٣ كروموسوماً» بتصنيع الـ ٢٣ كروموسوماً المكملين لها والمشابهين تماماً لكروموسومات الحيوان المنوى وبحيث يكون ترتيب الأحماض الأمينية الموجود بچيناتهم بنفس ترتيب الأحماض الأمينية الموجودة بچينات كروموسومات الحيوان المنوى لتصبح الأوامر المسجلة عليهم مشابهة تماماً للأوامر المسجلة على چينات كروموسومات الحيوانات المنوية خاصة الذكرية منها والتى تحمل كروموسوم الجنس y، وبهذا أصبح عدد الكروموسومات بنواة البويضة ٤٦ كروموسوماً منها كروموسومى الجنس yx، وبذلك أصبحت هذه البويضة وكأنها عبارة عن بويضة ملقحة أو نطفة أمشاج، ومنها تم تخليق عيسى داخل رحم مريم.

وليس هناك ما يمنع أن يكون الملك الذى أرسله الله لمريم هو الذى قام بعملية تحويل بويضة مريم إلى نطفة أمشاج ذكرية.

ومثل هذه العمليات تتم بالنسبة للخالق بمجرد كلمة يتم من خلالها تغيير العمليات الكيميائية داخل البويضة أو الخلية فينتج خلق جديد.

أما بالنسبة للبشر فإن العملية استغرقت مئات السنين وتكلفت ملايين الجنيهات واحتاجت لأجهزة فى منتهى الدقة والتعقيد لفهم بعض العمليات الكيميائية التى تحدث داخل نواة الخلية فقط، ومازالت الأبحاث التى تتكلف المليارات جارية للوصول إلى التقنية التى يمكن من خلالها تغيير العمليات الكيميائية التى تحدث داخل الخلية لتغيير ترتيب الأحماض الأمينية «الأوامر» داخل الچينات أو لفك الشفرة التى تعمل بها هذه الجينات أو لتحويل الخلية من خلية غير متخصصة إلى خلية متخصصة أو العكس.. هذا بالإضافة إلى أن العلماء لم يتمكنوا بعد من معرفة وظائف كل الچينات الموجودة على الكروموسومات الـ ٤٦، وهناك مشروع ضخم عملاق تشترك فيه مجموعة من الدول لعمل خريطة للچينات يطلق عليه اسم «مشروع الچينوم البشرى» ويحاول العلماء من خلال هذا المشروع رسم خريطة لكل الچينات داخل كل خلية من خلايا الجسم البشرى وتحديد وظائف هذه الجينات وطريقة عملها، وسيتكلف هذا المشروع عدة مليارات من الدولارات.

خامساً: الخالق مسخ أهل السبت قردة بأمر إلهى غير جيناتهم البشرية لچينات قردة:

قال تعالى: ﴿ **واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون. وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم**

ولعلهم يتقون. فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون. فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾، «الأعراف: ١٦٣-١٦٦».

وقال تعالى: ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منك فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين. فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين** ﴾، «سورة البقرة: ٦٥-٦٦».

هذه الآيات تخبرنا بقصة أصحاب السبت الذين مسخهم الله قردة، وهم على ماذكر المفسرون كانوا من اليهود، وكان يوم السبت محرماً عليهم فى شريعتهم ومحرم عليهم الاصطياد فيه، أو القيام بأعمال التجارة والصنائع والمكاسب، ليتفرغوا للعبادة فى ذلك اليوم، وكانت مدينتهم تطل على البحر ومصدر دخلهم قائم على صيد الحيتان، وكما هى عادة اليهود فهم دائما يحبون المال والدنيا أكثر من العبادة والآخرة، وقد أراد الله أن يثبت لهم ذلك حتى يكون جزاؤهم فى الآخرة من جنس عملهم، فامتحنهم واختبرهم، أو بمعنى أدق كشف لهم عن نواياهم الخبيثة بأن جعل الحيتان التى تقترب من شواطئهم تكثر يوم السبت أكثر من بقية أيام الأسبوع، ولأنهم كانوا فاسقين طوال الأسبوع ومتظاهرين بالالتزام بالعبادة يوم السبت، فإنهم عندما لاحظوا كثرة الحيتان يوم السبت شرعوا فى اصطيادها فحذرهم طائفة منهم من الصالحين بأنهم لو فعلوا ذلك فسينزل الله عليهم عذاباً شديداً، فاحتالوا على اصطيادها يوم السبت بأن نصبوا الحبال والشباك والصوص فى البحر، وحفروا معها حفراً يجرى فيها الماء إلى مصانع أعدوها لذلك، فإذا دخلتها الأسماك لا تستطيع أن تخرج منها، وكانوا يفعلون ذلك يوم الجمعة، وتدخل الحيتان فى هذه الشباك يوم السبت ولاتستطيع الفرار، فيقومون باصطيادها وإخراجها من الشباك يوم الأحد، وكانت هذه حيلة منهم لمخالفة أوامر الله ونواهيه وعصيانه، مع التظاهر بالالتزام بالعبادة والشريعة، وما فعلوه ليس إلا عصياناً وفسقاً وتمرداً، فغضب الله عليهم ولعنهم ومسخ الفاسقين من أهل هذه القرية قردة خاسئين.

وقال ابن عباس وغيره أنهم لم يعيشوا طويلاً بعد مسخهم ولم يكن لهم نسل، وهى معلومة فى غاية الأهمية لأن كل المسخ والمستنسخ يكون عقيماً لاينجب أو يتكاثر.

وما يهمنا فى قصة أصحاب السبت هو معرفة الطريقة أو الكيفية التى تم مسخهم بها إلى قردة، فمثل هذه العملية لو حاول العلماء الآن القيام بها على شخص بالغ كامل النضج، فستكون عملية فى منتهى الصعوبة، بل ستكون عملية شبه مستحيلة.

فلو حاول العلماء تغيير نطفة أمشاج «الخلية الجنينية الأولى» لجنين بشرى من خلال جراء تعديل فى ترتيب الأحماض الأمينية لجيناته لتصبح مماثلة لترتيب الأحماض الأمينية

فى چينات القردة، فهذا قد يكون أمراً سهلاً بعد عشرات السنين، لأن كل الخلايا التى ستأتى بعد ذلك نتيجة انقسام وتكاثر هذه الخلية، ستكون چيناتها چينات قردة، وبهذا سيخرج هذا الجنين ممسوخاً وكأنه قرد.

أما مسخ رجل بالغ ناضج من إنسان إلى قرد، فهذا أمر آخر. إنها عملية تقتضى تغيير چينات جميع خلايا جسده التى يصل عددها إلى حوالى ٣٠ تريليون خلية، فهل سيقوم العلماء بتعديل ٣٠ تريليون خلية، كل خلية منهم متخصصة فى وظيفة معينة ويجب توظيفها فى وظيفة أخرى تتناسب مع وظائف الخلية المشابهة لها فى القردة؟ بالقطع هو أمر شبه مستحيل.

أما بالنسبة للخالق سبحانه وتعالى فالمسألة فى منتهى السهولة، فقد مسخهم الله إلى قردة بأمر إلهى صدر منه للقيادة المركزية المتحكمة فى جميع خلايا الجسد والتى تنسق العمل فيما بينها بتحويل هذا الإنسان من إنسان إلى قرد، فتلقت هذه القيادة «أو العقل المركزى اللا إرادى» الأمر الإلهى ثم أصدرت لجميع خلايا الجسد أمراً بتعديل ترتيب الأحماض الأمينية للچينات لتصبح مشابهة ومماثلة لتراتيب الأحماض الأمينية لچينات القردة كل حسب موضعه ووظيفته، فقامت القيادات الموجودة فى نوى كل خلية بتنفيذ الأمر، وتعديل ترتيب الأحماض الأمينية لحمض الـ D.N.A داخلها فتحولت الچينات البشرية إلى چينات قردة، وبالتالى تحولت الأعضاء إلى أعضاء قردة، فأصبح القلب البشرى قلب قرد، والكبد البشرى كبد قرد، وتحول الشعر إلى شعر قرد، واليدان إلى يدى قرد والعينان إلى عينى قرد، والأنف إلى أنف قرد.. وهكذا.. وفى لحظات وثوان معدودة كانت الـ ٣٠ تريليون خلية بشرية قد تحولت إلى خلايا قردة وتحول معها الشخص من إنسان فى شكله وحجمه وملامحه وتركيبه الجسدى إلى قرد وسبحان مغير الأحوال.

وستسير العملية كلها وفق نظام دقيق ومبرمج ومنظم ومحكم لأن الجسد بكل أعضائه وخلاياه يسير على نظام مبرمج مثل أنظمة الكمبيوتر، ومثلما يقوم الكمبيوتر بعمل الملايين من العمليات الداخلية ويخرج لنا النتيجة فى ثوان، فالقيادة المركزية للجسد والقيادات التابعة لها ستقوم بنفس العمل بناء على أمر خالقها فى ثوان أيضاً، مع الفرق بين صنع الخالق وصنع المخلوق، فالكمبيوتر من صنع المخلوق، فما بالكم بالكمبيوتر الموجود داخلنا والذى صنعه الخالق.

وهنا أحب أن أنوه إلى أن الأمر الإلهى هنا لايعد روحًا جديدة لأن الإنسان الممسوخ كان به حياة ولن يهبه هذا الأمر حياة، بل سيقتصر الأمر فقط على تغيير نوع ووظائف الحياة الموجودة فيه من حياة ووظيفة إنسان إلى حياة ووظيفة قرد، ولهذا لايعتبر هذا الأمر روحًا، أما

لو كان هذا الأمر صادراً لجماد مثلاً ليتحول إلى إنسان فهذا الأمر فى هذه الحالة سيعد روحًا، هذا بالإضافة إلى أن النفس الإنسانية للشخص الممسوخ إلى قرد لن تتغير أو تتبدل من نفس بشرية إلى نفس قردية، فلابد أن تبقى النفس كما هى حتى يتم محاسبة هذا الشخص فى الآخرة على أعماله فى الدنيا، وحتى تظل هذه النفس حاملة لأعماله التى فعلها فى الدنيا ليحاسب عليها فى الآخرة، وحتى تذوق هذه النفس وهى داخل جسد قرد الذل والهوان والعذاب النفسى والألم كلما تذكرت حالها عندما كانت فى جسد إنسانى وحالها التى هى عليه الآن وهى فى جسد قرد.

وقد ورد فى قصة أهل السبت ما يشير إلى أن عقل ونفس هؤلاء الممسوخين كانا مايزالان فى حالتهما البشرية بعد مسخهم.

فقد ذكر قتادة وعطاء الخراسانى وغيرهم ما مضمونه أن الذين مسخوا قبل مسخهم كانوا يبيتون وحدهم ويغلقون عليهم أبواباً لما كانوا يترقبون من هلاكهم، فأصبحوا ذات يوم وأبوابهم مغلقة لم يفتحوها. وارتفع النهار فأمر أهل البلد رجلاً أن يصعد إليهم وينظر حالهم فرآهم وقد مسخوا إلى قردة لها أذناب يتعاوون ويتعادون، ففتحوا عليهم الأبواب فعرفت القردة أقاربهم، ولم يتعرف عليهم أقرباؤهم، فجعلوا يلوذون بهم، ويقول لهم الصالحون من أهل القرية: ألم ننهكم عن صنيعكم: فتشير القردة برءوسها أن نعم.

وهذه الروايات تؤكد أن نفوسهم وعقولهم لم تتحول إلى نفوس وعقول قردة، وأن الأمر اقتصر على تعديل چيناتهم المسئولة عن تكوينهم الجسدى أو بمعنى أدق اقتصر الأمر على تعديل حاملات الأوامر الإلهية «الروح» المسئولة عن تخليق الجسد، أما حاملات الأوامر الإلهية المسئولة عن تكوين العقل والنفس فهذه لم تتغير.

الفصل الخامس

أحوال الروح والنفس فى المنام والممات والبعث

سبق وأن شرحنا أن النفس جزء من الروح وليست شيئاً منفصلاً عنها، كما أنها ليست هى الأساس والروح تابعة لها كما قال بعض المفسرين، بل الصحيح ما قاله الفريق الآخر من أن الروح هى الأساس والنفس جزء منها أو أثر من آثارها فى الجسد، والنفس أيضاً ليست شيئاً مختلفًا عن الروح لأنها جزء منها، وليست هى الروح كما حاول بعض المفسرين أن يؤكدوا ذلك.

فالخلاصة أن النفس وأى شىء آخر فى الجسد سواء كان العقل أو الإرادة..إلخ، جزء من الروح وأثر من آثاره فى الجسد لأن الروح هى أساس كل شىء فى المخلوق.

وتعالوا لنتعرف على النفس والروح أكثر من خلال معرفة أحوالهما أثناء المنام وعند الموت والبعث، فالآيات والأحاديث النبوية الواردة فى هذا الشأن ستعطينا صورة أكثر وضوحاً فى هذا الشأن.

أولاً: الروح هى المسئولة عن تكوين وتشغيل الأجهزة العضوية «اللا إرادية» والنفسية «الإرادية» للإنسان:

بصفة عامة يمكن القول بأن الإنسان يتركب من جسد «أعضاء تتكون من خلايا» ونفس، والروح هى المسئولة عن تكوين وتحديد صفات ووظائف كل منهما وفقاً للأوامر الصادرة من الخالق سبحانه وتعالى، وبالتالى فالأجهزة المسئولة عن تشغيل أعضاء الجسد «الأجهزة اللا إرادية» والمسئولة عن تشغيل النواحى النفسية «الإرادية»، هما أثر من آثار الروح فى الجسد.

والفرق بين الأجهزة العضوية والأجهزة النفسية يكمن فى أن معظم الأجهزة النفسية تخضع لإرادة الإنسان، أما الأجهزة العضوية فهى غير خاضعة لإرادته.

فالأجهزة العضوية تعمل وفق نظام دقيق ومحكم ومنظم وضع أسسه وضوابطه الخالق سبحانه وتعالى، ويقوم بإدارة هذه الأجهزة والتنسيق فيما بينها عقل كمبيوترى جبار لايخضع لإرادة الإنسان وأهوائه، لذا يطلق الكثير من العلماء على هذا العقل المشغل لأجهزة الجسم اسم العقل اللا إرادى.

أما النفس أو الجهاز النفسى للإنسان فيتكون من مجموعة من الأجهزة أو الأدوات المعنوية غير المادية، أو غير المرئية فى الغالب، ويمكن تصنيف أهم هذه الأجهزة فى الآتى:

١- الإرادة.

٢- العقل الإرادى والذاكرة.

٣- جهاز السلوك الفطرى والمكتسب «الطباع».
٤- جهاز الشعور والوجدان والضمير.
٥- كتاب الأعمال.

والإرادة هى أهم ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى، وهى فى الغالب الأمانة التى حملها الإنسان ورفضت السماوات والأرض والجبال أن تحملها عندما عرض الله حملها عليهن، والله أعلم.

وتتمثل الإرادة فى: حرية الاختيار وبالتالى حرية العبادة، والاعتماد على الذات فى تدبير شئون المعيشة والرزق والحياة.

فعندما عرض الخالق على السماوات والأرض والجبال والإنسان أن يكونوا مسلوبى الإرادة، وعليهم أن ينفذوا كل ما يأمرهم به طوعاً أو كرهاً، وفى مقابل ذلك يتكفل سبحانه بتدبير شئونهم وحياتهم، ويسقط عنهم التكليف والحساب، أو يمنحهم إرادة وحرية واعتماد على الذات، فيكونوا أحراراً فى تصرفاتهم، وفى تنفيذ أوامره ونواهيه،وفى مقابل ذلك يتكلفوا هم بتدبير شئون رزقهم ومعيشتهم وحياتهم بالكيفية والطريقة التى تروق لهم ويقع عليهم الحساب والثواب أو العقاب إذا أحسنوا أو أساءوا استخدام هذه الإرادة.

عندما عرض الخالق سبحانه وتعالى هذا الأمر المتعلق بالإرادة على السماوات والأرض والجبال والإنسان، رفضت السماوات والأرض والجبال حمل هذه الإرادة «الأمانة» واختارت أن تكون مسلوبة الإرادة وعابدة ومطيعة لله ومنفذة لأوامره طوعاً أو كرهاً حتى لاتسىء استخدام هذه الإرادة أو تدفعها هذه الإرادة للغرور والظلم والبطش. .إلخ. وقبل الإنسان حمل هذه الإرادة التى تُعد سلاحًا ذا حدين، فكان بقبوله لها ظلوماً لنفسه، جاهلاً بعواقب وأضرار حمل هذه الأمانة، ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً. ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾، «الأحزاب: ٧٢-٧٣».

والإرادة ليست مجرد حرية العبادة أو حرية الاختيار التى منحها الخالق للإنسان، فهى تشمل أيضاً مجموعة من القدرات والصفات الجسدية والعقلية والتى وهبها الخالق للإنسان نتيجة حمله لهذه الأمانة، ليصبح فى استطاعته الاعتماد على ذاته وتدبير شئون حياته ورزقه والتصرف بحرية، والإرادة عبارة عن شىء معنوى أو غير محسوس داخل الإنسان ولكن آثارها ظاهرة واضحة فيه.

والعقل عبارة عن شىء معنوى أيضاً وغير محسوس، وكل المخلوقات بما فيها الجمادات لها

عقل، ولو لم تكن ذات عقل لما عرض عليها الخالق الأمانة ولما رفضت حملها بل يمكن القول بأنها أعقل من الإنسان بنص القرآن لرفضها حمل هذه الأمانة، فعقلها عقل فطرى مبرمج وفق النظام الدقيق المحكم الذى فطره الخالق عليه. ولكن عندما قبل الإنسان الأمانة جعل الله عقله ذا قدرات وذاكرة أكبر، فإذا أحسن الإنسان بإرادته استخدام هذا العقل يصبح أفضل مخلوقات الله، وإذا أساء استخدامه يصبح أقل شأناً من الحمار.

أما جهاز السلوك الفطرى فيضم مجموعة المثل العليا أو بمعنى آخر مجموعة الأوامر الإلهية التى تدفع الإنسان لفعل الخير وتهديه إلى الحق والصواب والطريق المستقيم إذا تمسك بها وسار على نهجها، ولم تدفعه الظروف الاجتماعية المحيطة به إلى فعل ما يخالفها، أو تغلبت عليه القوى الشريرة فيه فجعلته يتصرف تصرفات مخالفة لها.

فعلى سبيل المثال: إقرار الإنسان بالألوهية لله وحده وأنه خالق السماوات والأرض وكل ما فى الكون، والالتزام بعبادته، سلوك فطرى سيتصرفه الإنسان تلقائياً فيقوم بالاعتراف بألوهية الله وحده وعبادته إذا لم يهوده أو يمجسه أبواه أو يدفعه المجتمع الذى يعيش فيه إلى الكفر أو يدفعه جهله أو غروره أو شيطانه إلى هذا الكفر والإلحاد، فقد أوضح القرآن فى أكثر من مناسبة أن الكفر والشرك والضلال مسئولية الإنسان وحده أيا كانت الأسباب التى تدفعه لذلك «المجتمع - الأبوان - الشيطان - الجهل..إلخ» لأنه بمجرد بلوغه واكتمال نضجه يصبح لديه عقل قادر على التمييز بين الصالح والطالح والطيب والخبيث، وقادر على إدراك وجود الله والاعتراف بوحدانيته، خاصة مع وجود شىء داخلى به «جهاز سلوكه الفطرى» ينبهه إلى هذه الحقيقة ويطالبه بإقرارها، هذا بالإضافة إلى الرسل والأنبياء الذين يرسلهم الله لهداية البشر، ووجود كتب مقدسة منزلة من عند الله تبين له هذه الحقائق حتى ولو أصابها التحريف، فسيظل فيها ما يدلل على وحدانية الله.

والحب والعطف والإشفاق على الآخرين وفعل الخير.. إلخ، سلوك فطرى موجود داخل الإنسان، فمهما تغلبت قوى الشر على الإنسان سنجد بداخله شيئًا من الحب والعطف والخير، هذا بالإضافة إلى ما بداخل الإنسان من سلوك فطرى عدوانى أو شرير.

أما السلوك المكتسب، فهو ما يطبع داخل الإنسان من سلوكيات حميدة أو خبيثة «طيبة أو شريرة» أثناء حياته، ويكتسبها أو يتطبع بها نتيجة للظروف الاجتماعية والضغوط النفسية أو الخبرات التى يكتسبها أو العلم الذى يتلقاه..إلخ، هذا بعد أن يخمر ويغربل ويمحص كل هذه الأفكار والخبرات داخل عقله ويخلص منها إلى اتخاذ مواقف ومبادئ وعادات تشكل سلوكه المكتسب بعد ذلك.

ويشكل جهاز الشعور والوجدان والضمير جهاز الإحساس والمحاسبة داخل الإنسان.

ويقصد بكتاب الأعمال الكتاب الذى يسجل عليه ما فعله من خير أو شر أثناء حياته، والذى يقوم بالتسجيل عليه الملكان الموكلان به والمسئولان عن تسجيل حسناته وسيئاته، وهذا الكتاب هو الكتاب الذى يخرجه الله لنا يوم القيامة وينشره فنراه وقد أحصى كل صغيرة وكبيرة فعلناها، ويكون موجوداً منه نسخة أخرى فى اللوح المحفوظ «وغالباً ما سيكون هذا الكتاب مثل شريط الفيديو ومسجلاً عليه كل أعمالنا بالصوت والصورة» وقد وردت الإشارة إلى قيام الملكين بتسجيل حسناتنا وسيئاتنا، وإلى وجود كتاب فى داخلنا يتم تسجيل هذه الأعمال عليه فى قوله تعالى: ﴿ **وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون** ﴾، «الانفطار: ١٠».

﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد. إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾، «ق:١٦-١٨».

﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً** ﴾، «سورة الإسراء: ١٣-١٤».

وقد قال المفسرون فى معنى قوله تعالى ﴿ **طائره فى عنقه** ﴾ أى عمله وما قدر عليه من رزق وشقاء أو سعادة، وقالوا فى معنى قوله تعالى: ﴿ **ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً** ﴾، أى نخرج له كتاب طائره الذى فى عنقه «أى كتاب أعماله المودع بداخله والذى تم تسجيل مافعله من خير أو شر عليه بالصوت والصورة».

وقالوا إن ذكر العنق ليس مقصوداً به وجود الكتاب فى عنقه، ولكن ذكر العنق لأنه عضو من الأعضاء لا نظير له فى الجسد، ومن ألزم بشيء فيه فلا محيد له عنه، فالعنق رمز للمكان الذى يسلسل ويقيد منه الإنسان فلا يستطيع الفرار، وكذلك هذا الكتاب لايستطيع الإنسان أن يفر أو يتنكر مما سجل به.

وكما سبق وأن شرحنا فالجسد يديره ويشغله وينسق بين أعضائه عقل يسمى العقل اللا إرادى لأنه لايخضع لإرادة الإنسان وأهوائه، فكذلك النفس أو الجهاز النفسى بكل مشتملاته يديره ويشغله عقل آخر هو العقل الإرادى.

ويخطئ من يعتقد أن العقل اللا إرادى يعمل بمنأى ومعزل تام عن العقل الإرادى، فعلى الرغم من استقلال كل منهما بإدارة أجهزته، إلا أنه يوجد تعاون وتنسيق وترابط وعلاقات متبادلة بين العقل اللا إرادى والعقل الإرادى، وكثير من الأجهزة النفسية تعتمد فى عملها على الأجهزة العضوية، فمثلاً العقل الإرادى للإنسان يعتمد على جزء عضوى مهم جداً فى الجسد هو المخ، فالعقل لا يمكنه العمل والقيام بوظائفه بدون وجود المخ وهو جزء عضوى، لكن تشغيل المخ وإدراة خلاياه، ومده بالغذاء والدم.. إلخ من اختصاص العقل اللا إرادى

وليست من اختصاص العقل الإرادى، فالعقل الإرادى يختص فقط بالتفكير وتدبير شئون الإنسان واتخاذ قرارات تحدد مواقف وتصرفات وأعمال وسلوك الشخص، كما أن العقل الإرادى لا يعمل بمفرده أيضاً دون تنسيق وتكامل وتفاهم وتبادل للآراء مع أجهزة النفس الأخرى، كضمير الإنسان، وميوله ورغباته وأهوائه الفطرية والمكتسبة وإرادته، فأى تصرف أو عمل يصدر من الإنسان، ما هو إلا خلاصة ماتريده أجهزته النفسية من ميول ورغبات وأهواء يرجح عقله إحداها أو يوفق فيما بينها لإرضائها جيمعاً.

لذلك كان الخالق سبحانه وتعالى دائماً يلوم عقل الإنسان فى كل تصرف يتصرفه لأنه القاضى والرئيس الأعلى لكل الأجهزة النفسية. قال تعالى فى فضل العقل وفيمن لايعقلون وعاقبتهم:

﴿ **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير** ﴾، «الملك: ١٠».

﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾، «العنكبوت: ٤٣».

﴿ **إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون** ﴾، «الأنفال: ٢٢».

﴿ **ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون** ﴾، «البقرة: ١٧١».

﴿ **أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** ﴾، «الحج: ٤٦».

وقد منع الخالق سبحانه وتعالى الإنسان بعقله الإرادى من التحكم فى إدارة جسده وتشغيل أعضاءه لأسباب كثيرة نذكر منها:

١- رحمة بالإنسان، فالإنسان ضعيف وجاهل وقدراته لا تمكنه من إدراة شئون حياته، وفى نفس الوقت إدراة شئون جسده «أعضائه وخلاياه» فشئون الجسد تحتاج فى إدارتها والتنسيق فيما بينها كما رأينا إلى عقل جبار وعمل متواصل بدون توقف أوراحة، وعلم وتقدير وتدبير يفوق قدرات البشر، والإنسان يحتاج إلى الراحة أو النوم، فلو نام وكان هو المسئول عن إدراة شئون جسده فمن الذى سيدير جسده أثناء نومه؟ وماذا لو أخطأ فى تدبير شئون عضو من أعضاء جسده؟ إن هذا كفيل بأن يقضى على حياته فى الحال أو يسبب له كوارث لا طاقة له بها.

٢- حرم الخالق الإنسان من التحكم فى جسده بإرادته، حتى لايغير ويبدل من طبيعته «فطرته الجسدية» حسب أهوائه وميوله، فلو كان هذا الأمر بيده، فليس هناك ما يمنعه من تغيير طبيعته ليصبح فى قوة الأسد مثلاً أو فى حجم الفيل، أو ذا جناحين ليكون له قدرة على الطيران مثل الطيور. .إلخ، ولو حدث ذلك فسيتحول الإنسان من إنسان إلى كائن مسخ

بصفات وأحجام وأشكال لا تتناسب مع الفطرة التى فطره الله عليها والوظيفة التى خلق من أجلها.

٣- حرم الخالق الإنسان من التحكم فى شئون جسده بإرادته حتى يكون فى حاجة إلى الله بصفة مستمرة، وحتى لا يطغى أكثر من اللازم فى الأرض وحتى يشعر بضعفه أمام الله، فلو أصاب الإنسان مرض أو مكروه فى جسده وكان فى استطاعته شفاء نفسه من خلال إصلاح ما يصيب أعضاءه من تلف أو ضرر أو مرض، فسيتصرف الإنسان وكأنه إله فيفجر ويطغى طغيانًا يفوق الوصف، ولن يصبح فى حاجة إلى التضرع لخالقه، وبالتالى سيصبح عاصياً ومتمرداً على خالقه وسيرفض تنفيذ أوامره ونواهيه المنزلة على رسله، فإنه يفعل ذلك الآن، فماذا سيفعل لو أصبح فى استطاعته دفع الضر عن نفسه؟.

بالقطع سيطغى ويتجبر ويفجر فى الأرض، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً. فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه. كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾، «يونس:١٢».

﴿ **ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون** ﴾، «سورة المؤمنون:٧٥».

﴿ **وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله..** ﴾، «سورة الزمر:٨».

ولا نقصد مما سبق أن الضر الذى يمكن أن يصيب الله به الإنسان يقتصر على ما يصيب جسده من أمراض وبلايا، فالله يمكن أن يصيب الإنسان بأضرار لا حصر لها ولا عدد تجعله دائماً فى تضرع إليه وخشية منه، ولكن مايصيب الإنسان فى جسده كثير، وهى إحدى الأضرار التى يسلطها الله عليه، ولو استطاع دفع هذه الأضرار عن نفسه فسيزداد طغيانه وفجوره عما هو عليه الآن.

وما يهمنا هنا فى هذه الجزئية هو التأكيد على أن جميع أجهزة الإنسان سواء الجسدية منها أو النفسية تتكون ويتحكم فيها من البداية إلى النهاية چينات معينة.

فقد ثبت للعلماء أن سلوك الإنسان تتحكم فيه چينات، والإحساس والشعور كما هو معروف يتم من خلال الجهاز العصبى وهو جهاز عضوى يتكون من ملايين الخلايا المنتشرة فى كل أعضاء الجسد، وخلايا الجهاز العصبى تتحكم فيها چينات، والعقل الإرادى يقوم بوظائفه وأعماله من خلال المخ المكون من خلايا تتحكم فيها چينات أيضاً، والذاكرة تسجل بداخل المخ من خلال چينات أيضاً وكذلك الخبرات المكتسبة.

وهناك چينات اكتشفها العلماء ولم يستطيعوا تحديد وظائفها حتى الآن، وهى فى الغالب الچينات المسئولة عن تحديد الغرائز الفطرية، والچينات التى يسجل عليها أعمال ا

خير أو شر لتمثل فى النهاية طائره أو كتاب أعماله، فهذا الكتاب «الچينات المسجل عليها الأعمال» ستكون بعض چينات خلايا المخ أو بعض چينات خلايا الجهاز العصبى، خاصة أنه ثبت للعلماء أن خلايا الجهاز العصبى لا تجدد ولا تتغير أثناء حياة الإنسان، وما يموت منها لايتم تعويضه، ويرتبط عمرها بعمر الإنسان، مما يؤكد أنها تعتبر وكأنها سجل محفوظ يجب الحفاظ عليه حتى يحين موعد وفاة الإنسان.

مما سبق نجد أنه رغم استقلال النفس بعقلها الإرادى، واستقلال الجسد بعقله غير الخاضع لإرادة النفس «العقل اللا إرادى»، إلا أنه يوجد تعاون وتكامل وتفاهم وتنسيق وعلاقات متبادلة بين النفس والجسد، وكل منهم يؤثر ويتأثر بالآخر، والاثنان ما هما إلا أثر من آثار الروح فى الجسد.

والسؤال الآن: إذا كانت النفس وحياة الجسد أثر من آثار الروح فى الإنسان فما هى الروح التى يتم توفيها أثناء النوم والروح التى يتم توفيها عند الموت؟.

ثانياً: النفس هى التى تفارق الجسد أثناء النوم:

قال تعالى: ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾، «الزمر: ٤٢».

ومعنى الآية السابقة أن الله يقبض أو يمسك أنفس عباده أثناء النوم وعند الوفاة، فيرد هذه النفس مرة أخرى إلى جسد الإنسان النائم الذى لم يحن موعد وفاته بعد، ولايرد نفس الإنسان الذى قضى عليه بالموت، سواء كان صعود نفسه هذه إلى الله أثناء نومه أويقظته.

وخلاصة الآية: أن النفس تصعد إلى خالقها أثناء النوم وعند الوفاة، والقرآن جاء صريحاً وواضحاً فى هذه النقطة، فأكد أن ما يتم توفيه أثناء النوم وعند الوفاة هى النفس وليست الروح، والنفس كما شرحنا عبارة عن مجموعة من الأجهزة أو الأدوات أو الوظائف المعنوية غير المحسوسة أو الملموسة داخل الجسد، وهى أثر من آثار الروح فى الجسد، التى هى الأمر الإلهى الخاص بخلق أول مخلوق من النوع «كآدم مثلاً بالنسبة للإنسان كنوع من أنواع المخلوقات التى خلقها الله».

وفى الأحاديث النبوية التى رواها رواة الأحاديث من تابعي التابعين عن التابعين عن الصحابة عن النبى ﷺ، فقد أطلق بعضها على الشيء الذى يفارق الجسد أثناء النوم وعند الموت، مرة لفظ النفس ومرة لفظ الروح، ولعل هذا الخلط أو اللبس قد وقع من الرواة، والنبى ﷺ كان غالباً يطلق لفظ النفس على ما يفارق الجسد أثناء النوم وعند الوفاة، مثلما ذكر بالقرآن الكريم. فلا يوجد فى القرآن آية واحدة تقول إن الروح تفارق الجسد عند

الممات، ولكن كل الآيات تطلق على ما يفارق الجسد أثناء النوم أو عند الوفاة لفظ النفس فقط.

والنوم هو الموتة الصغرى، أو بمعنى آخر هو نوع من أنواع الموت أو حالة من حالاته أو هو كما سماه النبى ﷺ أخو الموت.

فقد روى مرفوعاً من حديث جابر بن عبد الله: قيل يا رسول الله: أينام أهل الجنة؟ قال: «لا، النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها». «أخرجه الدراقطنى» [1].

وعن النبى ﷺ قال: كما تنامون فكذلك تموتون، وكما توقظون فكذلك تبعثون» [2].

وقال ابن زيد: النوم وفاة والموت وفاة.

وروى أن النبى ﷺ كان إذا استيقظ من نومه يقول: «الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور».

ورغم مفارقة النفس للجسد أثناء النوم، فإنها تظل على صلة ورباط به، وهذا هو أحد الفروق بين الموت والنوم.

فقد ذكر عن ابن عباس أنه قال: فى ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس التى بها العقل والتمييز، والروح التى بها النفَس والتحريك، فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه» [3].

ويفهم من كلام ابن عباس أن الذى يتم قبضه أثناء النوم النفس وليست الروح وأن النفس هى المسئولة عن العقل والتمييز، والروح هى المسئولة عن الحركة والتنفس «الوظائف العضوية»، كما سبق وأن شرحناه.

والنفس لا تفارق الجسد أثناء النوم، إلا بعد أن يستغرق الإنسان فى النوم، فالنوم مستويات وحالات كثيرة يمكن تلخيصها فى الآتى:

عرف أبو منصور الثعالبى فى كتابه «فقه اللغة وسر العربية» أحوال النوم أو مستوياته بأنه يبدأ بالنعاس وهو أول النوم، ثم الوسن وهو ثقل النعاس، ثم الترنيق وهو مخالطة النعاس العين، ثم الكرى والغمض وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان، ثم التغفيق وهو النوم مع القدرة على سماع كلام من حولك، ثم الإغفاء وهو النوم الخفيف، ثم التهويم والغرار والتهجاع وهو النوم القليل، ثم الرقاد وهو النوم الطويل، ثم الهجود والهجوع والهبوع وهو النوم الغرق، ثم التسبيخ وهو أشد النوم [4].

(١، ٢) راجع تفسير «الجامع لأحكام القرآن الكريم» «القرطبى - سورة الزمر: ٤٢».

(٣) المصدر السابق.

(٤) نقلاً عن «أسرار الموت والحياة» د. السيد سلامة السقا، ص ١٢٥.

والنوم فى القاموس المحيط هو : النعاس أو الرقاد، والسبات هو النوم أو خفيفه أو ابتداؤه فى الرأس حتى يبلغ القلب.

والنوم فى المعجم الوسيط هو : فترة راحة للبدن والعقل تغيب خلالها الإرادة والوعى جزئياً أو كلياً، وتتوقف فيها جزئياً الوظائف البدنية.

والنعاس هو : فتور فى الحواس وأول النوم، والسبات : الراحة والنوم الخفيف كنوم المريض والشيخ المسن، والرقود : النوم.

فعندما ينام الإنسان تصعد النفس «بالتحديد الإرادة والعقل الإرادى» أما الإحساس والشعور والوجدان وكتاب الأعمال والذاكرة وجهاز السلوك الفطرى والمكتسب، فهم وإن كانوا يعتبروا من ضمن الجهاز النفسى، إلا انهم يرتبطون ارتباطًا كبيراً بالجهاز العضوى الذى يظل مستيقظا وعاملا لا يتوقف ولا يقبض أو يتوفى أثناء المنام، لذلك فهذه الأدوات أو الأجهزة التى تعتبر حلقة وصل بين الجهاز النفسى والعضوى لا تفارق الجسد أو تتوفى أثناء النوم، ولعل هذه الأدوات النفسية العضوية «المشتركة» هى الرباط أو ما يشبه شعاع الشمس الذى أشار إليه ابن عباس وغيره من أنه يربط النفس عند مفارقتها للجسد أثناء النوم بالجسد الذى يظل حياً وعاملاً بالعقل اللا إرادى والحياة الموجودة فيه من أثر الروح.

ومعظم الأجهزة العضوية تهدأ وتسكن إلى حد ما أثناء النوم أيضاً، فعندما يستلقى الإنسان على سريره استعداداً للنوم ويغمض عينيه تقل حدة سمعه، وتقل درجة استقباله للمؤثرات العادية من صوت وضوء وتهدأ أعضاء النائم وأجهزته لترتخى العضلات، ويهدأ القلب ويبطء النبض، وينخفض مستوى ضغط الدم الشريانى، وتهدأ الدورة الدموية، ويهدأ التنفس وينتظم، وينخفض استهلاك الأعضاء والأنسجة للأكسچين والمواد الغذائية الأخرى، ويقل نشاط معظم الغدد، ويهدأ الجهاز العصبى، وتستمر حالة السكون هذه إلى أن يحين موعد الاستيقاظ فتنشط أجهزة الجسم مرة أخرى[1]، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً** ﴾، «غافر : ٦١».

﴿ **وجعلنا نومكم سباتاً . وجعلنا الليل لباساً . وجعلنا النهار معاشاً** ﴾، «النبأ : ٩-١١».

إذن النوم عبارة عن مفارقة النفس للجسد، مع استمرار حياة الجسد وعمله بالعقل اللا إرادى، أو بمعنى آخر استمرار العمليات الحيوية الكيميائية والفيزيائية للجسد ولكن بدرجة أقل من درجة نشاطها أثناء اليقظة.

وليس هناك مجال للشك فى أن الأجهزة العضوية تؤثر على الأجهزة النفسية والأجهزة النفسية تؤثر بدورها على الأجهزة العضوية، رغم وجود عقل مستقل لكل منهما، وقد أثبت

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢٤.

العلم ذلك، ففى أحيان كثيرة يشكو الإنسان من آلام فى جسده، وعندما يكشف عليه الأطباء يكتشفون أن آلامه ليست ناتجه عن أمراض عضوية، وإنما سبب آلامه التى أثرت على أعضائه وجعلته يتألم منها أمور ومشاكل نفسية وليست أسبابًا عضوية، كما أن حالات الاكتئاب والضيق النفسى والقلق والتوتر والعصبية التى يمر بها الإنسان إذا استحكمت منه واستمرت معه لفترات طويلة فإنها تؤثر على أعضاءه فتصيبه بأمراض عضوية: كارتفاع ضغط الدم، والقولون العصبى، وفى الكثير من الأحيان يصاب بالسكر، وزيادة نبضات القلب.. إلخ.

وعلى الجانب الآخر نجد أيضاً أن الأمراض العضوية تؤثر بالقطع على الحالة النفسية للمريض خاصة الأمراض المزمنة، فهى غالباً ما تؤدى إلى إصابته بالاكتئاب واليأس والتوتر العصبى، وضعف الإرادة والوهن.. إلخ. وإذا لم يتحل الإنسان بالصبر والإيمان وقوة الإرادة غالباً مايصاب بالكثير من الأمراض النفسية فى حالة إصابته بأمراض عضوية مزمنة، والحالة النفسية الجيدة تؤدى فى كثير من الأحيان إلى المساعدة على الشفاء من الأمراض العضوية.

فالجسد والنفس وحدة واحدة رغم استقلالهما فى إدارة شئونهما وكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر بطريقة ما، ليحدث الانسجام والترابط بين جميع أعضاء وأجهزة الجسد سواء العضوية أو النفسية منها، وصدق رسول الله ﷺ عندما شبه المؤمنين فى توادهم وتراحمهم بالجسد الذى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

وخلاصة القول إن ما يفارق الجسد أثناء النوم جزء من الجهاز النفسى وليس النفس كلها وهو الجزء الخاص بالعقل والإرادة فقط، ويظل مرتبطًا بالجسد رغم ذلك بوسائل متعددة.

ثالثاً: الموت عبارة عن مفارقة النفس للجسد مع توقف الأجهزة العضوية كاملة:

يظن الكثير من الناس أن الشىء الذى يفارق الجسد عند النوم والوفاة هو الروح، وقد سبق وأن أشرنا إلى أن القرآن الكريم أكد أن الشىء الذى يفارق الجسد أثناء النوم هو النفس وليس الروح، وكذلك جميع الآيات القرآنية التى تحدثت عن الموت وإنهاء حياة الإنسان، لم يذكر بها أن ما يتم قبضه عن طريق الملائكة هو الروح ولكن النفس، وقد أوضحنا أن هذا الخلط حدث من رواة الأحاديث النبوية فى الغالب، فكما سنعرض بعض قليل جزءاً من هذه الأحاديث سنجد أن رواتها كانوا يطلقون على ما يفارق الجسد عند الموت لفظ النفس وفى بعض الأحيان بل وفى نفس الرواية لفظ الروح، والصحيح طبقاً لما ورد بكل الآيات القرآنية الواردة فى هذا الشأن أن نقول النفس وليس الروح، خاصة بعد أن أوضحنا معنى الروح ومضمونها وكُنهها وآثارها فى الجسد.

ففيما يتعلق بالإنسان لم يطلق لفظ الروح فى القرآن إلا على الروح التى نفخها الله فى الصلصال من حمإ مسنون المشكل بصورة آدم لتحيله إلى آدم الإنسان بلحمه ودمه وأعضائه وخلاياه، وأجهزته النفسية. .إلخ. ورغم هذا فليس هناك حُرمة أو ما يمنع أن نطلق تجاوزاً وتماشياً مع الفكر العام الدارج والمستعمل لدى الناس بالخطأ لفظ الروح على مايفارق الجسد أثناء المنام وعند الوفاة، على اعتبار أن النفس ما هى إلا أثر من آثار الروح فى الجسد أو جزء من أجزائها يساعد في وهب الحياة والحركة والإرادة والعقل والشعور والوجدان للإنسان، وإن كان الأدق إذا أردنا إطلاق لفظ الروح على النفس ألا نقول الروح، ولكن نقول «الجزء النفسى من الروح» وأن نطلق على الجزء الآخر المشغل للجسد «الجزء العضوى من الروح».

وفيما يلى أمثلة لبعض الآيات الواردة فى شأن قبض النفس «وليس الروح» عند الوفاة والمنام، ولن نجد فى هذه الآيات أى استخدام للفظ الروح ولكن ذكر للنفس فقط.

قال تعالى:

١ - ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾، «الأنعام:٩٣».

فهذه الآية أكدت أن الإنسان وهو فى غمرات الموت تأتيه الملائكة ليخرجوا من جسده نفسه، ولم يذكر بالآية إخراج روحه.

٢ - ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون** ﴾، «العنكبوت:٥٧». وهذه الآية توضح أن النفس هى التى تذوق الموت.

٣ - ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾، «الزمر:٤٢».

وهذه آية صريحة واضحة تؤكد أن مايتم توفيه عند النوم والممات هو النفس وليست الروح، فالروح ماهى إلا الأمر الإلهى الذى وهب الحياة للجنس الإنسانى كله، والذى صدر لصلصال من حمإ مسنون فتحول بموجبه إلى آدم بلحمه ودمه ونفسه، ومن آدم خلق الله حواء، ومنهما خلق البشر جميعاً.

٤ - ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** ﴾، «الفجر:٢٧-٣٠».

والآية السابقة توضح أن الذى يرجع إلى الله «وبالقطع عند الوفاة» هو النفس.

٥ - ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً** ﴾، «آل عمران:١٤٥».

والنفس المذكورة فى هذه الآية هى الذات الإنسانية كما يتضح من سياق الآية، ويفهم منها أيضاً بقياسها على الآيات السابقة أنها ذلك الجزء من الروح الذى يتم قبضه عند الوفاة والمنام.

٦- ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾، «المنافقون:١١».
٧- ﴿ قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾، «آل عمران:١٦٨».
٨- ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾، «النساء:٢٩».
٩- ﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ﴾، «الإسراء:٣٣».

والآيات السابقة تؤكد أن القتل والموت يقع على النفس. وبالإضافة إلى إطلاق لفظ النفس على الذات الإنسانية كاملة «الإنسان بجسده ونفسه» لأن العقل والإرادة ضمن الجهاز النفسى الذى يعد أهم الأجهزة فى الإنسان، وأهم شىء يميز له عن غيره من نفس المخلوقات الأخرى ضعيفة أو معدومة الإرادة ومحدودة القدرات العقلية، والمطيعة بفطرتها وطبيعتها للخالق، بالإضافة إلى ذلك، فقد أوضح الخالق سبحانه وتعالى فى آيات أخرى بعض وظائف وصفات هذه النفس، فأكد أنها شىء ما بداخل الإنسان وهى التى تأمره بفعل الخير إذا كانت نفساً مطمئنة وتلومه وتأنبه على ما يفعل من شر إذا كانت نفساً لوامة، أو تأمره بالشر إذا كانت نفساً أمارة بالسوء، وهى أداة العقل والتميز والتكليف، وهى موضع الشهوة والشح والوساوس والهوى والجدال وتبرير الأخطاء وتزيين السيئات، ولهذا كله فهى التى يقع عليها الثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة، فهى التى تحس وتذوق النعيم أو العذاب «من خلال جهاز الشعور والوجدان المتصل بأجهزة الإحساس العصبية العضوية».

ونذكر من الآيات التى أوضحت أن النفس هى الآمرة بالخير «المطمئنة» أو اللوامة، أو الآمرة بالشر والسوء مايلى:

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾، «الفجر:٢٧-٣٠».

﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾، «القيامة:٢».

﴿ وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ﴾، «يوسف:٥٣».

﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾، «الشمس:٧-٨».

﴿ وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾، «النساء:٧٩».

﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ﴾، «المائدة:٣٠».

ومن الآيات الدالة على أن النفس موضع الهوى والشهوة والبخل والشح:

﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون ﴾، «المائدة:٧٠».

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى ﴾، «النازعات:٤٠-٤١».

﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس »، «النجم:٢٣».

﴿ ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴾، «فصلت:٣١».

﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾، «الحشر:٩».
﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾، «النساء:١٢٨».
أما الآيات الدالة على أن النفس هي موضع الوسوسة والسر والخفاء فنذكر منها :
﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾، «ق:١٧».
﴿ يخفون فى أنفسهم ما لايبدون لك ﴾، «آل عمران:١٥٤».
﴿ وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾، «البقرة:٢٨٤».
﴿ ربكم أعلم بما فى نفوسكم ﴾، «الإسراء:٢٥».
﴿ فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم... ﴾، «يوسف:٧٧».
﴿ .... فأوجس فى نفسه خيفه موسى... ﴾، «طه:٦٧».

أما قوله تعالى: ﴿ يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ﴾، «النحل:١١١»، فيؤكد أن النفس هي صاحبة الجدل وتبرير السيئات والأخطاء، فهي تجادل وتبرر حتى مع الخالق، فيوم القيامة ستجادل وتبرر وتدافع كل نفس عما ارتكبه صاحبها من سيئات وأخطاء كما يتضح ذلك من الآية السابقة.

والثواب والعقاب يقع على النفس «الذات الإنسانية كاملة، أى الإنسان بجسده ونفسه» بدليل قوله تعالى: ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون ﴾، «البقرة:٢٨١».

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد ﴾، «آل عمران:٣٠».

﴿ من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾، «الإسراء:١٥».

﴿ واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾، «البقرة:٤٨».

﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾، «الانفطار:١٩».

أما حياة البرزخ «الفترة من موت الإنسان إلى البعث» من نعيم أو عذاب فتقع على النفس التى هى جزء من الروح وليس على الذات الإنسانية كاملة، لأن الجسد فى أثناء هذه الفترة يكون قد بلى وتحلل.

وسنذكر بعد قليل الأحاديث الدالة على مصير النفس بعد خروجها من الجسد ومآلها أثناء حياة البرزخ.

ولو راجعنا حديث «البراء بن عازب» وهو من أشهر الأحاديث التى تحدثت عن قبض الملائكة للنفس عند الموت ومصير هذه النفس بعد مفارقتها للجسد سنجد أن هذا الحديث

برواياته المختلفة يطلق مرة على الشيء الذى قبضته الملائكة وفارق جسد المتوفى اسم النفس ومرة أخرى اسم الروح وفيما يلى بعض فقرات من هذا الحديث:

قال البراء بن عازب: كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد، فأتانا النبى ﷺ فقعد وقعدناحوله كأن على رءوسنا الطير وهو يلحد له فقال: «أعوذ بالله من عذاب القبر». ثلاث مرات، ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس فيجلسون منه مد البصر، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان.... فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب، فيقولون: فلان ابن فلان.... فتعاد روحه إلى جسده.... وقال: إن العبد الكافر....، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله..... فتطرح روحه طرحاً.... فتعاد روحه فى جسده....». «أخرجه أبو داود وهذا لفظه، كذا أخرجه أحمد فى مسنده وهو حديث صحيح له طرق كثيرة».

وسنعود لذكر هذا الحديث بالتفصيل عند الحديث عن مصير النفس بعد مفارقتها للجسد.

وفى حديث آخر أطلق على الشىء الذى يفارق الجسد عند الموت لفظ النفس فقط، ولم يقع تسميته فى الحديث بلفظ الروح وهذا نصه:

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب، اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان.

فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان بن فلان، فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب، ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان.

فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله تعالى.

فإذا كان الرجل السوء قال: اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث. اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج.

فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث، ارجعى ذميمة فإنها لاتفتح لك أبواب السماء. فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر». «أخرجه ابن ماجه جـ٢ / ٤٢٦٢، وأحمد جـ٢ ص ٣٦٤، وصححه الألبانى بصحيح ابن ماجه».

وروى مسلم نفس الرواية واستبدل لفظ النفس بالروح فقال: عن أبى هريرة عن النبى ﷺ

قال: «إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجى أيتها الروح الطيبة...».

مما سبق نجد أن رواة الحديث كانوا يختلفون فيما بينهم فى تحديد اللفظ الذى كان يطلقه النبى ﷺ على الشىء الذى يفارق الجسد عند المنام والوفاة، هل هى الروح أم النفس، بل كان الأمر يلتبس عليهم أيضاً فى رواية الحديث الواحد، فتارة يطلقون عليه لفظ النفس وتارة لفظ الروح كما رأينا، والصحيح هو ما جزم به القرآن الكريم من أن ما يفارق الجسد عند المنام أو الوفاة هو النفس وليس الروح، وأن النبى ﷺ كان يستخدم نفس اللفظ ولم يطلق على هذا الشىء لفظ الروح، لأن الروح كما أوضح القرآن الكريم وكما شرحنا عبارة عن أمر إلهى «كلام» بعث الحياة فى الصلصال المشكل على صورة آدم، وتم تسجيل وحفظ هذا الأمر «هذه الأوامر الإلهية» داخل خلايا آدم، وانتقلت نسخ من هذا الأمر إلى سائر نسل آدم لتبعث فيهم الحياة أيضاً، وأصبحت الجينات هى سجلات أو حاملات هذه الأوامر الإلهية، وعند المنام يتم قبض جزء من الأجهزة الناشئة من أثر وجود هذه الروح فى الجسد وهى الأجهزة النفسية «النفس»، وعند الوفاة يتم قبض النفس وإيقاف الأجهزة الأخرى الناشئة أيضاً من أثر وجود الروح «الأمر الإلهى» فى الجسد وهى الأجهزة العضوية التى تشغل الجسد.

وهناك نقطة هامة نود أن نلفت الأنظار إليها، وهى أن ما يتم قبضه عند المنام ليس النفس كاملة، حيث يتبقى جزء من هذا الجهاز داخل الجسد يكون هو حلقة الوصل بين النفس التى صعدت إلى السماء وبين الجسد كما أشار إلى ذلك ابن عباس وغيره من الصحابة والمفسرين، وهذا الجزء هو الذى ينسق وينظم ويمثل أيضاً حلقة الاتصال بين الأجهزة النفسية والعضوية «العقل الإرادى والعقل اللا إرادى» أثناء اليقظة، وعند الوفاة يتم قبض النفس كاملة فتقطع الصلة بينها وبين الجسد.

ولم يرد فى القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية ما يساعدنا على تحديد هذا الجزء، فقد تكون جزءاً من العقل الإرادى، أو قد تكون جهاز الشعور والإحساس وهذا هو الأرجح من وجهة نظرى لارتباط هذا الجزء بالخلايا العصبية العضوية المنتشرة فى كل أنحاء الجسد ارتباطاً وثيقاً، وقد يكون شيئاً آخر، فالله أعلم.

واستكمالاً لموضوع الوفاة، يلزمنا الآن التعرف على معنى الوفاة من الناحية الشرعية والعلمية، مع التعرف على كيفية تحلل الجسد عقب قبض النفس وحدوث الوفاة.

تحديد الوفاة من الناحية الشرعية:

ليس هناك تحديد شرعى قاطع للحظة الوفاة، وإنما يحكم الفقهاء بالموت بحصول اليقين

بموت الإنسان، وقد ذكروا علامات يستدل منها وبها على الموت منها [1]:

١- انقطاع النفس.

٢- انفراج الشفتين.

٣- شخوص العينين.

٤- انخساف الصدغين.

٥- ميل الأنف.

٦- انفصال الزندين.

٧- ارتخاء القدمين.

تحديد الوفاة من الناحية الطبية:

يعتبر الأطباء موت الدماغ «موت المخ» دليلاً على موت الإنسان، ولحظة موت المخ هي لحظة وفاة الإنسان من الناحية الطبية، ويحدد الأطباء تلك اللحظة عن طريق جهاز تخطيط الدماغ الكهربائي E.E.G (اختصاراً لـ Electro - Emcephalo - Gram)، وهو جهاز حساس للغاية يقوم بتسجيل الإشارات الكهربائية الناتجة عن نشاط الجهاز العصبي المركزي بالدماغ، ذلك أن الأعصاب هي بمثابة شبكة من بلايين الأسلاك التي تقوم بتوصيل الإشارات العصبية بين بلايين الخلايا العصبية في الدماغ وبين خلايا الجسم وأنسجته وأعضائه المختلفة، حيث تقوم الألياف العصبية وهي الزوائد الطويلة للخلايا العصبية بنقل الإشارات الحسية من أنحاء الجسم المختلفة إلى الجهاز المركزي العصبي في الدماغ والنخاع الشوكي، وتقوم في نفس الوقت ألياف أخرى بنقل الإشارات المحركة للعضلات والمفرزة للغدد من الجهاز العصبي المركزي إلى الأنسجة في جميع أنحاء الجسم، وذلك بطريقة مشابهة لانتقال التيار الكهربائي في الأسلاك.

ويسجل جهاز تخطيط الدماغ الكهربائي هذه الإشارات، وطالما أن الخلايا العصبية بالدماغ وما يتصل بها من أعصاب تعطي إشارات يمكن تسجيلها فهي تعتبر في هذه الحالة ما زالت حية ولم تمت بعد، وقد يتغير التردد الموجي لهذه الإشارات فتضعف قوتها تحت ظروف خاصة مثل حالات التسمم والغيبوبة والتهابات الدماغ وأغشيته وغير ذلك، لكنها تظل موجودة ويمكن تسجيلها وتكون بذلك دليلاً على حياة الخلايا والألياف العصبية بالدماغ، أما إذا اختفت الموجات وحل محلها في التسجيل خط مستقيم كما يحدث في حالات الغيبوبة التامة، فإن ذلك يعتبر دليلاً على اختفاء نشاط أنسجة الدماغ تماماً وبالتالي دليلاً على موت

---

(١) أسرار الموت والحياة - د. السيد سلامة السقا، ص ١١٥.

الدماغ «المخ» ويعتبر الأطباء هذه الحالة دليلاً على موت المريض فيرفعون عنه أجهزة الإنعاش ويقرون وفاته [1].

وبالإضافة لموت المخ يتيقين الأطباء من حدوث الموت بعلامات أخرى تدل جميعها على توقف أنشطة أجهزة الجسم ومن أهمها: توقف القلب، والدورة الدموية، وتوقف الجهاز التنفسي، وتوقف نشاط الجهاز العصبي والعضلي، وانخفاض درجة حرارة الجسم.

وبعد عدة ساعات من خروج النفس وتوقف جميع أجهزة جسم الإنسان تبدأ خلايا الجسد في التحلل والموت، حيث إنها تظل حية بعد موت الإنسان بعدة ساعات.

لذا يطلق الأطباء على حالة الموت التي تفارق فيها النفس الجسد وتتوقف جميع أجهزة الجسم اسم «الموت الإكلينيكي» ويطلقون على الحالة التي تبدأ فيها خلايا الجسم التحلل والموت اسم «الموت الخلوي» أو «الموت البيولوجي».

والتفرقة بين الموت الإكلينكي والموت الخلوي تفيد الأطباء في عمليات زراعة الأعضاء، فإذا ما قرر الأطباء نزع عضو من الشخص المتوفى لزراعته في شخص آخر حي يحتاج إليه، فإن ذلك لابد أن يتم خلال ساعات قليلة بعد استئصال العضو من الشخص المتوفى وإلا سيكون العضو قد بدأ في التحلل والموت فتفشل عملية الزرع.

رابعاً: مراحل تحلل جسد المتوفى مع المقارنة بمراحل خلق آدم:

بعد الوفاة لا يبقى الجسد على حاله وإنما يمر بمراحل متتالية تتغير فيها حالته تباعاً حتى ينتهي إلى تراب. ويمكن القول بأن المراحل التي يمر بها الجسد عند تحلله ليصل إلى التراب هي مراحل عكسية لمراحل خلق آدم، فالمراحل التي تم بها خلق آدم هي: تراب - طين «طين لازب» - صلصال من حمأ مسنون - روح.

والروح هي التي دمجت بين عناصر التراب والماء «الطين» والحمإ المسنون «نواتج المواد العضوية والطاقة الحرارية» وأجرت التفاعلات الكيميائية اللازمة بينهم لتخرج منهم في النهاية آدم الإنسان بلحمه ودمه وأعضائه وخلاياه وعقله ونفسه.. إلخ.

ومراحل الموت هي مراحل مشابهة تماماً لمراحل خلق آدم ولكن بطريقة عكسية، فالروح هي التي صنعت الخلايا والأعضاء والأجهزة العضوية من الصلصال من حمإ مسنون المشكل بصورة آدم، وهي التي منحت لهذا الجسد العضوي بعد اكتماله كجسد آدمي: الإرادة والعقل والإحساس والشعور والطاقة والقدرة على الحركة وأكسبته الصفات الإنسانية المختلفة التي قدرها الخالق له.

---

(١) أسرار الموت والحياة - د. السيد سلامة السقا، ص ١١١ - ١١٣ - بتصرف.

ويبدأ الموت بمفارقة النفس أو بتعبير آخر الجزء النفسى من الروح للجسد حاملة معها الإرادة والعقل والإحساس والشعور والذاكرة وكتاب أعمال الإنسان والسلوك الفطرى والمكتسب.

وبخروجها يحدث شلل وتوقف تام للخلايا العصبية المركزية الموجودة بالمخ، فتتوقف نتيجة لذلك جميع أجهزة الجسم، وبرغم خروج النفس وموت الإنسان يظل فى الجسد حياة لعدة ساعات يهبها له الجزء الآخر من الروح الذى أطلقنا عليه «الجزء العضوى من الروح» وهذه الحياة التى تتبقى فى الجسد تتمثل فى حياة الخلايا الحية المشكلة لأعضاء الجسم فقط، ولكنها لاتستطيع تشغيل هذه الأجهزة العضوية لتوقف أو بمعنى آخر لموت العقل اللا إرادى الذى كان يقوم بتشغيل الأجهزة العضوية فى نفس اللحظة التى فارقت فيها النفس الجسد.

ونفس الحال حدث عند خلق آدم فعندما دخلت الروح على الصلصال من حمإٍ مسنون صنعت منها الخلايا الحية ثم الأنسجة والأعضاء والأجهزة العضوية ثم قامت بتشغيل العقل اللا إرادى المشغل لهذه الأجهزة وفى نفس الوقت وهبت آدم الإرادة والشعور والإحساس والعقل الإرادى، فاشتغل المخ وبدأ آدم يحس بوجوده وإرادته فقام من رقدته قبل أن تصل الروح إلى قدميه كما ذكرت بعض الأحاديث النبوية متعجلاً الأمر، أى قام قبل أن تبدأ الأجهزة العضوية المشغلة لحركة أقدامه فى العمل.

وما سبق يدل على أن الروح وهبت الحياة للخلايا أولاً ثم وهبت النفس «الإرادة والعقل. .إلخ» لآدم بعد ذلك، أى وهبت فى البداية الحياة للجسد، ثم وهبت بعد تمام حياة الجسد الحياة للإنسان، وعند الموت حدث العكس خرجت النفس فسلبت الحياة من الإنسان وبقى نوع ما من الحياة فى الجسد «حياة الخلايا».

وبعد عدة ساعات من الوفاة يبدأ الجسد فى التحلل بموت الخلايا تدريجياً ليتحول إلى صلصال كالفخار وصلصال من حمإٍ مسنون، ثم ما يشبه الطين اللازب، ثم يتحول فى النهاية إلى تراب بعد حوالى ستة أشهر ولا يتبقى من جسده إلا عظامه وبعض غضاريفه، والتى تتحلل تدريجياً على مدار السنين إلى تراب أيضاً، وذلك على النحو التالى:

١- بعد الوفاة بحوالى ساعتين تبدأ مرحلة التيبس الرمى Rigor Mqrtis حيث تتيبس جميع عضلات الجسم، ويكتمل تيبس العضلات بعد حوالى اثنتى عشرة ساعة، ويستمر ذلك لمدة حوالى أربع وعشرين ساعة تبدأ بعدها العضلات فى الارتخاء تدريجياً.

وهذه المرحلة التى يتيبس أو يتصلب فيها الجسم يمكن أن نطلق عليها مرحلة الصلصال كالفخار، وغالباً مر آدم بنفس تلك المرحلة قبل تشغيل الجهاز النفسى به فالصلصال كالفخار هو طين متيبس، واللحم والجلد والجسد بأكمله أصله من الطين فإذا تيبس يمكن تشبيهه بالصلصال كالفخار.

٢- بعد ذلك يبدأ الجسم في التحلل، ويبدأ ذلك بتعفن الجسم نتيجة لتأثر الخمائر «الإنزيمات» الموجودة داخل الخلايا بالإضافة إلى الميكروبات المركزة داخل القولون بالقناة الهضمية، وأى ميكروبات أخرى تكون داخل الجسم نتيجة المرض الذى يصيب الميت قبل وفاته، وتبدأ عمليات التحلل الذاتى للخلايا فى أنسجة الدماغ والأعضاء اللينة الأخرى مثل الكبد والبنكرياس والغدد والأمعاء، ويتصاعد نتيجة لذلك غازات وسوائل عفنة ذات رائحة نتنة «أى يتصاعد حمأ مسنون»، مثل غاز أول وثانى أكسيد الكربون عديمى الرائحة وغاز الأمونيا النفاذ، وغاز كبريتيد الهيدروچين الكريه الرائحة. .إلخ. وتؤدى هذه الغازات إلى انتفاخ البطن، وخلال يومين أو ثلاثة يزداد انتفاخ البطن وتخرج محتويات الأمعاء من خلال فتحة الشرج وتنفجر البطن فى النهاية نتيجة تجمع الغازات ويتسلخ جلد الجسم كله خلال الأسبوع الثانى من الوفاة [١].

وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة الصلصال من حمإ مسنون فالجسد يتحول فيها من جسد متيبس إلى جسد متحلل لمواد عضوية مختلفة وغازات وسوائل تنبعث منها روائح كريهة، والمواد العضوية والغازات كما سبق وأن شرحنا هى الحمأ المسنون، فقد تحولت خلايا الجسد إلى غازات وسوائل ومواد عضوية، وهى نفس المرحلة التى مر بها آدم وحولت فيها الروح هذه السوائل والغازات والمواد العضوية والصلصال «الطين المتيبس» إلى خلايا ثم أنسجة ثم أعضاء ثم أجهزة عضوية.

٣- بانفجار البطن تتسرب المواد الموجودة بداخله إلى الأرض فتختلط به ثم تتحول فى النهاية إلى تراب لايمكن تمييزه عن تراب الأرض ذاتها، وما يتبقى من الجسد يتحول تدريجياً إلى تراب، ولا يتبقى بعد ستة أشهر سوى العظام والغضاريف التى تتحول بدورها مع مرور الزمن إلى تراب أيضاً.

خامساً: مستقر الأرواح «الأنفس» بعد الموت وأثناء حياة البرزخ:

حياة البرزخ هى الحياة التى تعيش فيها الأنفس بعد مفارقتها للأجساد «بعد الموت»، وقد أشير فى القرآن الكريم إلى حياة البرزخ هذه فى قوله تعالى: ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون. لعلى أعمل صالحاً فيما تركت، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾، «المؤمنون: ٩٩-١٠٠».

وأثناء حياة البرزخ تتعذب النفس أو تتنعم، وتحس بهذا النعيم أو بالعذاب رغم عدم وجود الجسد بما تحمله كما سبق وأن شرحنا من جهاز الشعور والوجدان.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٦١-١٦٣- بتصرف.

وقد اختلف العلماء فى مستقر الأنفس بعد الموت وأثناء حياة البرزخ على أقوال كثيرة، وكل منهم يستند فى قوله على رواية ما من الروايات المرفوعة إلى النبى ﷺ فى هذا الشأن.

فذهب فريق إلى أن أرواح ـ الصحيح أنفس ـ المؤمنين عند الله شهداء كانوا أم غير شهداء، وأرواح الكافرين فى النار.

وقال فريق آخر أرواح المؤمنين تكون بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها، وأرواح الكافرين تكون بالنار.

وفريق ثالث قال أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكافرين ببرهوت وفريق رابع قال تكون الأرواح على أفنية القبور ولا تذهب إلى الجنة أو النار. وفريق قال: أرواح المؤمنين تكون عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله وطائفة أخرى منهم ابن حزم قالوا: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها.

وقال آخرون: أرواح الشهداء بالجنة كطير خضر معلقة بالعرش تغدو وتروح إلى رياض الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم.

وقال آخرون: أرواح المؤمنين فى حواصل طير خضر ترعى فى الجنة، وتأكل من ثمارها وتشرب من مائها وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش، وأرواح الكافرين فى حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار وتأوى إلى جحر فى النار.

وذهب فريق آخر إلى القول: بأن أرواح المؤمنين تكون فى الجنة وأرواح الكافرين تكون فى النار، ويكون لهما اتصال وإشراف بالقبر وفنائه وبالبدن، فإذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهى فى الملأ الأعلى.

وقد جمع الإمام «ابن قيم الجوزية» فى كتابه «الروح» كل هذه الآراء، وحجج صاحب كل رأى، وفندها، وعقب على الروايات المستندة عليها، ثم أدلى بدلوه ورأيه النهائى فى هذا الشأن، وفيما يلى ملخص لما قاله ففيه الكثير من الفوائد.

قال ابن قيم الجوزية عند شرحه للمسألة الخامسة عشرة: «وأما المسألة الخامسة عشرة، وهى أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة؟ هل هى فى السماء أم فى الأرض؟ وهل هى فى الجنة أم لا؟ وهل تودع فى أجساد غير أجسادها التى كانت فيها فتنعم وتعذب فيها أم تكون مجردة؟.

فهذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها:

١- فأما من قال هى فى الجنة فاحتج بقوله تعالى: ﴿ **فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم** ﴾، «الواقعة: ٨٨-٨٩»، وقالوا: وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعاً.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** ﴾، «الفجر: ٢٧-٣٠».

واحتجوا بما رواه مالك فى الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر تعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم مبعثه»، وقيل النسمة الروح، وقيل النسمة الروح والنفس والبدن.

واحتجوا أيضاً بما روى عن أبى هريرة: أن أرواح الأبرار فى عليين، وأرواح الفجار فى سجين.

وقال آخرون: إنما معنى هذا الحديث فى الشهداء دون غيرهم، فالتى تكون فى الجنة أرواح الشهداء فقط، لأن القرآن والسنة إنما يدلان على ذلك أما القرآن فقوله تعالى: ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله** ﴾، «آل عمران: ١٦٩-١٧٠».

وأما الآثار فمنها حديث أبى سعيد الخدرى من طريق بقى ابن مخلد مرفوعاً «الشهداء يغدون ويروحون، ثم يكون مأواهم إلى قناديل معلقة بالعرش».

وحديث ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم «يعنى يوم أحد» جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب مدللة فى ظل العرش.....» والحديث فى مسند أحمد وسنن أبى داود.

وفى صحيح البخارى عن أنس، أن أم الربيع بنت البراء، وهى أم حارثة ابن سراقة، أتت النبى ﷺ فقالت: يا نبى الله، ألا تحدثنى عن حارثة؟ «وكان قد قتل يوم بدر» فإن كان فى الجنة صبرت، وإن كان فى غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء، قال: «يا أم حارثة إنها جنان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى».

وأما قول من قال إن هذا خاص بالشهداء دون غيرهم، فتخصيص ليس فى اللفظ ما يدل عليه، وهو حمل اللفظ العام على أقل مسمياته، فإن الشهداء بالنسبة إلى عموم المؤمنين قليل جداً، والنبى ﷺ علق هذا الجزء بوصف الإيمان فهو المقتضى له ولم يعقله بوصف الشهادة.

والنصوص والآثار التى ذكرت فى رزق الشهداء وكون أرواحهم فى الجنة، فكلها حق، وهى لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة، ولا سيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس.

وروى أن أرواح المؤمنين فى حواصل طير فى الجنة وأرواح الكفار فى حواصل طير فى النار عن عبد الله بن يزيد عن أم كبشة بنت المعرور قالت: «دخل علينا رسول الله ﷺ فسألناه عن هذه الأرواح، فقال: إن أرواح المؤمنين فى حواصل طير خضر ترعى فى الجنة، وتأكل من ثمارها وتشرب من مائها، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش، يقولون: ربنا ألحق بنا

إخواننا وآتنا ما وعدتنا. وإن أرواح الكفار فى حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار وتأوى إلى جحر فى النار. يقولون: ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا».

٢- وأما من قال إن الأرواح على أفنية قبورها، فإن أراد ملازمتها أفنية القبور، فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة من وجوه كثيرة، وإن أراد أنها تكون على أفنية القبور وقتاً أولها إشراف على قبورها وهى فى مقرها فهذا حق، ولكن لايقال مستقرها أفنية القبور.

واستدل من قال ذلك بحديث ابن عمر: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده، بالغداة والعشي».

وحديث أنس: «إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم».وبأحاديث عذاب القبر ونعيمه.

وحديث البراء بن عازب الذى فيه أن روح الميت تصعد بها الملائكة حتى تجاوز السماوات السبع، وتضعها بين يدى الله فتسجد له ويقضى فيها قضاءه، ويريها الملك ما أعد الله لها فى الجنة، ثم تهبط فتشهد غسله وحمله ودفنه. وهذا نصه (١):

قال البراء بن عازب: «كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد، فأتانا النبى صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله كأن على رءوسنا الطير، وهو يلحد له فقال: أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات، ثم قال: إن العبد إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها.

فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفه عين «أى الملائكة» حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على الأرض.

قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله تعالى، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال: فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى

(١) ذكره ابن قيم الجوزية بالمسألة السادسة - فصل «هل تعاد الروح فى قبره وقت السؤال أم لا؟».

الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله.

فيقولان له: وما علمك بهذا؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً من الجنة، قال: فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره.

قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذى يسرك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان فى إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود[1] من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الريح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿**لا تفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط**﴾، «الأعراف: ٤٠».

فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ ﴿**ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق**﴾، «الحج: ٣١» فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى.

فينادى مناد من السماء: أن كذب عبدى فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، منتن الريح فيقول: أبشر بالذى يسوؤك، هذا يومك الذى كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالشر؟

فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة. «رواه أحمد وأبو داود وروى

---

(١) السفود: عود الحديد الذى يوضع عليه اللحم ليشوى.

النسائي وابن ماجه أوله ورواه أبو عوانة الإسفراييني في صحيحه.

ثم قال ابن قيم الجوزية: «والصحيح أن الروح تكون فوق السماوات في أعلى عليين وترد إلى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلم، وروح رسول الله ﷺ في الرفيق الأعلى دائماً، ويردها الله إلى قبره فترد السلام على من يسلم عليه، وتسمع كلامه. وهي تحضر تجهيز وتكفين الجثة ثم يكون مستقرها في حواصل طير خضر تأوى إلى قناديل بالجنة، أو في حواصل طير سود تأوى إلى جحر في النار.

٣ - أما من قال: إن أرواح المؤمنين بالجابية، وأرواح الكفار ببرهوت «باليمن» فهذا مما تناقله الصحابة عن بعض أهل الكتاب وليس بصحيح.

٤- وأما من قال: إن أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة.

فهذا قول جماعة من السلف والخلف، ويدل عليه قول النبي ﷺ «اللهم الرفيق الأعلى» وآثار وأحاديث كثيرة، وهي لا تنافي كونها في الجنة لأن الجنة في السماء السابعة «في عليين» عند سدرة المنتهى.

٥- وأما من قال: إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت فهذا مروى عن سلمان الفارسي والبرزخ هو الحاجز بين شيئين، وكأن سلمان أراد بها في أرض بين الدنيا والآخرة مرسلة هناك، وتذهب حيث شاءت، وهذا قول قوى، فإنها قد فارقت الدنيا ولم تلمح الآخرة بل هي في برزخ بينهما، فأرواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم، وأرواح الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال تعالى: ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾، «المؤمنون: ١٠٠» فالبرزخ هنا مابين الدنيا والآخرة، وأصله الحاجز بين الشيئين.

٦- وأما قول من قال: إن أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن يساره فقد استند في ذلك إلى الحديث الصحيح وهو حديث الإسراء، الذى ذكر به أن النبي ﷺ شاهد أرواح المؤمنين على يمين آدم وأرواح الكفارعلى يساره.

ولكن لايدل ذلك على تعادلهم في اليمين والشمال، بل يكون هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة، وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن.

وقد قال أبو محمد بن حزم: إن ذلك البرزخ الذى رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة أسرى به عند سماء الدنيا، وذلك عند منقطع العناصر، أى أنها عنده تحت السماء حيث تنقطع العناصر، وهى الماء والتراب والنار والهواء.

وقوله هذا لا دليل عليه في الكتاب والسنة.

ثم قال ابن قيم الجوزية:

٧- أما قول أبى محمد بن حزم: إن مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها، فهذا بناء منه على مذهبه الذى اختاره، وهو أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد وهذا فيه قولان للناس وجمهورهم.

والذين قالوا: إنها خلقت قبل الأجساد ليس معهم دليل على ذلك من كتاب ولا سنة ولا إجماع، إلا ما فهموه من نصوص لا تدل على ذلك أو أحاديث لاتصح، كما احتج به ابن حزم من قوله تعالى: ﴿ **وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا** ﴾، «الأعراف: ١٧٢».

وبقوله تعالى: ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا** ﴾، «الأعراف: ١١» قال: فصح أن الله خلق الأرواح جملة وهى الأنفس.

قال: وأخذ عز وجل عهدها وشهادتها، وهى مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم وقبل أن يدخلها فى الأجساد، والأجساد يومئذ تراب، وقال: لأن الله تعالى عطف ذلك بلفظة «ثم» التى توجب التعقيب والمهلة ثم أقرها سبحانه وتعالى حيث شاء، وهو البرزخ الذى ترجع إليه عند الموت.

فقوله إنها تستقر فى البرزخ الذى كانت فيه قبل خلق الأجساد، مبنى على هذا الاعتقاد الذى اعتقدوه.

٨- أما قول من قال: مستقرها العدم المحض، فهذا قول من قال: إنها عرض من أعراض البدن وهو الحياة، وهذا قول ابن الباقلانى ومن تبعه وكذلك قاله أبو الهذيل العلاف: النفس عرض من الأعراض، ولم يعينه بأنه الحياة كما عينه ابن الباقلانى، ثم قال: هى عرض كسائر أعراض الجسم، وهؤلاء عندهم أن الجسم إذا مات عدمت روحه، وسائر أعراضه المشروطة بالحياة.

٩- وأما قول من قال: إن مستقرها بعد الموت أبدان أخرى غير هذه الأبدان، فهذا القول فيه حق وباطل. فأما الحق، فما أخبر به النبى ﷺ من أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تأوى إلى قناديل معقلة بالعرش، وأما الباطل فهو القول بالتناسخ وحلول الأرواح فى أبدان غير أبدانها التى كانت فيها، وهو قول الملاحدة وأعداء الرسل وغيرهم الذين ينكرون المعاد والبعث، فهم يزعمون أن الأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان إلى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التى تناسبها، فتنعم فيها أو تعذب ثم تفارقها، وتحل فى أبدان أخرى تناسب أعمالها وأخلاقها. وهكذا أبداً فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها.

وفى النهاية ختم «ابن قيم الجوزية» هذه المسألة برأيه فى: «القول الراجح فى مستقر الأرواح» فقال:

«الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم تفاوت. فمنها أرواح فى أعلى عليين فى الملأ الأعلى، وهى أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون فى منازلهم كما رآهم النبى ﷺ ليلة الإسراء.

ومنها أرواح فى حواصل طير تسرح فى الجنة حيث شاءت، وهى أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره، كما ورد بالأحاديث الصحيحة. ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة، ومنهم من يكون محبوساً فى قبره، رغم أنه شهيد، كما ورد فى حديث صاحب الشملة ومنهم من يكون مقره باب الجنة. ومنهم من يكون محبوساً فى الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى، لأنها كانت روحاً سفلية أرضية. ومن الأرواح ما يكون فى تنور الزناة والزوانى، ومنها أرواح فى نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة.

فكل ما ورد من الآثار الصحيحة فى هذا الباب يصدق ولاتعارض فيه، فالأرواح بعيدها وشقيها ليس لها مستقر واحد، بل روح فى أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض، وفي جميع الأحوال يكون للروح اتصال بفناء القبر وبالبدن فيه»... انتهى كلام ابن قيم الجوزية.

سادساً: البعث بإرسال النفس المقبوضة للجسد المعاد تخليقه «بالاستنساخ» من عجب الذنب فى القبر:

آخر الأمور المتعلقة بالروح «أو بمعنى أدق النفس» هو علاقتها ببعث الأجساد يوم البعث، ويقتضى تحديد هذه العلاقة التعرف على بعض الآيات والأحاديث الواردة فى هذا الشأن لتحديد طبيعة هذه العلاقة.

قال تعالى:

﴿ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾، «فاطر: ٩».

﴿ والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون ﴾، «الزخرف: ١١».

﴿ وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾، «الأعراف: ٥٧».

﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحى الموتى إنه على كل شىء قدير ﴾، «فصلت: ٣٩».

﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم. ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى

ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ﴾ ، «سورة الحج: ٥-٧».

﴿ ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ﴾ ، «لقمان: ٢٨».

﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى . قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ ، «البقرة: ٢٦٠».

والآيات السابقة تؤكد أن الله سيبعثنا ويعيد تخليق أجسادنا يوم البعث بنفس الطريقة التى يعيد بها تخليق وإنبات النباتات فى الأرض فالنبات بعد موته يتبقى منه بذور تدفن فى الأرض فتكون الأرض لها مثل القبر بالنسبة للإنسان ، فإذا أراد الله بعث وإخراج النباتات مرة أخرى يرسل سحاباً فيسوقه إلى الأرض الجدباء الموجود بها هذه البذور ، ثم يسقط من السحاب المطر فيختلط بتراب الأرض والبذور الموجودة بها فتدب الحياة مرة أخرى فى هذه البذور ، وتخرج كل بذرة منها نباتاً جديداً مشابهًا تماماً فى صفاته الوراثية للنبات الأصلى ، وبنفس الطريقة سيعيد الله تخليق أجسادنا يوم البعث من القبور ، فينبت أجسادنا كما ينبت النبات من البذور ، والبذور التى سيعيد الخالق منها تخليق أجسادنا أطلق عليها النبى ﷺ اسم «عجب الذنب» وذلك بعد اختلاط عجب الذنب هذا بماء منزل من السماء ولكنه ليس ماء مطر ، ولكن نوع آخر من الماء سنوضح طبيعته فى حينه .

أما الأحاديث النبوية فذكرت تفاصيل أخرى لعملية البعث توضح الأمور أكثر وتعطى صورة متكاملة لما سيحدث ، ونذكر منها مايلى :

قال مسلم فى صحيحه : حدثنا أبو كريب ، عن أبى معاوية عن الأعمش . عن أبى صالح ، عن ابى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «ما بين النفختين أربعون يوماً ، قال : أبيت ، قال : أربعون شهراً ، قال : أبيت ، قال : أربعون سنة ، قال : ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، قال : وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلاعظماً واحداً وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة . «أخرجه مسلم جـ٤ فتن / ١٤١ ، البخارى جـ٨ / ٤٩٣٥ من فتح البارى بشرح صحيح البخارى».

وعن يحيى القطان ، عن محمد بن عجلان ، عن عبدالرحمن بن هرمز الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «كل ابن آدم يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب ، منه خلق ومنه يركب» ، «أخرجه أحمد جـ٢ ص ٣٢٨ ، وابن ماجه جـ٢ / ٤٢٦٦».

وقال أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبى الهيثم، عن ابى سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، قيل وماهو يارسول الله؟ قال: مثل حبة خردل، منه ينبتون»، «أخرجه أحمد بمسنده جـ٣ ص ٢٨ وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة ودراج عن أبى الهيثم.

وفى رواية أن عجب الذنب لا تأكله الأرض أبداً.

وفى حديث الصور الطويل الذى أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده بسند ضعيف من طريق عمرو بن الضحاك بن مجالد عن أبى عاصم الضحاك بن مجالد عن أبى رافع إسماعيل بن رافع.. عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه قال: «إن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه، شاخصاً إلى العرش ببصره، ينظر متى يؤمر ؟ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماوات والأرض، إلا من شاء الله. ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعاً، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت، فتنبت كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم، فكانت كما كانت قال الله: ليحى جبريل وميكائيل فيحييا، ثم يدعو الله بالأرواح، فيؤتى بها تتوهج، أرواح المسلمين نوراً، والأخرى ظلمة، فيقبضها جميعاً، ثم يلقيها فى الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت مابين السماء والأرض فيقول الله: وعزتى وجلالى، ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد، فتدخل فى الخياشيم، ثم تمشى فى الأجساد مشى السم فى اللديغ، ثم تنشق الأرض عنكم، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، فتخرجون منها سراعاً إلى ربكم تنسلون...».

وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد، ومسلم، من حديث يعقوب بن عاصم، عن عبدالله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «....ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً، ورفع ليتاً، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه، فيصعق، ولا يسمعه أحد إلا صعق ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل أو الظل، فينبت منه أجساد الخلائق، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: أيها الناس هلموا إلى ربكم»، «أخرجه مسلم جـ٤ فتن/ ١١٦، وأحمد بمسنده جـ٢ ص ١١٦».

وأخرج ابن المبارك ومؤمل بن إسماعيل وعلى بن معبد عن ابن مسعود حديثاً ذكر فيه: «ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه، والصور: قرن، فلا يبقى لله خلق فى السماوات والأرض إلا مات إلا ماشاء ربك. ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون،

فليس من بنى آدم خلق إلا وفى الأرض شيء منه «قال سفيان : يعنى عجب الذنب» فيرسل الله ماء من تحت العرش منياً كمنى الرجال فتنبت جثمانهم ولحمانهم كما تنبت الأرض من الثرى ، ثم قرأ عبد الله : ﴿ **والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأنبتنا به الأرض بعد موتها كذلك النشور** ﴾ ، «فاطر : ٩» ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فتنطلق كل نفس إلى جسدها حتى تدخل فيه ثم يدعون فيجيبون إجابة رجل واحد قياماً لرب العالمين» .

وروى عن على بن معبد أيضاً عن أبى هريرة قال : حدثنا رسول الله ﷺ : « .... ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش يقال له : ماء الحياة ، فتمطر السماء عليكم أربعين سنة حتى يكون الماء من فوقكم اثنى عشر ذراعاً ، ثم يأمر الله عز وجل الأجساد فتنبت كنبات الطراثيث ، وكنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادكم فكانت كما كانت يقول الله عز وجل : ليحىَ حملة العرش فيحيون ، ثم يقول : ليحى جبريل وميكائيل وإسرافيل فيأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور ، ثم يدعو الله تعالى الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نوراً والأخرى ظلمة فيأخذها الله فيلقيها فى الصور . ثم يقول لإسرافيل : انفخ نفخة البعث فينفخ فتخرج الأرواح كلها كأمثال النحل قد ملأت مابين السماء والأرض ، فيقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى ليرجع كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد .. ثم تدخل فى الخياشيم فتمشى فى الأجساد مشى السم فى اللديغ ثم تنشق الأرض عنكم .... » .

وكان بعض علماء السلف يعتقدون أن ما تفرق من أجساد الموتى يتم جمعه عند البعث ، وكأن البعث لا يتم إلا من خلال نفس رفات وبقايا الجسد الأول ، وهذا اعتقاد غير صحيح ، والسنة أكدت أن البعث سيتم من خلال قطعة واحدة مثل حبة الخردل فى صغرها بل أقل حجمًا منها وهى عجب الذنب ، وعملية البعث وإعادة تشكيل وإنشاء الأجساد مرة أخرى لا تحتاج إلى بقايا ورفات الجسد الأول ، ومما يذكر فى هذا الشأن ما قاله الحليمى بقوله : اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنة ، وذلك بعد أن يجمع الله تعالى ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع ، وحيوانات الماء وبطن الأرض ، وما أصاب النيران منها بالحرق ، والمياه بالغرق ، وما أبلته الشمس ، وذرته الرياح . فإذا جمعها وأكمل كل بدن منها ، ولم يبق إلا الأرواح جمع الأوراح فى صور ، وأمر إسرافيل عليه السلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور ، فرجع كل روح إلى جسده بإذن الله تعالى (١) .

وهناك أحاديث تروى فى هذا الشأن أيضا ، فقد روى الزهرى عن أنس قال : مر رسول الله ﷺ بحمزة يوم أُحد وقد جدع ومثل به فقال : «لولا أن تجد صفية فى نفسها لتركته حتى

---

(١) التذكرة - القرطبى - باب ذكر النفخ الثانى للبعث فى الصور .

يحشره الله من بطون السباع والطير». «أخرجه أبو داود جـ٣ جنائز / ٣١٣٦، والترمذى جـ٤ / ١٠١٦».

والروايات السابقة تدل على أن إحياء الأجساد عند البعث يعتمد بدرجة أساسية على بقايا الجسد الأول، والصحيح والأدق فى التعبير هو ما ورد بالروايات الأخرى السابق ذكرها والتى أكدت أن إحياء الأجساد عند البعث يعتمد بصفة أساسية على عجب الذنب وهو جزء ضئيل وصغير جداً فى حجم الذرة «أو مثل حبة الخردل» وهذا الجزء لا يبلى ولا يتأثر بالنار فى الغالب حتى إذا بلى وتفرق وتشتت الجسد كله يبقى هو ومنه يتم إعادة تخليق الجسد مثلما تم منه كما ورد بالأحاديث إنشاء الأجساد فى بطون الأمهات أول مرة، فما هو عجب الذنب هذا؟ وأين موضوعه من الجسد؟ وماهى علاقة الماء الذى سينزل من السماء به، وما هى طبيعة هذا الماء؟.

قال القرطبى فى التذكرة «يقال عجم وعجب بالميم والباء وهو جزء لطيف من أصل الصلب، وقيل هو رأس العصعص كما رواه ابن أبى داود فى كتاب البعث من حديث أبى سعيد الخدرى قيل: يارسول الله وما هو؟ قال: «مثل حبة خردل» ومنه تنشأون.

وقوله: «منه خلق ومنه يركب» أى أول ما خلق من الإنسان هو، ثم إن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة أخرى.

وكلام القرطبى يفهم منه أن عجب الذنب موجود فى رأس عظمة العصعص التى توجد فى نهاية العمود الفقرى.

وفى اللغة: العَجْبُ: أصل الذنب. والذنب: ذيل الحيوان. أى أن عجب الذنب هو أصل ذيل الحيوان أو أصل الذيل.

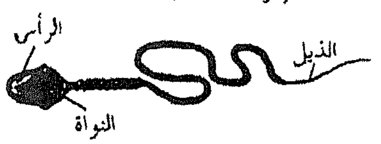
فما هو أصل الذيل؟ وهل هو ذيل حيوان؟ وما هو هذا الحيوان؟

لكى تتم الإجابة يجب أن نضع فى الاعتبار أن عجب الذنب هذا بدأ خلق الإنسان منه،وكما هومعروف وكما شرحنا سابقاً فالإنسان أو الجنين يتكون وينشأ من البويضة الملحقة بالحيوان المنوى أو ما نطلق عليها نطفة الأمشاج أو الخلية الجنينية الأولى، والتى تتكون من اندماج الحيوان المنوى والبويضة، وعلى هذا فعجب الذنب مفروض أن يكون مقصوداً به هذه الخلية الأولى أو بمعنى أدق نواة هذه الخلية والتى تحتوى على الـ ٤٦ كروموسوماً أو بمعنى آخر حمض الـ D.N.A المسجل عليه الأوامر التى يتم على أساسها تشكيل وتكوين الإنسان بصفاته المتفردة المختلفة عن صفات غيره من بنى الإنسان على النحو السابق شرحه.

لكن هذه الخلية تنقسم إلى خليتين ثم إلى أربع وهكذا، كما أن هذه الخلية عند انقسامها لا يكون لها ذيل، فكيف تكون هى عجب الذنب؟

فى الواقع أن الحيوان المنوى يكون له رأس وذيل، والرأس تحتوى على النواة الموجود بها الـ ٢٣ كروموسوماً على النحو الموضح بالصورة التالية.

(تركيب الحيوان المنوى)



تركيب الحيوان المنوى

وعندما يتحد الحيوان المنوى بالبويضة تندمج نواتهما مع بعضهما ويكونان نواة خلية واحدة بنواة واحدة تحتوى على ٤٦ كروموسوماً.

ومن الملاحظ أن الحيوان المنوى بعد تلقيحه للبويضة فى بداية عملية التلقيح يخترق برأسه جسم البويضة ويترك ذيله خارجها وتظل البويضة قابضة على هذا الذيل لعدة ساعات، ويكون شكل البويضة الملحقة بالحيوان المنوى فى البداية كما يلى:



صورة تحت الميكروسكوب الإلكترونى وقد ثقب الحيوان المنوى جدار البويضة واندمجت رأسه فيها بينما الذيل لايزال بالخارج.

وكما هو واضح من الصورة بالبويضة الملحقة يكون لها ذيل فى الساعات الأولى من عملية التلقيح وبعدها ينفصل هذا الذيل، ويمكن أن نطلق على البويضة الملقحة المتخذة هذا الشكل فى البداية لفظ «عجب الذنب» أى الرأس «البويضة» ذو الذيل أو نسميها الخلية ذات الذيل.

وهذه الخلية تنقسم بعد ذلك إلى خليتين ثم أربعة.. إلخ. ويتكون منها جسم الإنسان بأكمله، وهى بذلك ينطبق عليها نفس الوصف الوارد على عجب الذنب فى الأحاديث

النبوية من أن الإنسان نشأ منه فى البداية لأن الإنسان نشأ من هذه الخلية ، وعلى ذلك فعجب الذنب هو والله أعلم الخلية الجنينية الأولى أو بمعنى أدق نواة الخلية الجنينية الأولى «نواة نطفة الأمشاج» التى تحمل الشريط الوراثى «حمض الـ D.N.A» المحدد لكل صفات الشخص المتفردة أو بمعنى آخر التى تحمل الأوامر الإلهية الخاصة بخلق الإنسان .

وقد يكون مستقر هذه الخلية فى رأس عظمة العصعص كما قال القرطبى ، أو قد يكون مستقرها فى مكان آخر بالجسم فالله أعلم ، وقد يكشف لنا الخالق مستقبلاً المزيد من أسرارها ومستقرها فى الجسد .

ولنعود الآن للحديث عما يحدث لهذه الخلية بعد الموت وعند البعث ، ففى الغالب تقوم هذه الخلية أو نواتها عقب عملية الموت مباشرة بإفراز إنزيمات معينة تحيط بها نفسها وتغلفها ويتكون من هذه الإنزيمات غلاف أو مادة عظمية أو صلبة تكن أشد صلابة من الحديد والماس وكل أنواع المواد الصلبة التى نعرفها ومن خصائص هذه المادة أو هذا الغلاف التى تحيط نفسها به أيضاً أنه لا يبلى ولا يتأثر بالنار أو الأحماض أو أى شيء آخر ، فبعد الموت تبلى جميع خلايا الجسد ما عدا هذه الخلية التى تدخل فى مرحلة «كُمُون» وموت مؤقت أو جزئى وتظل محتفظة بكل عناصر الحياة بداخلها مثلها فى ذلك مثل بذور النباتات والبقول بعد أن تكون قد فقدت ما بها من ماء عقب عملية الموت أو فقدت جزءاً كبيراً من هذا الماء والذى يشكل جزء كبير من مكونات هذه الخلية ، وهذا السياج أو الغلاف العظمى الصلب الذى يحيط هذه الخلية أو نواة هذه الخلية فقط بعد تدمير جسم الخلية يفسر لنا سر إطلاق النبى ﷺ عليها اسم «عظم عجب الذنب» لأنها خلية أو نواة خلية محاطة من الخارج بغلاف أو غشاء عظمى «هو الغشاء الذى تكونه حولها بعد الموت» يحميها من البلى أو النار بل ومن جميع أنواع المذيبات أيضاً .

فإذا مات الإنسان ودفن فى قبر فسيكون القبر هو مستقر هذه النواة ، فإذا امتد العمران إلى أماكن القبور كما يحدث فى أيامنا هذه أو تزلزلت الأرض أو خسف ببلدة ما فستهدم المنازل والقبور ويختلط الجميع بتراب الأرض ويتناثر عجب الذنب لأهل هذه المدينة داخل التراب فلو امتد العمران لهذه المنطقة مرة أخرى بعد آلاف السنين مثلاً فسيستخدم هذا التراب والرمال المحيطة به فى تشييد المبانى ، وبالتالى سينتقل عجب الذنب من الأرض إلى جدران وحوائط وأعمدة هذه المبانى الجديدة ، فيصبح عجب الذنب محفوظاً داخل الجدران وليس داخل تراب الأرض ، وكذلك إذا مات الإنسان غريقاً وأكلته الأحياء المائية أو أسماك القرش أو مات فى صحراء وأكلته السباع فستحيط نواة عجب الذنب نفسها عقب موته مباشرة بنفس السياج العظمى وتحتفظ بنفسها داخل جسد السبع أو السمك أو . .إلخ .

وتخرج مرة أخرى إلى الأرض مع فضلات هذا الكائن أو تعود للتراب مرة أخرى عند موت هذا الحيوان وتحلل جسده.

وعند البعث سيزلزل الله الأرض كلها وينسف الجبال نسفاً، ويخسف بكل ما عليها من مبان وخلافه فتدفن كل هذه الأشياء داخل الأرض ثم تتحلل فتعود نوى عجب الذنب للأمم البائدة والتى كانت مختلطة بمواد التربة التى استخدمت فى تشييد مبانى الحضارات الجديدة مرة أخرى إلى التراب، فتصبح عند البعث الأرض هى المأوى والملجأ والمدفن والقبر لكل عجب الذنب الخاص بكل الكائنات الحية فيعود ما كان فى الحوائط أو حواصل الطيور أو أجواف السباع من أعجاب أذناب بشرية أو حيوانية إلى الأرض مرة أخرى وهذا يثبت خطأ من قال إن الله عند البعث يجمع أشلاء الإنسان من حواصل الطير أو أجواف الحيوانات.. إلخ، لأن الجميع عند البعث سيعود للتراب فتتحلل أجساد جميع الأحياء فلا يبقى كائن على وجه الأرض حتى يجمع الله أشلاء أصحاب الأمم البائدة منه.

بعد ذلك ستتم عملية بعث الأجساد لجميع الكائنات الحية وأبدانها من داخل الأرض «تكوينها» بإنزال الله مطراً من السماء كالمنى أو ماء حياة كما قيل ببعض الروايات، مما يفيد أنه ليس ماء عذباً مثل ماء المطر الذى يتساقط حالياً، ولكنه سيكون ماء يشبه ماء الرجال الذى تسبح فيه الحيوانات المنوية وتتغذى عليه، وبمعنى آخر سيكون ماء عضويّا يحتوى على مواد ذات درجة إذابة عالية جداً ويحتوى أيضاً على عناصر غذائية، فيقوم هذا الماء بإذابة الغشاء العظمى الصلب الذى تحيط النواة أو الخلية «عجب الذنب» نفسها به وفى نفس الوقت يمدها بالمواد الغذائية اللازمة لجميع أنشطتها فتدب الحياة من جديد فى هذه الأنوية أو الخلايا وتصبح مستعدة للعمل وبالتالى للانقسام والتكاثر لتكوين خلايا جسد الإنسان من جديد وبنفس الصفات الوراثية التى تم خلقه بها أول مرة داخل رحم أمه، وستسبح هذه الخلايا الجنينية الجديدة داخل هذا الماء مثلما تسبح داخل السائل الأمينوسى فى رحم الأم وستصبح الأرض أو القبور بمثابة الأرحام لهذا الجنين الجديد المعاد تخليقه بطريقة تشبه طريقة الاستنساخ.

لكن عملية تخليق الجنين داخل الرحم تستغرق تسعة أشهر، أما عملية البعث أو إعادة تخليق أو استنساخ الإنسان من إحدى خلاياه ستستغرق أربعين سنة، والحكمة فى ذلك هى بعثه فى سن الأربعين أى سن الشباب وليس بعثه طفلاً غير مكتمل النمو، ولعل هذا يفسر لنا سر قول النبى ﷺ للمرأة العجوز التى كان يمازحها عندما سألته هل هى من أهل الجنة أم من أهل النار «إن الجنة لا يدخلها عجوز» وكانت تلك ممازحة من النبى ﷺ معها وحقيقة يؤكدها بأن الجنة لن يدخلها عجوز لأننا عند البعث سنبعث فى سن الشباب حتى وإن متنا عجائز، وسنبعث بأجساد ليس بها أى عيوب أو تشوهات خلقية حتى لو كنا موجودين فى الدنيا بهذه العيوب.

وبعد تمام إنبات أو تخليق أو استنساخ الأجساد وتمام نضجها ووصولها إلى أجساد بشرية في عمر الأربعين، يأمر الله إسرافيل بالنفخ في الصور، فتخرج منه الأرواح التي قبضها الله عند الموت ـ الصحيح الأنفس ـ مثل النحل فتملأ ما بين السماء والأرض وتذهب كل نفس إلى جسدها فتدخل في الخياشيم وتسير في الأجساد كلها، فتدب في هذه الأجساد الحية الحركة والإرادة والإحساس والتمييز والشعور والوجدان بالطاقة التي تولدها النفس في الجسم، ويبدأ عقل الإنسان في العمل فيدرك ماحوله، وتعود له مع هذه النفس ذاكرته فيتذكر بها كل ذكريات حياته التي كان يعيشها في هذه الدنيا وخبراته، هذا بالإضافة إلى حمل هذه الذاكرة للأحداث والمشاهد والذكريات التي عاشتها هذه النفس أثناء حياة البرزخ من نعيم أو عذاب، فيتذكر الإنسان في هذه اللحظة كل أحداث حياته الدنيوية والبرزخية، ويدرك تمام الإدراك مصيره في الآخرة التي سيقضي فيها حياة نعيم خالد أو عذاب خالد، فيتمنى ألا تقوم الساعة، ويدرك أن ما قضاه في حياته الدنيا لايعد بالنسبة للآخرة إلا ساعة من نهار أو عشية أوضحاها ويقوم من رقدته مذهولاً مندهشاً، وقد ورد حول هذه الأمور الكثير من الآيات نذكر منها قوله تعالى:

﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون. إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون. فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾، «يس: ٥١-٥٤».

﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً، يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً. نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً ﴾، «طه: ١٠٢-١٠٤».

﴿ قل كم لبثتم في الأرض عدد سنين. قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين. قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون ﴾، «المؤمنون: ١١٢-١١٤».

﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم ﴾، «يونس: ٤٥».

﴿ وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً. قل كونوا حجارة أو حديداً، أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً. يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً ﴾، «الإسراء: ٤٩-٥٢».

﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ﴾، «نوح: ١٧-١٨».

﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾، «يس: ٧٨-٧٩».

﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾، «الروم: ٢٧».

الخاتمة

في النهاية أود أن أؤكد أن ما قلته في هذا الكتاب هو مجرد اجتهاد مني ومحاولة لاستكمال ما بدأه أهل السلف ثم علماء العصر في مسألة الروح والنفس والخلق والموت والبعث، ولا أستطيع الجزم في النهاية بشيء فالعلم أولاً وأخيراً عند الله فقد أكون مصيباً في كل ما قلته أو بعضه وقد أكون مخطئاً في كله أو بعضه، لكن في النهاية هي محاولة للربط بين العلم والدين لإظهار ما في القرآن الكريم والأحاديث النبوية من إعجاز علمي فسرته لنا أحدث الاكتشافات العلمية، ومثل هذه الاجتهادات والمحاولات يجب ألا تتوقف لأنها إن أخطأت في جانب ستصيب في جانب آخر وستساعدنا كثيراً في فهم الإشارات العلمية الموجودة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولابد أنها ستصل بنا إن عاجلاً أو آجلاً إلى الحقيقة، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وأخلص النية، ولا يكشف علمه إلا لمن يسعى ويبحث للوصول للحقيقة.

وأسأل الله أن يأجرني خيراً على هذا الاجتهاد وأن يجعل في هذا العمل نفعاً للمسلمين والناس كافة.

تحريراً في ٤/١٢/١٩٩٩م

هشام كمال عبد الحميد

ت: ٥٦٩٢٣٧٩

عنوان المراسلات: ٨ ش صفوت ـ العمرانية الشرقية

أول الهرم ـ جيزة ـ محطة نصر الدين

الرمز البريدي ١٢٢١١

قائمة المراجع

أولاً: المراجع الإسلامية:

١ - القرآن الكريم	
٢ - الجامع لأحكام القرآن	القرطبى
٣ - تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
٤ - التفسير الوسيط	مجمع البحوث الإسلامية
٥ - فى ظلال القرآن	سيد قطب
٦ - تفسير القرآن الجليل	النسفى
٧ - تفسير روح المعانى	الألوسى
٨ - تفسير روح البيان	إسماعيل حقى
٩ - فى رحاب التفسير	عبد الحميد كشك
١٠ - مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير	الفخر الرازى
١١ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان	النيسابورى
١٢ - الميزان فى تفسير القرآن	الطباطبائى
١٣ - تفسير الجواهر	الشيخ طنطاوى جوهرى
١٤ - معجزة القرآن	الشيخ محمد متولى الشعراوى
١٥ - الروح	ابن قيم الجوزية
١٦ - شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور	السيوطى
١٧ - الفتاوى	الشيخ محمود شلتوت
١٨ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى	ابن حجر العسقلانى
١٩ - شرح صحيح مسلم	النووى
٢٠ - البداية والنهاية	ابن كثير
٢١ - النهاية فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة	ابن كثير / تحقيق عطام الصبابطى
٢٢ - التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة	القرطبى / تحقيق عصام الصبابطى
٢٣ - الجامع الصحيح	الترمذى / تحقيق أحمد شاكر وآخرين
٢٤ - سلسلة الأحاديث الصحيحة - الضعيفة	الألبانى
٢٥ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان	محمة فؤاد عبد الباقى
٢٦ - جامع العلوم والحكم	ابن رجب الحنبلى البغداى
٢٧ - بداية خلق الكون	ابن كثير / تحقيق عادل أبو المعاطى
٢٨ - المعجم الوجيز	مجمع اللغة العربية
٢٩ - المصباح المنير	احمد محمد بن على المقرى الفيومى

٣٠- مختار الصحاح	الفخر الرازى
٣١- هادى الأرواح	مصطفى محمد الطير
٣٢- وأشرقت الأرض بنور ربها	محمد فتحى حافظ قورة
٣٣- الإنسان فى القرآن	عبد الكريم الخطيب
٣٤- الجنين وأحكامه فى الفقه الإسلامى	د. محمد سلام مدكور

ثانياً: المراجع الإسلامية العلمية

٣٥- خلق الإنسان	د. عبد الفتاح محمد طيرة
٣٦- أسرار الموت والحياة والروح والجسد	د. السيد سلامة السقا
٣٧- آدم وحواء من الجنة إلى إفريقيا	د. عبد الهادى مصباح
٣٨- البعث	محمد شكرى محمد سليمان
٣٩- إعجاز القرآن فى خلق الإنسان	د. محمد كمال عبد العزيز
٤٠- الإسلام فى عصر العلم	محمد أحمد الغمراوى
٤١- مجلة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم/ أعمال الندوة الثالثة	جمعية الإعجاز العلمى للقرآن
٤٢- الاستنساخ بين العلم والدين	د. عبدالهادى مصباح
٤٣- أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة	زياد أحمد سلامة

ثالثاً: المراجع العلمية:

٤٤- الاستنساخ	د. محمد صادق صبور
٤٥- موسوعة بهجة المعرفة	....
٤٦- لغة الجينات	ستيف جونز / ترجمة د. أحمد مستجير
٤٧- صناعة الحياة	إدوارد يوكسين / ترجمة د.أحمد مستجير
٤٨- الهندسة الوراثية للجميع	ويليام بينز / ترجمة د.أحمد مستجير
٤٩- الشفرة الوراثية للإنسان	دانييل كيفلس، ليروى هود/ ترجمة أحمد مستجير
٥٠- البيولوچيا الجزيئية	د. فتحى عبدالتواب
٥١-مستقبلنا الوراثى	د. مصطفى إبراهيم فهمى
٥٢- هندسة المستقبل	د. أحمد شوقى
٥٣- الهندسة الوراثية ومصير الإنسان	عبد الباسط الجمل
٥٤- البيولوچيا ومصير الإنسان	د. سعيد محمد الحفار/ سلسلة عالم المعرفة
٥٥- معجم التكنولوچيا الحيوية	وليام بينز/ ترجمة د. هاشم أحمد
٥٦- أعداد من مجلة العلوم	الترجمة العربية لمجلة سابنتفيك أمريكان
٥٧- أعداد من مجلة العلم	أكاديمية البحث العلمى المصرية
٥٨- الإنسان ذلك المجهول	الكسس كارل/ ترجمة شفيق أسعد فريد
٥٩- أحلام اليوم حقائق الغد	راجى عنايت

الفهرس

كتب للمؤلف

١ ـ اقترب خروج المسيح الدجال.
– الصهاينة وعبدة الشيطان يمهدون لخروج الدجال بأطباقه الطائرة من مثلث برمودا.
٢ ـ الحرب العالمية القادمة فى الشرق الأوسط.
٣ ـ الصهيونية الأمريكية وهلاك ودمار أمريكا فى الكتب السماوية.
٤ ـ يأجوج ومأجوج قادمون.
– «هل هُدم سد ذى القرنين؟ هل الروس والصينيون من أحفاد يأجوج ومأجوج؟ ماذا قالت الكتب السماوية والتاريخية عنهم؟»
٥ ـ عصر المسيح الدجال: الحقائق والوثائق ـ تفاصيل الخطة الماسونية ـ الهرم الذهبى والألفية الثالثة ـ حورس ٦٦٦.
٦ ـ موعد الساعة بين الكتب السماوية والمتنبئين.
٧ ـ الاستنساخ والهندسة الوراثية سيؤديان لخروج دابة الأرض.
٨ ـ الهندسة الوراثية فى القرآن وأسرار الخلق والروح والبعث.
٩ ـ تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة بين علوم الأنبياء والسحر الكهنوتى والحقائق العلمية.
١٠ ـ أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية.

قائمة إصدارات
مركز الحضارة العربية

موسوعة تاريخ حضارات العالم — ترجمة : زينات الصباغ
تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة — هشام كمال عبد الحميد
عصر المسيح الدجال — هشام كمال عبد الحميد
أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث — صلاح زكي
العلوم للجماهير — باربارا كاستيل . ترجمة د. عبد الحكيم بدران
رسالة إلى العقل العربي "مدخل إلى فلسفة عربية للعلم" — د. عبد الحكيم بدران
خيانة المثقفين — د. عبد الحكيم بدران
المياه في الوطن العربي (الندرة .. التلوث) — عبد الحكيم بدران
صراع الحضارات (إثبات الأنا ونفي الآخر) — شعيب عبد الفتاح
عالم المعلومات الجديد — ديرتوزوس ترجمة : بهاء شاهين
الجات والتبعية الثقافية — د. مصطفى عبد الغني
حقيقة الغرب — د. مصطفى عبد الغني
صورة العرب في الغرب — د. عزة على عزت
قضايا المستقبل إلى أين تمضي البشرية وأين موقعنا — محمد الحديدي
بدائل العولمة (طروحات جديدة لتجميل وجه العولمة القبيح) — د. سعيد اللاوندى
عبد الرحمن بدوى فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام — د. سعيد اللاوندى
إشكالية ترجمة معانى القرآن الكريم (محاكمة جاك بيرك) — د. سعيد اللاوندى
المياه العربية بين خطر العجز ومخاطر التبعية — عبد الله العقالى
العرب وإسرائيل .. ميزان القوى ومستقبل المواجهة — د. محمد عبد الشفيع عيسى
السوق الشرق أوسطية (من هرتزل إلى ما بعد باراك) — إكرام عبد الرحيم
مشروع للانتحار القومي ! — مصباح قطب
السلام القتال (سلام أشد هولا من الحروب) — محمد خليفة
أوهام السلام — عبد الخالق فاروق
في جنازة المقاطعة العربية لإسرائيل — شفيق أحمد علي
عبادة الشيطان على ضفاف النيل — حسين عبد الواحد
حماس .. حركة المقاومة الإسلامية — خالد أبو العمرين
يهود ضد إسرائيل — ياسر حسين
أساطير التوراة — عاطف عبد الغنى
الحرب العالمية الرابعة — ياسر حسين
الاختراق الإسرائيلي للزراعة في مصر — صلاح بديوى
اختراق الأمن الوطني المصري — عبد الخالق فاروق
أسرار الجاسوسية ولعبة المخابرات — يوسف هلال
أزمة الانتماء في مصر — عبد الخالق فاروق
قضية لوكيربي وأحكام القانون الدولى — د. ميلود المهذبي
أزمة لوكيربي والخروج من بيت الطاعة الأمريكى — د. السيد عوض
العلاقات الليبية - الأمريكية — د. السيد عوض
بان أمريكان ۱۰۳ (اتهام ليبيا أم اتهام أمريكا) — مجموعة باحثين
حلايب .. نزاع الحدود بين مصر والسودان — أحمد محجوب
الإخوان والعسكر — حيدر طه
التعريب في الجزائر (كفاح شعب ضد الهيمنة الفرانكفونية) — د. عثمان سعدى
البربر الأمازيغ عرب عاربة — د. عثمان سعدى
أيام الفزع في الجزائر — خالد عمر بن ققه
عبد الناصر واليمن — د. عبد العزيز المقالح
الوحدة اليمنية — حسنين كروم
عبد الناصر والذين كانوا معه — حسين قدرى
عبد الناصر .. هذا المواطن — سليمان الحكيم
حوارات عن عبد الناصر — سليمان الحكيم
عبد الناصر .. والإخوان (أسرار العلاقة الخاصة) — سليمان الحكيم

المرأة التي أحبها عبد الناصر — شفيق أحمد على
ظل الرئيس (مذكرات محمود الجيار مدير مكتب ناصر) — عزازى على عزازى
عبد الناصر وعبد الحليم والزمن الجميل — حسن صابر
البديل الناصري (قراءة في أوراق التنظيم الناصرى) — سيد زهران
براءة سياسية — أحمد شرف
برلنتي والمشير (القصة الحقيقية) — محمد متولى/ سيد زهران
الصحافة المشبوهة — سيد محمود
إشكالية ترجمة معانى القرآن الكريم (محاكمة جاك بيرك) — د. سعيد اللاوندى
الهندسة الوراثية في القرآن أسرار الخلق والروح والبعث — هشام كمال
الحركة الإسلامية في مصر — صالح الورداني
الكلمة والسيف "محنة الرأى في تاريخ المسلمين" — صالح الورداني
المسيح في الإسلام — محمد عطا الرحيم ترجمة : عادل حامد
الحكومة والسياسة في الإسلام — ترجمة : سيد حسان
رسالة التوحيد للإمام محمد عبده — تحقيق د. محمد عمارة
الإسلام والعروبة — مجدي رياض
علمني يا أبي (حوار حول رسالة الصلاة) — حسن سليمان
قيثارة السماء "الشيخ محمد رفعت" — محمود توفيق
حروب المشايخ — أحمد الدسوقي
كشف المستور من قبائح ولاة الأمور (تراث) — د. أحمد الصاوي
رمضان .. زمان — د. أحمد الصاوي
النقود المتداولة في مصر العثمانية — د. أحمد الصاوي
النقود الإسلامية في مصر — د. رأفت النبراوي
"Word 2000" — م . أحمد ظريف المعانى
"Excel 2000" — م . أحمد ظريف المعانى
"Visual basic 6" — م . أحمد ظريف المعانى
الفيلم والمعمل — د. عفت عبد العزيز
الإبر الصينية في العلاج والتخدير — د. لطفي سليمان
الصوت والضوضاء — د. مصطفي عبد المطلب
المواد شبه الموصلة ودورها — د. مصطفي عبد المطلب
الأعشاب الطبية — د. موسى الخطيب
طعامك طريقك إلى صحتك — د. مجدي إبراهيم
الجنس والشباب الذكى — كولن ولسون ترجمة أحمد عمر شاهين
تجارة الجنس — چاري جوردون ترجمة زينات الصباغ
صناعة النجوم — سكوت أونيل ترجمة زينات الصباغ
أشهر فضائح القرن العشرين — حسن صابر
نجوم في الوحل — حسن صابر
الأميرة العارية وعرش سيئ السمعة — حسن صابر
رؤساء أمريكا في الوحل — حسن صابر
أميرة علي قائمة الاغتيال — محمد رجب / حسين عبد الواحد
أمريكا .. الانهيار السياسي والأخلاقى — حسين عبد الواحد
بنات إبليس (نساء في مملكة الشر) — حسين عبد الواحد
حسناء البنوك ومعالي الوزير — أسامة الكرم

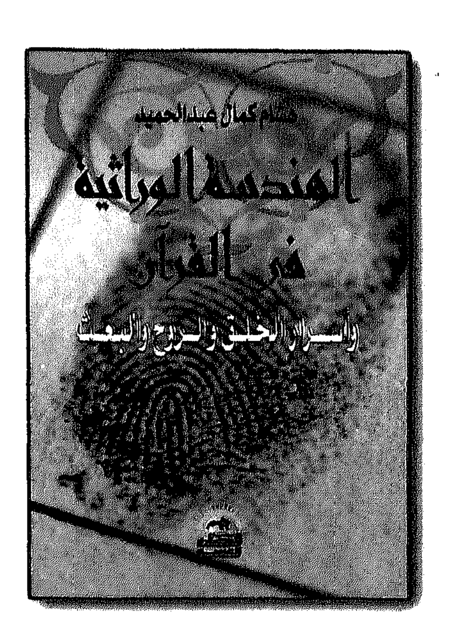
دراسات .. نقد

هاجس الكتابة — د . أحمد إبراهيم الفقيه
تحديات عصر جديد — د . أحمد إبراهيم الفقيه
الخطابة عند الخوارج — أحمد بدران
التوجهات النقدية في رواية عودة الروح — أحمد بدران
أثر الإسلام في الأدب الأسباني — د.حامد أبو حمد، د.على عبد الرؤوف

العنوان	المؤلف
عبد الله البردُّوني .. حياته وشعره	د. أحمد عبد الحميد
الإنسان والفكرة	أحمد المهنا
قراءة المعاني في بحر التحولات	أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
مغامر حتى النهاية	إدوار الخراط وآخرون
من حديث الشعر والشعراء	د. جميل علوش
تقاسيم نقدية	زينب العسال
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعوبية	سليمان الحكيم
رواد الأدب العربي في السعودية	شعيب عبد الفتاح
البواكير فى القصة القصيرة	شوقي عبد الحميد
الثقافة الشعبية وأوهام الصفوة	د. صلاح الراوي
إنتاج الدلالة الأدبية	د. صلاح فضل
منهج الواقعية في الإبداع الأدبي	د. صلاح فضل
تأثير الثقافة الإسلامية فى الكوميديا الإلهية لدانتي	د. صلاح فضل
رحلة الكلمات	د. على فهمي خشيم
بحثا عن فرعون العربي	د. على فهمي خشيم
أعلام في الأدب العالمي	على عبد الفتاح
محمد مندور شيخ النقاد	فؤاد قنديل
الهندسة الصوتية الإيقاعية فى النص الشعرى	د. مراد مبروك
في المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
أبو رجل مسلوخة	محمد مستجاب
لجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى
أدب الطفل العربي بين الواقع والمستقبل	ممدوح القديرى
مقالات في الحياة والأدب	ممدوح القديري
الرواية فى زمن الغضب	ممدوح القديري
الرواية العربية : رسوم وقراءات	نبيل سليمان
يحدث أحيانا	هبة عنايت
إشكاليات التأصيل فى المسرح العربي	هيثم يحيى الخواجة
يوسف الشاروني وعالمه القصصي	د. نعيم عطية
معجم أسماء قصص يوسف الشاروني	مصطفى بيومي
فى الأدب العمانى	يوسف الشارونى
القصة .. تمردا وتطورا	يوسف اشارونى
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقا	أحمد عمر شاهين
الهاجس	أحمد بدران
ظل باب	أحمد محمد حميدة
وقائع غرق السفينة	إدريس على
واحد ضد الجميع	إدريس على
المبعدون	إدريس على
طريق النسر	إدوار الخراط
صخور السماء	إدوار الخراط
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
متى تتزوجني ؟!	أشرف خليل

العنوان	المؤلف
حذاء السيد المنسي	أشرف العوضى
عندما تبيض الديوك	أمجد صابر
لا أحد يحبك	أمانى فهمى
همس العاشقين	أمين بكير
حكايات من دفاتر النسوان	أمين بكير
الخيول الشاردة	بهى الدين عوض
دنا فتدلي (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطانى
تكوينات الدم والتراب/الخروج عن النص	د. جمال التلاوي
المتعبون	جمعة محمد جمعة
دموع إيزيس	حسنى لبيب
أيام الفزع في الجزائر	خالد عمر بن ققه
يومية هروب	خيرى عبد الجواد
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
تائهون فى الحياة	سعدية البياتى
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
كف مريم	سعيد سالم
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
الخرابة	د.عبد الرحيم صديق
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحد	عبده خال
آخر ما قاله النهر	عز الدين الأسوانى
صَعيدي صَح	د. عزة عزت
سراديب	عفاف السيد
إينارو	د. على فهمى خشيم
جنية الشفق (قصص شاعرية قصيرة جدا)	د. فاروق أوهان
البحر يغرق	د. فاروق أوهان
وجهها وطن	فاطمة يوسف العلى
تاء مربوطة	فاطمة يوسف العلى
شفيقة .. وسرها الباتع	فؤاد قنديل
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوى
وتر مشدود	قاسم مسعد عليوة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
الفتيت المبعثر	محسن الرملى
الميناء الشرقية	محمد جبريل
مد الموج	محمد جبريل
حريم .. (أعزكم الله)	محمد الغربى عمران
الحياة الذروة	د. محمد نعيم شريف
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش

بالإضافة إلى العديد من الكتب الأدبية ؛ رواية .. قصة .. شعر .. دراسات ونقد
وكتب متنوعة : سياسية ، قومية ، دينية ، معارف عامة ، تراث ، وأطفال .
خدمات إعلامية وثقافية



البحث فى مسألة نشأة الحياة والكون والإنسان ومسألة الروح وكنهها وموضعها فى الجسد يشغل الإنسان منذ آلاف السنين، فالعلماء فى الماضى والحاضر اهتموا بالبحث فى هذه المسائل فى محاولة منهم لكشف سر الحياة والمساعدة فى تقدم مجالات العلاج الطبى والمجالات العلمية الأخرى.

واهتم الفلاسفة بالبحث فى نفس المسألة لإعطاء تفسير فلسفى لنشأة الحياة ومعنى وكُنه الروح وموضعها من الجسد. أما رجال الدين فانحصر اهتمام معظمهم حول هذه المسائل فيما ورد فى الكتب السماوية عنها، وقليل منهم من حاول الربط بين الأبحاث العلمية والفلسفية الخاصة بهذه الأمور وبين ما ورد عنها فى الكتب السماوية للخروج بنتائج تُظهر للناس أسرار الخالق فى خلقه، وتكشف إعجازه وقدراته فى الخلق.

والحقائق التى سنكشفها من خلال فصول هذا ال
ستساعدنا فى فهم الكثير مما ورد فى القرآن من
آدم وحواء وعيسى وسائر البشر والمخلوقات الأخر
أيضًا فى تخيل الطريقة التى خلق بها الله آدم وحواء
السلام.. إلخ، وما فى ذلك من قدرة وإعجاز إلهى،
إلى فهم الكيفية التى سيبعث الله بها الإنسان يوم ا

